روجيه جارودى

محاكمة الصهيونية الإسرائيلية

دار الشروق

مَحَاكمَة
الصّهيُونيّة
الإسرائيلية

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
الطبعة الثانية
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
الطبعة الثالثة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

روچيه جارودى

مَحَاكَمَة الصّهيُونيّة الإسرائيلية

دار الشروق

الفهرس

بين يدى الكتاب........................ ٥

مقدمة.................................. ١٣

الجـزء الأول

الصهيونية ضد اليهودية

الفصل الأول: التضليل.......................... ١٩

الفصل الثانى: مشروع هرتزل الاستعمارى ٣٣

الفصل الثالث: النتائج السياسية لعبادة القومية.............٤١

الفصل الرابع: التطهير العرقى : قمع وطرد الفلسطينيين.......... ٤٧

الفصل الخامس: تعاون الصهيونية مع هتلر........... ٦٥

الفصل السادس: التفرقة بين الصهاينة وغيرهم من اليهود........٨١

الجـزء الثانـى

التناقض الصهيونى

الفصل الأول: صك الأساطير ـ اللوبى ـ القتل بالأمر الإلهى....... ٩٣
الفصل الثانى: من يقلل من شأن جرائم هتلر؟................ ١٣١

الجـزء الثـالث

السياسـة الإسرائيلية وإشعال الحروب

الفصل الأول: الدور الإسرائيلى فى حضارة الغرب.......... ١٧١
الفصل الثانى: إسـرائيـل: من التوراة إلى النازية........... ١٨٩
خاتمة: من الجـانى؟............................ ٢٠٣

بين يدى الكتاب

بين العهد القديم وأقوال وأفعال جولد شتاين وإيجال عامير وأريل شارون ونتنياهو

جاء فى سفر التثنية، الأصحاح العشرين تحت عنوان:

شرائع حصار وفتح المدن البعيدة:

وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولا . فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيداً لكم . وإن أبت الصلح وحاربتكم، فحاصروها، فإذا أسقطها الرب إلهكم فى أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما فى المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التى وهبها الرب إلهكم لكم . هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التى ليست من مدن الأمم القاطنة هنا . (١٠ ـ ١٥) .

شرائع حصار وفتح مدن أرض الموعد:

أما مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثا، فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها، كمدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمركم الرب إلهكم، لكى لا يعلموكم رجاساتهم التى مارسوها فى عبادة آلهتهم، فتغووا وراءهم وتخطئوا إلى الرب إلهكم. (١٦ ـ ١٨).

التحذير من مخالطة الأمم وعبادة الأصنام:

ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التى أنتم ماضون إليها لترثوها، وطرد من أمامكم سبع أمم، أكثر وأعظم منكم، وهم الحثيون والجرجاشيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون. وأسلمهم الرب إليكم وهزمتموهم، فإنكم تحرمونهم. لاتقطعوا لهم عهداً، ولاترفقوا بهم، ولا تصاهروهم. فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم، ولا أبناءكم من بناتهم، إذْ يغوون أبناءكم عن عبادتى ليعبدوا آلهة أخرى، فيحتدم غضب الرب عليكم ويهلككم سريعًا. ولكنْ هذا ما تفعلونه بهم: اهدموا مذابحهم وحطموا أصنامهم وقطّعوا سواريهم وأحرقوا تماثيلهم. ٧ : (١ ـ ٥).

تدخل المرأة فى المشاجرات:

إذا تعارك رجلان، فتدخلت زوجة أحدهما لتنقذ زوجها من قبضة يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بخصيته، فاقطعوا يدها ولاتشفقوا عليها. ٢٥ : (١١ ـ ١٢).

شعب مقدس:

لأنكم شعب مقدس للرب، إلهكم . . .
وتستأصلون جميع الشعوب الذين يسلمهم الرب إليكم، فلاتشفقوا عليهم ولا تعبدوا آلهتهم لأن ذلك شرك لكم. ٧ : (٦ـ١٦).

أما سفر يشوع المقرر فى المدارس، فجاء فيه عن سقوط أريحا:

فاندفع الشعب نحو المدينة كُلٌّ إلى وجهته، واستولوا عليها. ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير. ٦ : (٢٠ـ٢١).

إنقاذ راحاب وأقربائها:

وقال يشوع للرجلين اللذين ذهبا لاستكشاف المدينة: «ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجاها مع كل ما لها من هناك كما حلفتما لها».

الاستيلاء على المدينة:

وعندما تم القضاء على جيش عاى فى الصحراء حيث تعقبوا الإسرائيليين، وفنوا جميعهم بحد السيف، رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عاى وقتلوا كل من فيها. فكان جميع من قتل فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا، وهم جميع أهل عاى.

وظل يشوع مادّاً يده بالحربة نحو المدينة حتى تم القضاء على جميع أهل عاى . أما البهائم وغنائم المدينة فقد نهبها الإسرائيليون لأنفسهم ، بمقتضى أمر الرب الذى أصدره إلى يشوع . وهكذا أحرق يشوع عاى وحولها إلى تل خراب أبدى إلى هذا اليوم . ٨ : (٢٤ ـ ٢٨) .

* * *

يستمر سفر يشوع فى الحكايات المقدسة عن فتح المدن وإبادة كل من فيها بالأمر الإلهى .

* * *

قام أحد الأساتذة بإجراء استبيان بين التلاميذ اليهود . هل كان ما فعله يشوع بالقرى التى فتحها صوابا؟ هل يجب أن يفعل جيش إسرائيل اليوم بالقرى العربية ما فعله يشوع؟

كانت الإجابة الكاسحة : نعم ، وعلى السؤالين .

وأثناء قصف إسرائيل لقانا ، تم التقاط إشارات بالعبرية تقول : اقصفوا واقتلوا تلك النفايات!

* * *

نشرت مجلة كيفونيم التى تصدرها «المنظمة الصهيونية العالمية» فى القدس ، خطط إسرائيل الاستراتيچية فى الثمانينات :

«لقد غدت مصر، باعتبارها كيانًا مركزيا، مجرد جثة هامدة، لاسيما إذا أخذنا فى الاعتبار المواجهات التى تزداد حدةً بين المسلمين والمسيحيين. وينبغى أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافيا هو هدفنا السياسى على الجبهة الغربية خلال سنوات التسعينيات.

وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية، فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد، ومن ثم فإن تشكيل دولة قبطية فى صعيد مصر، بالإضافة إلى كيانات إقليمية أصغر وأقل أهمية، من شأنه أن يفتح الباب لتطور تاريخى لا مناص من تحقيقه على المدى البعيد، وإن كانت معاهدة السلام قد أعاقته فى الوقت الراهن.

وبالرغم مما يبدو فى الظاهر، فإن المشكلات فى الجبهة الغربية أقل من مثيلتها فى الجبهة الشرقية. وتعد تجزئة لبنان إلى خمس دويلات.. بمثابة نموذج لما سيحدث فى العالم العربى بأسره. وينبغى أن يكون تقسيم كل من العراق وسوريا إلى مناطق منفصلة على أساس عرقى أو دينى أحد الأهداف الأساسية لإسرائيل على المدى البعيد. والخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف هى تحطيم القدرة العسكرية لهذين البلدين.

فالبناء العرقى لسوريا يجعلها عرضة للتفكك، مما قد يؤدى إلى قيام دولة شيعية على طول الساحل، ودولة سنّية فى منطقة حلب، وأخرى فى دمشق، بالإضافة إلى كيان درزى قد ينشأ فى الجولان الخاضعة لنا، وقد

يطمح هو الآخر إلى تشكيل دولة خاصة، ولن يكون ذلك على أى حال إلا إذا انضمت إليه منطقتا حوران وشمالي الأردن. ويمكن لمثل هذه الدولة، على المدى البعيد، أن تكون ضمانةً للسلام والأمن فى المنطقة. وتحقيق هذا الهدف فى متناول يدنا.

أما العراق، ذلك البلد الغنى بموارده النفطية والذى تتنازعه الصراعات الداخلية، فهو يقع على خط المواجهة مع إسرائيل. ويُعد تفكيكه أمراً مهما بالنسبة لإسرائيل، بل إنه أكثر أهمية من تفكيك سوريا، لأن العراق يمثل على المدى القريب أخطر تهديد لإسرائيل».

(المصدر: مجلة كيفونيم، القدس، العدد١٤، فبراير/ شباط ١٩٨٢ ص ٤٩ ــ ٥٩).

* * *

وفى الحوار الذى أجراه عبد العظيم حماد مع مارتن إنديك مساعد وزير الخارجية الأمريكية عن الحوار الاستراتيچى الأمريكى المصرى، والذى نشرته جريدةالأهرام بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٩٨، دار الحديث حول أمن إسرائيل والأسلحة النووية والكيماوية، وتحريك أمريكا لزعماء المعارضة العراقية لتقسيم العراق إلى ثلاث دول فيدرالية:

عبد العظيم حماد: هل نفهم من ذلك أنكم لم تتحدثوا معهم (المعارضة العراقية) عن إقامة نظام فيدرالى فى العراق بعد الإطاحة بصدام؟

إنديك : فيدرالى؟ إنه لدينا فى الولايات المتحدة وهو يعمل جيداً ولا يتعارض مع وحدة وتكامل أرض الدولة .

* * *

لم تنقطع محاولات إسرائيل لإثارة الفتنة الطائفية فى مصر ، تنفيذاً لاستراتيجتها المذكورة فى مجلة كيفونيم .

ونشهد بأعيننا نجاحها فيما يخص العراق ، ونجاحها الجزئى فى لبنان ، حيث أنشأت جيشًا تابعًا لها فى الجنوب الذى تحتله .

ولا يفوتنا أن سياسة الولايات المتحدة منذ نهاية الأربعينيات ، نثر بذورالانهيار فى الاتحاد السوڤيتى ، لم تأت أكلها إلا بعد أربعين سنة من الجهد الدؤوب المتواصل!

وقى الله مصر شرَّ مصير العراق ، ومصير روسيا نتيجة برنامج الإصلاح الأمريكى! .

* * *

فى هذا الكتاب ، يحاكم جارودى صهيونية إسرائيل ، نازيتها ، وعنصريتها ، وسياساتها التى تهدد المنطقة ، بل والعالم .

يحاكمها أمام التاريخ ، لحساب الحق ، ولحساب الأمة العربية التى تتكون من بضع وعشرين دولة وربع مليار إنسان! .

* * *

قبل مثول الكتاب للطبع ، أدان القضاء الفرنسي ـ طبقًا لقانون چيسو ـ روچيه جارودى وحكم عليه بغرامة وحبس مع وقف التنفيذ. فكان هذا أحسن تعبير عن حرية التعبير فى فرنسا، ناهيك عن مصداقية البرلمان والحياة النيابية.

كذلك شنت الولايات المتحدة وبريطانيا عدوانهما الثالث على العراق، تحت زعم أن العراق يهدد جيرانه(*) وأنه يحاول بناء أسلحة دمار شامل.

وغفلت الولايات المتحدة وبريطانيا، عن احتلال إسرائيل لأراضى كل جيرانها، وترساناتها من أسلحة الدمار الشامل.

عادل المعلم

(*) ما زلنا نذكر تأييد ودعم ومساندة الولايات المتحدة والغرب ـ سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا ـ حليفهم صدام حسين طوال الثمانينيات، خلال عدوانه على إيران، الذى حصد أرواح أكثر من مليون نسمة، وأضعاف ذلك من المصابين، ولم نسمع طوال السنوات العشر شيئًا عن تهديد الجيران أو أسلحة الدمار الشامل.
بل استدارت الولايات المتحدة اليوم حول نفسها مائة وثمانين درجة، وطلبت من إيران مساعدتها للتخلص من صدام حسين!
كذلك لم نَرَ للولايات المتحدة وبريطانيا رد فعل يذكر إزاء قتل واغتصاب وتشريد ميلسوڤيتش لمئات الألوف فى البوسنة وكوزوڤا.

شوهت محاكمتى على كتاب الأساطير صورة فرنسا

يتحدث كتابى عن السياسة الإسرائيلية وأسسها الأيديولوچية.

ومع ذلك، فقد اتهمت بالآتى:

١ ـ التشهير بأشخاص أو مجتمعات بسبب انتماءاتهم العرقية أو الدينية. إلا إننى أتحدى أى شخص يجد جملة واحدة فى كتابى تذكر كلمة «يهودى» فى إطار يعطى إحساسًا بالتشهير. إننى فقط انتقد هؤلاء ـ سواء كانوا أفرادا أم أحزابا ـ الذين يستخدمون الدين لتبرير سياسة عدوانية. فإذا قمت على سبيل المثال بإدانة الطاليبان، ذلك لا يعنى أننى «أشهّر» بالإسلام، بل إننى أدافع عنه ضد كل من يعمل على إهانته.

وبنفس الأسلوب، عندما أنتقد الطاليبان الإسرائيليين، أو الموالين لإسرائيل، بسبب استخدامهم الدين اليهودى لخدمة سياسة الحرب، فإن معركتى ضد هؤلاء، هى نفسها معركتى ضد مناهضة السامية التى أعتبرها جريمة يعاقب عليها القانون.

٢ ـ كما اتهمت بأننى أقلل من شأن الجرائم التى ارتكبها هتلر، بينما من يطلبون محاكمتى هم الذين يقللون من شأنها :

(أ) وذلك عن طريق حصر جرائمه على تلك التى ارتكبها ضد اليهود، بينما راح فى الحرب خمسين مليون إنسان .

(ب) وعن طريق التركيز بشكل مَرَضى ، على أسلوب واحد فقط من بين أساليبه العديدة فى عمليات القتل ، على حساب كل الأساليب الأخرى .

كيف كانت تدور جلسات هذه المحكمة الهزلية؟

استنكر يهودى منوحين الموسيقار الكبير المحاكمة ، عندما تسلم نص الحكم الذى قمت اليوم برفع دعوى استئناف ضده . لم يكن الموسيقار الكبير هو الوحيد الذى شجب هزلية المحاكمة ، فقد وصف الرئيس السويسرى السيد شوفالاز ، وهو أصلاً مؤرخ ، هذه المحاكمة بأنها «مكارثية جديدة» ، وسياسة جديدة للقبض على كل المعارضين ، إنها كما يقول بمثابة «محاكم تفتيش» . كما قام عشرون من كبار الأساتذة الإيطاليين من كبرى جامعات روما وتورينو ونابولى وميلانو وبيزا وفلورنسا ، بنشر مقال فى صحيفة «لا ستامبا» بتاريخ ٢٨ مارس عام ١٩٩٨ ، بعنوان «هذا الكتاب ليس عنصريا» يعترضون فيها على الحكم ، ويقولون :

«إن إدانة روجيه جارودى فى فرنسا بسبب كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» يشكل عصرا خطيرا من القمع الثقافى .

ففى حيثيات الحكم، أدين الفيلسوف الفرنسى لأنه طرح جدلا حول الجرائم ضد الإنسانية.

ولكن ذلك شيئا عبثيا، ويشكل مبررا لقلق كبير. فإنه لمن المعروف أن هذا الكاتب لا يعرف العنصرية بأى شكل من أشكالها. وإدانته بسبب قيامه بمناقشة وإعادة تفسير حجم، والأساليب الخاصة لما وصفه، بالجرائم الضخمة التى ارتكبها هتلر ضد اليهود، والتى توصل إليها من خلال عدد كبير من الوثائق، التى وجدت فى أغلب الأوقات لدى الكتاب اليهود، يشكل خللا من شأنه أن يعكس مخاطرة كبيرة فى أن يتحول المناخ الثقافى فى أوروپا، إلى البربرية.

إننا نؤيد تنظيم مناقشة حرة حول نظريات جارودى - إلا أن ذلك لا يعنى أننا نؤيدها - ونحن نحتج على هذا الحكم، الذى نعتبره تجريم للرأى، كما إننا ضد القانون الذى استند إليه، وهو قانون چيسو.

إننا نعبر عن مخاوفنا من المخاطر التى تواجهها الثقافة والنشر، ليس فقط فى فرنسا، ولكن فى سائر بلدان أوروپا، إذا انتشر أسلوب أن تحل المحاكم مكان ما يجب أن يدخل فى مجال البحث العلمى».

* * *

لقد أسعدنى هذا النداء، لأنه مع الأسف، أثبتت الأحداث صحة نظريتى حول مخاطر التفسير المتطرف للكتاب المقدس والتاريخ، وتحويل الأساطير إلى تاريخ. كما أثبتت الوقائع التى نتجت عن سياسة السيد نتنياهو، صحة توقعاتى حول دور إسرائيل كمفجر

محتمل للحرب العالمية الثالثة . إن ترجمة كتابى فى ٢٩ دولة دليل على أن الملايين من الرجال والنساء يستشعرون هذا الخطر .

كما أن فتح الأرشيف الإسرائيلى ، سمح للمؤرخين الإسرائيليين بتدمير تلك الأساطير ، والانتقال ـ داخل إسرائيل نفسها ـ من القصص الخيالية إلى التاريخ . لقد احتج المؤرخون فى جميع الدول ضد محاولة قمع أفكارى حول مساوئ تلك الأساطير .

لقد كانت نتيجة المحاكمة الأولى التى استندت إلى قانون چيسو ، أن شوهت صورة فرنسا ، كوطن لحقوق الإنسان وحرية التعبير ، فى عيون الدول الأخرى. وأتمنى أن تؤدى محكمة الاستئناف إلى تصحيح تلك الصورة .

الجزء الأول

الصهيونية ضد اليهودية

■ الفصل الأول ■

التضليل

إنه لمن المؤسف أن أضطر لأن أعطى صورة محزنة لكل من وجه لى اتهامات، حيث كانت الفكرة الوحيدة التى استحوذت على تفكيرهم هى مطابقة الصهيونية باليهودية، وبالتالى معاملة كل من ينتقد سياسة إسرائيل أو مفكريها، بأنه معادى للسامية.

فعلى سبيل المثال، لم يتردد الشاهد الوحيد الذى استدعى عن طريقهم وهو السيد تارنيرو، على الرغم من أنه أستاذ جامعى، أن يحرف بشكل غير لائق، مقولة ذكرت فى كتابى، انتهت حسب قوله بذلك التعبير: «أن تكون يهوديًا اليوم، يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل»، وكتم عن المحكمة أن ذلك ليس تعبيرى، بل نقل عن الكاتب الإسرائيلى شلومو أفنيرى، برغم أننى كتبت المقولة ببنط مختلف، ذاكرا المصدر: (بناء الصهيونية الحديثة - ١٩٨١ ص ١٩٧).

وفى الوقت نفسه، أكد السيد بيير أيدنبوم، رئيس منظمة ليكرا (LICRA) فى بيان أصدره فى ٢٤ أبريل عام ١٩٩٦ قائلا: «هناك البعض الذين تحت غطاء مناهضة الصهيونية لا يستطيعون

إخفـاء حقيقة مناهضتهم للسـامية ، وذلـك يتم محاكمته فى بلادنا فى المحاكم» .

نعم ، هذا يتم محاكمته فى المحاكم ، ولكن من أجل إدانة الليكرا التى تعمل على إقناع الآخرين بأن الصهيونية التى هى سياسة ، تتطابق مع اليهودية التى هى دين .

وإننى أذكر ـ على سبيل المثال ـ الحكم الذى صدر عن المحكمة الجنائية العليا فى پاريس فى ٢٤ مارس عام ١٩٨٣ والذى أكده الحكم الذى صدر عن الاستئناف ، ومحكمة النقض ، فى القضية التى رفعتها ليكرا ضد كل من القس لولونج والمبشر ماتيو ، وچاك فوفيه (صحيفة لوموند) ، وضدى ، والذى أعلن : «حيث إن القضية تتعلق بانتقاد واضح لسياسة دولة ، والفكر الذى يقودها ، ولا تتعلق بإثارة استفزاز عنصرى ، فإن المحكمة ترفض دعوة ليكرا ، وتفرض عليها تسديد النفقات» .

والتصريح الثانى الذى يناقض الحقيقة ، فيؤكد فى نفس البيان قائلا : «روچيه جارودى ، مثل روبير فوريسون ، الاثنان جعلا من النفى(*) دينهم الجديد» .

التشبيه غريب ، خصوصًا فى الوقت الذى كتب فيه فوريسون مقالا عنيفا ضدى . وهو تشبيه كاذب ، خاصة وأن قضية فوريسون ليس لها صلة بقضيتى . فكتابى ، كما يشير إليه العنوان ، موجه ضد السياسة الإسرائيلية التى يمكن أن تكون ـ كما أثبتت الأحداث ـ

(*) المقصود نفى أساطير التاريخ عمومًا ، وأساطير الصهيونية خصوصًا .

مفجرة للحرب العالمية الثالثة . أما التاريخ فليس هو المحور الأساسى لكتابى ، فلا أرجع إليه إلا من خلال ذكر تحليل للخبراء ، خاصة الإسرائيليين منهم أو الصهاينة ، مثل رايتلينجر وبولياكوف وهيلبرج وبيداريدا ، ومثل المؤرخين الإسرائيلين الجدد اليوم . يقول أحدهم وهو بنى موريس : **«إن الأمر لا يتعلق بتاريخ جديد ولكن بالتاريخ عامة، حيث إنه فى الماضى لم يكن هناك إلا أساطير»** .

فى عام ١٩٩٧ ، كتب البروفيسور زييف سترنهيل ، بجامعة القدس العبرية ، كتابا بعنوان : «الأساطير المؤسسة للقومية الإسرائيلية» ، ونشرته «برينستون يونيڤرسيتى پرس» ، **(صحيفة لوموند ديپلوماتيك الصادرة فى مايو عام ١٩٩٨)** .

وفى عام ١٩٩٨ نشرت دار جاليمار : «التاريخ الجديد لإسرائيل» ، للكاتب إيلان جرايلشامير ، أستاذ العلوم السياسية بجامعة بار إيلان ، **حيث استخدم كلمة «الأسطورة»** ١٠١ مرة . ولكنى لا أدعى لنفسى الريادة أو حق إعطاء دروس للمؤرخين . وسنعود إلى موضوع الأساطير ، الذى يعتبره البعض تجريحا من جانبى ، ولكنى بالعكس أؤكد الآتى :

١ ـ إن محاكمتى ليست محاكمة السيد فوريسون ، ولا أى مؤرخ آخر أو ناقد .

٢ ـ إنه ليس من حق أحد أن يحاكمنى بتلك الاتهامات ، حتى فى إسرائيل ، حيث قام بعض الباحثين بهدم الأساطير ، حسب قول صحيفة لوموند فى مقال بعنوان «من الأساطير إلى التاريخ» نشر فى ٤

أبريل. ولقد أثنى السيد زييف سترنهيل على تأثيرها الصحى، وأضاف قائلا: «لم يحدث أبدا أن انتشرت عملية الطعن فى أساطيرنا المؤسسة لهذا الحد».

أما التصريح الثالث المناقض للحقيقة، فللسيد أيدنبوم، إذ كتب يقول فى بيانه: «القس پيير قال لك إنه لم يقرأ هذا الكتاب. بالنسبة لى، فأنا مقتنع أنه بعد قراءته له سيثير لديه نفس الاستهجان والحنق، كما أثار لدينا».

وها هى الحقيقة: كتب القس پيير فى حديث أدلى به لصحيفة لوموند، والذى أرسل لى منه نسخة فى ٢٨ يوليو عام ١٩٩٦ـ ونشرته بناء على موافقته فى كتابى الذى نشر بعنوان «شهودى»، يقول:

«فى هدوء الدير، استطعت أن أقرأ وأعلق على الكتاب المتهم. وعندما لم أجد فيه شيئا مرفوضا، وبما أننى لا أدعى لنفسى المعرفة الكاملة، فقد طلبت من أساتذة علم اللاهوت فى اثنين من كبرى الجامعات الكاثوليكية فى أوروبا، أن يقدموا الكتاب بعد ترجمته إلى لغتهم، إلى ثلاثة من كبار الخبراء فى التاريخ واللاهوت والعلوم الدينية. فان رأيهم يهمنى أكثر مما يهمنى رأى ليكرا.

عندما بدأ الهجوم ضد أعمال وشخص جارودى، لم أتمكن من قراءة الكتاب مرة أخرى. ذلك أننى شهدت فى رسالتى بتاريخ ١٥ أبريل له، ولثقتى فى ضميره فى كل ما يقوم به، وفى قدراته.

لقد هاجمته ليكرا فى ساحة العدالة ، وأنا أجد نفسى مدفوعا لأن أقول : «هذا من حسن حظه»! ولكنى أشعر بالاشفاق على القضاة الذين سيضطرون إلى اتخاذ قرار مبنى على قانون ، أطلق عليه اسم چيسو . قالت سيمون ڤيل عن ذلك القانون : «إنه قانون من شأنه إضعاف الحقيقة التاريخية عن طريق محاولة إعطائها قيمة قانونية» .

كانت تلك هى آراء القس پيير ، ياسيد أيدنبون ، بعد أن قرأ الكتاب .

إنه قانون صوت ضده شيراك ، وكل من چوبيه وسيجان ودينيو وچون ديجول وبار وبالادور ، والوزراء الحاليين مثل وزير العدل توبون ، ووزير الداخلية ديبريه ، وأكثر من ٢٥٠ نائبا . أما ليكرا ، وهى مختصر اسم «الرابطة الدولية ضد العنصرية ومناهضة السامية» فتتمتع منذ يوليو عام ١٩٧٢ بامتياز كبير يعطيها السلطة فى تحديد من هو العنصرى ومن ليس عنصريا (الجريدة الرسمية ، الجمعية الوطنية ، الجلسة الثانية بتاريخ ٢ مايو عام ١٩٩٠ . تصريحات چاك توبون ص ٩٣٦ و٩٤٨) .

الحركة الصهيونية ، وكل زعمائها الأقوياء المتواجدين فى الولايات المتحدة ، والذين يؤثرون بقوة فى الانتخابات الأمريكية ، يريدون امتلاك كل الأراضى التى ذكرتها التوراة : من النيل إلى الفرات .

فى كل المراكز الاستراتيچية الخاصة بسياسات تلك الدول ، تمتلك الحركة الصهيونية عملاءها السريين ، فى فرنسا ، كما فى الدول الأخرى ، ويوما بعد يوم تظهر عنصرية وإمپريالية فكرهم تجاه الفلسطينيين .

وتتحول أساليبهم أكثر فأكثر إلى أساليب الطغاة، منذ اغتيال برنادوت إلى رابين. . . والمذابح: دير ياسين وصابرا وشاتيلا والخليل وقانا. . .

وأخيرا، فإن التبشير فى الجيش الإسرائيلى يعتمد تماما على رجال الدين الصهاينة. فيقوم الجنود بترديد الهدف: الإمبراطورية التى حددها سفر التكوين، وينادون معا بلا توقف: على أن نحذو حذو يشوع(*).

فى مشروع مجنون كهذا، لن تستطيع بالتأكيد الدولة الإسرائيلية ولا حتى ملجأ فلسطينى أن يستمرا.

من الواضح أن عددا كبيرا من المواطنين الإسرائيليين يعارضون مثل هذا المشروع، لأنهم يريدون السلام.

وأخيرا، لابد ألا نتجاهل أن هيرتزل، وعددا من كبار المسئولين فى الدولة الإسرائيلية اليوم، يعترفون أنهم علمانيون، ومع ذلك يرجعون إلى التوراة ليكتسبوا منها ما يريدون.

أين فى كل ذلك الأمل فى السلام؟ هل ستنجو إسرائيل من حرب أهلية؟ ليس من الممكن أن ننسى أنه فى محاكمة مماثلة، رفعتها تلك الرابطة، ضد فوفيه (لوموند) وجارودى وقس ومبشر دينى، رفضت الدعوة مع إلزام المدعى بالنفقات. إن بنود قانون چيسو هى بالتأكيد فريدة وعبثية، وتضع القضاة فى وضع مستحيل كما يقول السيد

(*) اقرأ فى سفر يشوع فى العهد القديم، المذابح التى أفنى بها سكان المدن من شيوخ ونساء وأطفال، وحتى الحيوانات.

توبون (الجريدة الرسمية، الجمعية الوطنية، الجلسة الثالثة، بتاريخ ١٢ يونيه عام ١٩٩١، ص ٣٥٧٢) الذى أكد أنه «قانون غير قابل للتطبيق». وأن اتخاذ قرار بـ«حفظ القضية» سيكون القرار الوحيد الجدير بنظامنا الديمقراطى.

وفى الوقت نفسه، أرسل لى يهودى منوحين خطابا من عشر صفحات قال فيه:

عزيزى جارودى

إننى ممتن لرسالتك العظيمة، والمتفاهمة، وإننى أشاركك إحباطاتك وخيبة أملك فى الأحداث التى تقودنا للأسف نحو مستقبل مضطرب.. (وقد أرسل لى مع الخطاب مقالا نشره فى صحيفة هاارتس الإسرائيلية حول القدس، كما ذكر الكتاب الجميل الذى كتبه والده الحاخام موشى منوحين حول «انحطاط اليهودية» والذى أدان فيه بشدة الصهيونية، وتوقع سياسة الحرب) وقال: مما لا شك فيه أن والدى كان لديه حس مستقبلى واضح، وتوقع التطورات التى نعيشها اليوم بكثير من الرعب والمخاوف.

وأضاف:

أتسمح لى أن أقول لك إنك نسخة أخرى من والدى، ولكن فى الفكر الإسلامى.

إننى لا أعرف ما هى الليكرا، ولكن أحطنى دائما بالأحداث، وأنا على استعداد دائما لإبلاغك رأى فى كتاباتك الجيدة.. وتجربتى الخاصة مع نزاهتك.

كانت تلك هى رسالته.

أضف إلى ذلك أن فى برقية من وكالة أنباء «الأسوشيتد پرس» بتاريخ ١٠ سبتمبرعام ١٩٩٦ ، جاء أن الحاخام آلمر بيرچيه ، الرئيس السابق لرابطة «من أجل اليهودية» فى الولايات المتحدة ، ومؤسس نشرة «بديل للصهيونية» قرر كتابة المقدمة للنسخة الأمريكية لكتابى «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» .

* * *

ماذا كان رأى كبار الشخصيات اليهودية فى العالم : أينشتاين ومارتن بوبير وچودا ماجنيس ، مؤسس الجامعة العبرية بالقدس ، والپروفيسور لايبوفيتس ، مدير «الموسوعة اليهودية» والمؤرخين الكبيرين فى تاريخ مناهضة السامية ، برنار لازار وهانا أرندت .
ألبرت أينشتاين منذ عام ١٩٣٨ يدين ذلك التوجه ، فقال :

«فى رأى أنه من المنطقى أن نصل إلى اتفاق مع العرب لبناء أساس حياة مشتركة سلمية، أفضل من أن ننشئ دولة يهودية.. فإن إحساسى باليهودية يتعارض مع فكرة إقامة دولة يهودية ذات حدود وجيش ومشروع سلطة دنيوية، مهما كانت تلك الفكرة بسيطة. إننى أشعر بتخوف من الخسائر الداخلية التى ستعانى منها اليهودية بسبب تنمية المشاعر القومية المركزة فى صفوفنا..».

كما أعلن مارتن بوبير فى نيويورك قائلا: «إن المشاعر التى انتابتنى حينما انضممت إلى الحركة الصهيونية قبل ستين عاما، هى نفسها التى أشعر بها الآن.. كنت أتمنى ألا تحذو تلك القومية نفس الطريق الذى سارت فيه القوميات الأخرى ـ والتى تبدأ بآمال كبيرة ـ ثم تتدهور لتصبح أنانية مقدسة، كما قال موسولينى «sacro egoismo»، كأن الأنانية الجماعية تعتبر أكثر تقديسا من الأنانية الفردية.. وعندما عدنا إلى فلسطين كان السؤال الملح هو: «هل تريد أن تأتى هنا كصديق، أم كأخ، أم كعضو فى جماعة شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمارية والإمبريالية؟»».

فى عام ١٩٤٦، ألقى چودا ماجنيس، رئيس الجامعة العبرية بالقدس منذ عام ١٩٢٦، خطابا فى الاحتفال ببدء الدراسة قال فيه:

«صوت اليهود الجديد يتحدث بلسان البنادق.. تلك هى التوراة الجديدة. لقد ارتبط العالم بجنون القوة المادية. ولكن السماء تحمينا من أن ترتبط اليهودية وشعب إسرائيل بذلك الجنون الآن.

إننا لا نستطيع أن نوقع عقدا مع مجتمع أصبحت فيه القومية عقيدة مفروضة.. وفى ضوء رؤيتنا العالمية لتاريخ المصير اليهودى، ولأننا قلقون على الوضع الأمنى لليهود فى مناطق أخرى من العالم، فإننا لا نستطيع أن ننضم إلى الاتجاه السياسى الذى يسيطر على البرنامج الصهيونى الحالى، ولن نؤيده. إننا نعتقد أن القومية اليهودية تعمل على خلق الفوضى بين شركائنا فيما يخص وضعهم ودورهم فى المجتمع، وتحرف من دورهم التاريخى: وهو الحياة داخل مجتمع دينى فى أى مكان يتواجدون فيه».

بالنسبة لى شخصيا ، فإننى لم أنتبه إلا متأخرا للتعارض الراديكالى بين الصهيونية واليهودية ، والتناقض الأساسى داخل الصهيونية : فقد نشأت القوميات فى أوروبا فى القرن التاسع عشر واعتنقها ثيودور هرتزل ، ولإيجاد مبرر قوىٍّ لها ، احتاجت تلك العقيدة السياسية التى أطلقها العلمانيون أمثال هرتزل نفسه ، وبن جوريون وجولدا مائير وكل المؤسسين للصهيونية ، إلى استعادة النصوص التوراتية (أو هكذا يصفونها) لأرض الميعاد . لم يكن من الممكن إذن أن يتطوروا إلا بمساعدة أكثر العبارات تتطرفا فى التوراة من أجل إقناع العالم أن أرضا مغتصبة هى أرض الميعاد .

إنهم يطالبون بملكية تلك الأرض التى يزعمون أن الله ـ الذى لا يؤمنون به ـ منحهم ، إياها . وبالنسبة لى ، فلم أتمكن من فهم ذلك التناقض إلا بعد أن تعاملت مع نتائجه الإجرامية .

منذ عام ١٩٣٣ ومن خلال قراءتى للكتاب المقدس ، دخلت إلى العائلة الإبراهيمية العالمية الكبرى ، ولم أتخلَ عنها منذ ذلك الوقت . فقد تعلمت من تضحية إبراهيم أن القيم الصغيرة التى نتبناها ، ومنطقنا المحدود ، لا يستوعب كل تلك القيم النهائية والإلهية التى تتجاوزنا .

لقد تعلمت ، من نصوص سفر «الخروج» ، ما أطلق عليه فيما بعد ، «لاهوت التحرير» ، بالنسبة إلى كل ما له علاقة بعمليات القمع والاستبداد .

وتعلمت من ملحمة يشوع أن الرجل الذى يسكن فيه الله، هو رجل لا يقهر، وهو قادر ـ حسب النص الدينى ـ أن يوقف حركة الشمس أو أن يدمر الشر بين البشر، وذلك رغم أن النص كتب باللغة البدائية لذلك العهد، لأن الإله لا يتحدث إلى الإنسان إلا من خلال الرموز، والإنسان لا يتحدث عن الله، إلا بالتعبيرات المجازية.

ومن خلال الإيمان العميق بذلك، وخلال وجودى فى معسكرات الاعتقال مع برنار لوكاش مؤسس منظمة ليكا (التى أصبح اسمها فيما بعد ليكرا)، قمنا معا بتنظيم حلقات دراسية سرية طوال الليل لدراسة أنبياء بنى إسرائيل.

وبعد فترة، بدأت أدرك قيام الصهيونية بتحويل الأساطير الكبرى إلى تاريخ غير صحيح، بهدف تبرير سياسة قومية عنصرية للتوسع الاستعمارى.

فلقد تحول العهد العظيم الذى قطعه إبراهيم لتحقيق الاتحاد بين الله والإنسان، وبين «كل عائلات الأرض» كما يقول الكتاب المقدس، إلى مجرد عهد بأرض، وذلك حسب الطقوس القبائلية السائدة لدى كل آلهه كنعان فى ذلك الزمان!

وتحولت الأسطورة الكبرى للخروج، النموذج الأول لكل حركات التحرر العالمى، إلى مجرد معجزة على قوة رب الجيوش، ورب الانتقام، الذى يدعو إلى ذبح الشعوب الأصلية رجالاً ونساء وشيوخًا وأطفالاً، بل وحتى الحيوانات!

في عـام ١٩٧٤ ، وفى صحـيفـة يديعـوت أحـرونوت ، اسـتخـدم مناحم باراش النصوص الدينية لكى يفسر التصرفات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين ، فقال عنهم :

«هذا الطاعـون الذى أنكرته التوراة.. لأنهم اسـتولوا على أرض الميـعاد التى وعـدنا بهـا رب إبـراهيم. يجب علينا أن نكـون مـثل يشـوع من أجل استعادة أرض إسرائيل والاسـتقرار فيهـا كما أمرنا الكتـاب المقدس.. ليس هناك مكان على تلك الأرض لشعب آخـر، إلا شعب إسرائيل. وهذا يعنى أن علينا طرد كل هؤلاء الذين يعيشون عليها.. إنها الحرب المقدسة التى دعا إليها الكتاب المقدس».

عندمـا كنت أسـتـمع إلى البـرنامج الـدينى الـيـهـودى الـذى يـذاع فى التليـفزيون الفرنسـى صباح الأحـد ، والـذى تـذاع فيه أحـاديث عـن الصـفـات الأخـلاقية والروحـية ليشـوع ، أجد نفسـى مضطراً لأن أسـتـخلص أن «تشـويه الـرمـوز فى النصـوص الـدينيـة ، يـؤدى إلى الجريمة» .

ويجب أن نقـول لهذا النوع من المنشقين ، ما قاله چان چاك روسـو فى روايته إميلى : «إلهكم ليس إلهى. فـمن يختار شـعب واحد من أجل تدمير كل الشعوب الأخرى فهو ليس إله البشرية كلها» .

هكذا انـضـمـت الصـهـيـونيـة إلى القـانون العـام للتـعـصـب الذى يستخدم الدين من أجل تبرير سياساته . «الفرنسيـون هم الذين ينفذون أعمـال الله» منذ الحروب الصليبيـة إلى الاحتلال الاسـتعـمارى...، «الله معنا»... قـالتها قـوات بيسمـارك وهتلر من أجل الانتصـار بالحديد والنار.

«إننا لدينا مهمة مقدسة للحضارة»... قالها حكام جنوب إفريقيا لتبرير سياستهم في الفصل العنصرى. أما مستعمرو أمريكا المتدينون، فكانوا يذكرون يشوع ومهمته المقدسة في القضاء على الفلسطينيين والأمم الأخرى، عندما حاربوا للقضاء على الهنود». (توماس نيلسون ــ المتطهرون في ماساشوستس. اليهودية. المجلد السادس عشر رقم ٢ ــ ١٩٦٧).

والصهيونية الإسرائيلية لا تبعد كثيرا عن تلك القواعد، ولكنها تضيف أيضا ذلك التناقض الغريب الذى يعكسه زعماؤها العلمانيون: إنهم يزعمون أن تلك الأرض أعطاها لهم إله لا يؤمنون به!

ولقد فسر ناتان فاينستوك هذا التناقض في كتابه : الصهيونية ضد إسرائيل، فقال:

ليس للصهيونية أى أساس أو مرجعية يُعتد بها، إلا بالرجوع الانتقائى للعهد القديم. فسيؤدى إلغاء الإيمان «بالشعب المختار» و«أرض الميعاد»، سيؤدى إلى انهيار أسس الصهيونية، لهذا السبب تضع الأحزاب الدينية كل قوتها، رغم اختلافاتها وخلافاتها، للتعاون مع الصهيونية التى لا تعلم شيئا عن الله. لقد أدى التماسك الداخلى للبناء الصهيونى الإسرائيلى إلى فرض سلطة رجال الدين. إنه حزب مباى (الديمقراطى ـ الاجتماعى)، وليس الأحزاب الدينية، الذى فرض بناء على اقتراح بن جوريون، تعليم الدين في المدارس (الصهيونية ضد إسرائيل. ماسبيرو ١٩٦٩ ص ٣١٦).

مشروع هرتزل الاستعمارى

ثيودور هرتزل، مؤسس الصهيونية، يمثل أفضل صورة لهذا الانحطاط للأساطير وتحولها إلى تاريخ مزيف فى خدمة القومية.

لا يخفى هرتزل علمانيته، ففى مذكراته (المجلد الأول، ص ٢٧٠ من النسخة الإنجليزية) كتب يقول فى ٢٣ نوفمبر عام ١٨٩٥ : «**لقد أبلغت الحاخام الأكبر فى لندن، كما قلت للحاخام الأكبر فى باريس، زادوك كان، إننى لن أطيع أيًا من التعاليم الدينية فى مشروعى**».

«٢٦ نوفمبر ١٨٩٥ : آشر مائيرز (من الچويش كرونيكل بلندن)، سألنى : ما علاقتك بالتوراة؟»

«فأجبته : إننى مفكر حر».

كان مشروعه استعماريًا بحتًا. كتب هرتزل إلى سيسيل رودس فى يناير عام ١٩١٢ (المجلد الثالث، ص ١١٩٤) : «لماذا أتوجه إليك؟ لأنه مشروع استعمارى. وأنا أطلب منك أن تعطى المشروع الصهيونى كل الثقل الذى تمثله سلطتك».

لقد كان هذا المشروع يهدف فى حقيقته إلى تشكيل شركة بميثاق، تحت حماية قوة استعمارية كبرى مثل إنجلترا، أو ذات طموحات استعمارية، كما فعل فى البداية سيسيل رودس، على أن تكون فى أى مكان: سواء فى أوغندا أو موزمبيق أو الأرجنتين أو قبرص أو ليبيا.

ولكن أشار عليه أصدقاؤه أن فلسطين تمثل فعل السحر لعملية تعبئة أكثر فاعلية.

وقرر هرتزل، الدپلوماسى الواقعى، تأييد اقتراحهم من أجل استخدام ما أطلق عليه «الأسطورة القوية» (المجلد الأول ص ٥) أسطورة «العودة»، والتى بالنسبة له تمثل مجرد أسطورة، ولكنها بالنسبة لليهود المتدينين، قوة محركة.

لم تمثل فلسطين بالنسبة له إلا معنى دينيا بسيطا، فقد كتب يقول: «أستطيع أن أقول لك كل شىء عن «أرض الميعاد»، باستثناء المكان التى ستوجد فيه؟!. علينا الأخذ فى الاعتبار كل العوامل الطبيعية.. فمن أجل تجارتنا العالمية فى المستقبل، علينا أن نكون فى مكان بالقرب من البحر، ومن أجل تحقيق الميكنة الزراعية يجب أن نحصل على أرض واسعة قابلة للامتداد.. والقرار سيتخذه مجلس إدارتنا». (١٣ يونيه عام ١٨٩٥ المجلد الأول ص ١٣٣).

ذلك هو أصل الصهيونية.

أما المعنى الرسمى، فيوجد فى «موسوعة الصهيونية وإسرائيل» التى صدرت فى نيويورك فى دار هرتزل بووكس للنشر فى عام ١٩٧١، تحت رعاية الرئيس الإسرائيلى سلمان شازار. وتحت كلمة

الصهيونية، (ص ١٢٦٢ المجلد الثانى) تجد التفسير التالى: «مصطلح ظهر فى عام ١٨٩٠، وأعطى للحركة التى تضع هدفا لها عودة الشعب اليهودى إلى أرض الميعاد (فلسطين). منذ عام ١٨٩٦، ارتبطت كلمة «الصهيونية» بالحركة السياسية التى أسسها ثيودور هرتزل».

عندما أسس ثيودور هرتزل تلك الحركة السياسية، قوبل بمعارضة الغالبية العظمى من اليهود والحاخامات.

الدليل: خصص ثيودور هرتزل الجزء الأكبر من المجلد الأول فى يومياته، والذى يغطى الفترة من عام ١٨٩٦ إلى عام ١٨٩٨، للإجابة عن تصريحات الحاخامات الزعماء فى ذلك الوقت ـ مثل الدكتور جودمان، الحاخام الأكبر فى ڤيينا، والدكتور مايبربوم، رئيس اتحاد الحاخامات الألمانى، والدكتور فوجيلشتاين، مؤسس ورئيس اتحاد الحاخامات الليبراليين وحاخامات بيلسن ستيتن، الحاخام الأكبر آدلر بلندن، والحاخام بلوك فى بروكسل. كما خصص جزءاً كبيراً للإجابة على تصريحات كلود مونتيفيورى، رئيس الحركة الليبرالية اليهودية. وأخيرا الإجابة عن تصريحات اللجنة التنفيذية لاتحاد الحاخامات بألمانيا، الذى وقعه حاخامات برلين وفرانكفورت وبريسلاو وهالبرشتاد وميونيخ، والذى ينتقد «الأفكار الخاطئة» عن «مبادئ اليهودية والمشاريع الخاصة بالمؤمنين بها».

وقد قام روفوس ليرسى، بتلخيص رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية الأوروپية على رسالة هرتزل فقال: «المنظمات اليهودية المهمة فى أوروپا الغربية ـ مثل الاتحاد اليهودى العالمى بفرنسا، وفرعها فى النمسا،

ومنظمة إزرائيليتش اليانز، واتحاد الجالية اليهودية بلندن ــ اعترضت على المشروع.. » (روفوس ليرسى: إسرائيل ــ تاريخ الشعب اليهودى. ــ كليفلاند. ١٩٦٦ ص ٥٢١ ــ ٥٢٢).

وفى تلخيصه لذلك الانتقاد اللاهوتى المهم، قال الحاخام هيرش فى صحيفة واشنطن پوست بتاريخ ٣ أكتوبر عام ١٩٧٨ : «**الصهيونية تتعارض كليا مع اليهودية. فالصهيونية تريد تعريف الشعب اليهودى ككيان قومى.. إن ذلك يعد هرطقة**» .

واستمرارا لذلك الانتقاد اللاهوتى للصهيونية (والذى آثرت ألا اقوم به احتراما للديانة اليهودية، وتركت ذلك إلى الحاخامات الذين يعدون أقدر منى على القيام بتلك المهمة) فإننى أسترجع فقط موقفها الدينى فى أول سطر من كتابى :

«هذا الكتاب هو تاريخ هرطقة» .

الحاخام آلمر بيرچيه : ندد فى مؤتمر عقد فى جامعة لايدن (هولندا) فى ٢٠ مارس عام ١٩٦٨ ، بالتأليه المزدوج للأرض والعرق وقال :

«صهيون ليس مقدسا إلا إذا هيمن عليه القانون الإلهى . وذلك لا يعنى أن كل قانون كتب فى القدس هو قانون مقدس . إن الأرض ليست وحدها كفيلة بتحقيق الاتحاد مع الله ، فالشعب الذى عاد إلى صهيون ، مفروض عليه نفس مطالب العدالة والاستقامة والإخلاص للاتحاد مع الله .

صهيون لا يستطيع انتظار عودة شعب يعتمد على المعاهدات والائتلافات والعلاقات العسكرية للقوة، أو على طبقية عسكرية تبحث عن فرض هيمنتها على جيران إسرائيل.

فقط الاتحاد الإلهى، الذى يعبر عن نفسه من خلال تصرفات شعبه، يعتبر مقدسا وأهلا لصهيون.

أما دولة إسرائيل الحالية، فليس لها أى حق فى الادعاء أنها الإنجاز الأخير للمشروع الإلهى من أجل عصر دينى.

إن ذلك يعتبر غوغائية بحتة، للتربة وللدم.

فلا الشعب ولا الأرض مقدسان، ولا هما جديران بأى تميز روحانى عن العالم».

إن استخدام الدين كأداة سياسية من أجل تأمين العملية الاستعمارية، مسألة واضحة بالنسبة لهرتزل. فهذا العلمانى، كما يطلق على نفسه، كتب يقول: «الحاخامات سيكونون أعمدة منظمتى.. فهم يكونون طبقة نفخر بها، ولكنهم سيبقون دائما تحت سلطة الدولة». (١٤ يونيه ١٨٩٤ المجلد الأول، ص ١١٤).

إن الهدف قومى.

وفى حديثه الذى أجراه مع زادوك كان الحاخام الكبير فى باريس يوم ١٦ نوفمبر عام ١٨٩٦، أوضح قائلا: «على المرء أن يختار ما بين صهيون وفرنسا». (ص ٢٧٢). وأضاف قائلا فى ١٨ نوفمبر: «الفرنسيون اليهود - لو كان هناك منهم - ليسوا فى نظرنا يهودا، وقضيتنا ليست لها صلة بمشاكلهم» (المجلد الأول ص ٢٧٥).

وهكذا استبعد هرتزل الديانة اليهودية واعتبرها غريبة على المشروع الصهيونى . وكان المهم عنده هو تجميع اليهود فى دولة واحدة . ولهذا اعتبر معاداة السامية حليفا فاعلاً لأنها تدفع اليهود إلى الهجرة . كان هرتزل يدرك تلك المسألة تماما ، فكتب يقول : «معادو السامية سيكونون أفضل حلفائنا» (المجلد الأول ص ٣٨٧).

كما قال على سبيل المثال للوزير الروسى فون بليف ، غداة المذبحة البشعة التى جرت فى كيشينيف ، والتى نظمها بنفسه ، إنه سيخلصه من ثواره اليهود (المجلد الأول ص ٣٨٧).

ولكن قبل كل شىء ، فإن المسألة تستهدف استغلال التنافس الاستعمارى للقوى الكبرى : فقد تعهد للإنجليز بحماية الطريق المؤدى إلى الهند ابتداء من أوغندا ، أو فلسطين ، التى تقع عند مفترق طرق ثلاث قارات ، وذلك فى تعارض مع أهداف الألمان فى الشرق الأوسط ، وفى الوقت نفسه تعهد لغليوم الثانى بحماية مشروعه «برلين ـ بغداد» وذلك ضد الإنجليز .

وتقدم هرتزل باقتراح للمنافسين اللذين يأملان تقسيم ممتلكات الرجل المريض ، أى الإمبراطورية العثمانية ، لحماية شركته ذات الميثاق : «قوة أخرى تستطيع مساعدة تلك الحركة . تصورت فى البداية أنها قد تكون إنجلترا . ولكنى سأكون سعيدا إذا كانت ألمانيا» (المجلد الأول ص ٢٣٤).

فى ١٩ أكتوبر عام ١٨٩٨ ونتيجة لهذا الابتزاز ، حصل هرتزل على مقابلة مع القيصر ، وكتب يقول : «عندما اقترحت عليه

مشروعى، الشركة ذات العهد والحماية الألمانية، وافق عليه» (المجلد الأول ص ٢٦٧).

وقد ألمح هرتزل أمام القيصر بالدور الذى تستطيع أن تلعبه الصهيونية من أجل تخليصه من الاشتراكية. ولكن كانت مخاوف القيصر تتركز فى شىء واحد، وهو «ألا يريد اليهود مغادرة ألمانيا إذا شعروا بأنهم تحت حماية القيصر!» (المجلد الأول ص ٢٦٨).

ولكن هرتزل كانت لديه الإجابة عن ذلك. ففى أبريل عام ١٨٩٦، واجه دوق دى باد الذى أعرب له عن مخاوفه من أن «يتهم بمعاداة السامية إذا ساند قضيتنا» (ص ١١٨)

قائلا «سيستقبل اليهود الألمان حركتنا بصدر رحب. لأنها ستحول عنهم التدفق اليهودى القادم من أوروبا الشرقية» (ص ١٢)

ولكن بعيدا عن تلك المساومات، كانت أهم عملية دبلوماسية لهرتزل هى اكتشافه القاسم المشترك بين كل المستعمرين الغربيين. وذكر فى كتابه « الدولة اليهودية» (الناشر ليبشوتز باريس ١٩٢٦ ص ٩٥) يقول:

«من أجل أوروبا، سوف نبنى هناك حاجزًا فى مواجهة آسيا، سنكون حراس المقدمة للحضارة ضد البربرية!».

منذ ذلك الحين، أصبح إقامة دولة تلعب هذا الدور فى الشرق الأوسط، على المدى القصير والمدى الطويل، مسألة تضمن مساندة كل المستعمرين الغربيين.

الفصل الثالث

النتائج السياسية لعبادة القومية

سنرى فيما يلى نتائج تلك السياسة فى ظل حكم هتلر : التعاون بين معادى السامية والصهيونية! الأمر الذى ساعد على «تفريغ ألمانيا من يهودها» ، وذلك على حساب «الألمان اليهود» الذين صب عليهم جمّ غضبه لأنهم قرروا البقاء فى ألمانيا ، حيث كانوا يحترمون دينهم وثقافتهم .

بالرغم من ذلك ، سيظل هذا المطلب الدينى الزائف مرتبطا بالسياسة الداخلية والخارجية للصهيونية ، حتى يتحقق لها التوحد باسم التميز المقدس .

ولقد اتهمت أنا ، على سبيل المثال ، باسم ذلك التوحد اللاهوتى ، بالتقليل من شأن جرائم النازية لأنى ربطتها بتاريخ العالم ، وليس فقط بالتاريخ اليهودى . إنه نفس الاتهام الذى وجه إلى برنار لازار ، ثم إلى هانا آرندت لأنها تحدثت عن «تفاهة الشر» .

إن المرء ليجد نفسه متهما دائما بالتقليل من شأن الجرائم النازية عندما يعيد تقديم «الشوا» ـ وهو القمع الدموى الذى تعرض له

المواطنون اليهود على يد معادى السامية الهتلريين ـ أى عندما يحاول مناقشته فى إطار التاريخ العالمى .

إن كتابى ينتقد بشكل مستمر المذابح البشعة التى ارتكبتها النازية . لم أفكر أبدا أن أنكرها .

وينتقد كتابى بلا توقف «تخطيط هتلر الوحشى» (ص ٢٦ و٢٥١) وتوحشه (ص ٩٧) ، «فجرائمه الضخمة ليست فى حاجة لأية أكاذيب وتهويل وتضخيم من أجل الكشف عن بشاعتها» (ص ١٣٥) ويعد أن كتبت أصف «الأوضاع البشعة التى أسفرت عن عشرات الآلاف من الضحايا» كتبت فى النهاية أقول :

«كانت تلك هى المأساة التى عاشها المهاجرون اليهود والسلافيون تحت قسوة الزعماء الهتلريين ، ومعاملتهم لهم كعبيد بلا أية قيمة إنسانية» (ص ٢٥٧)

أضفت قائلا : (ص ٢٥٧) : «هذه الجرائم لا يمكن أن نقلل من شأنها ، ولا معاناة الضحايا التى لا يمكن وصفها» .

«مما لا شك فيه أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية الخاصة بسمو العرق الآريانى» (ص ١٥٢) .

ولكنى ارتكبت جريمة لا تغتفر فى نظر الصهيونية : فقد قمت بدراسة «الشوا» كحدث تاريخى ، أى فى إطار التاريخ العالمى ، الذى للأسف ارتكبت فيه أعداد كبيرة من «الشوا» : فكان هناك «شوا» الهنود الأمريكيين و«شوا» استعباد الأفارقة ، و فى العصر القريب هناك «شوا» ڤيتنام والعراق ، والعديد منها فى رواندا . إن انتشال

الصبغة الإلهية عن تلك الكارثة التاريخية كان غير محتمل بالنسبة لهؤلاء الذين أرادوا أن يصنعوا منها قمة لاهوتية، ليس لها علاقة بالتاريخ.

ما هي الافتراضات التي بنى عليها هذا الغضب، والذي دفعهم إلى الادعاء بأن «الشوا» حدث لا مثيل له، حسب تعبير روى أيسكارك، في عام ١٩٧٤ في كتابه : هل الهولوكوست لا مثيل له؟»

إن المسألة تتعلق بالنتيجة الطبيعية لعقيدة الشعب المختار، والرغبة كما تقول هانا آرندت، في تقديم الجانب اليهودي فقط من التاريخ.

إن المذابح التي ارتكبها هتلر ضد اليهود عمل لا مثيل له، وغير مسبوق، وخارج التاريخ، لأن الله هو الذي قدر له ذلك عن طريق اختياره لشعب لا مثيل له، فوق البشرية، وقوانينها، وتاريخها : «أن تكون يهوديا، هو أن تكون أكثر إنسانية»، كما كتب ستايز «والمرء يعد أكثر إنسانية، إذا كان يهوديا»، أضاف الحاخام أيزنبرج (مدير البرامج اليهودية في قناة أنتان ٢)، في كتابه ـ تاريخ اليهود. وتقول إيلي فايزيل، في كتابها «احتفالات تلمودية» : «اليهودي هو أقرب إلى الإنسانية من أي شخص آخر».

فعلى أي جانب تمارس العنصرية والتفرقة العنصرية؟

القس جريجوار حداد كتب في نشرة بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٩٩٦ يقول : «مذبحة يهودي واحد بيد النازية أمر غير مقبول.. ولكن تقديس تلك المذبحة، وتلك «الشوا»، ذلك أيضا غير مقبول.

فـ «الشوا» حدث تاريخي بغيض، وفظيع، بالنسبة للأموات وللناجين ولأهاليهم، وبالنسبة للإنسانية كلها، ولكنها في النهاية

حدث تاريخى، مسألة تستحق الدراسة والتحليل والإحصاء، مثل كل حدث تاريخى آخر. ولكن أن نصنع منه ظاهرة مقدسة، ومسألة لا يمكن المساس بها، فهذا يجعلنا نقدسها.. فما الذى تكشفه عملية تقديس الشوا؟ الخوف؟ الاهتمام بالمكانة أو بالمال؟ أم الاثنين معا؟».

وقال مضيفا، «إن القتل الجماعى، والمذابح الجماعية، والتى أطلق عليها تعبير «الشوا» والهولوكوست (المحرقة) لم تقدس فحسب، بل وتم احتكارها».

«إن «الشوا» اليهودية هى مذبحة بشعة، ولكنها لم تكن الوحيدة فى التاريخ، حتى فى التاريخ الحديث.. فهناك ضحايا آخرون للنازية.. والذين وصل عددهم إلى ٦٥ مليون شخص. وهناك الفلسطينيون، هؤلاء من حقهم طلب تعويضات من الذين قضوا على أجدادهم. ولكن ليس هناك روشته «للشوا» الفلسطينية، والفلسطينيون تناسوا الماضى».

أما الصهاينة فلهم وسائل قوية لتذكير العالم كله بمأساتهم، مثل الوسائل السياسية والمالية والإعلامية والمرئية والخفية. هناك مطرقة رائعة تستخدمها كل وسائل الإعلام ـ منها الأفلام الأسبوعية التى تعرضها الشاشات الصغيرة، والتى تقوم بعملية بشعة لغسيل المخ، مطرقة على شكل برنامج اسمه: «حتى لا ينسى أحد». والظاهرة الفريدة، بل غير المسبوقة، التى تنتج عن هذا الإحساس بالذنب، هى التعويض السنوى والدائم الذى يجرى تسديده لإسرائيل.

هذا الاستغلال للدين، سواء عن طريق المتطرفين الدينيين أو العلمانيين، هو الأساس لكل الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.

الحاخام موشى منوحين، (والد الموسيقار) فى كتابه : «انحطاط اليهودية»، الانحطاط الذى أدت إليه الهرطقة الصهيونية، كتب يقول : «تشعر الشعوب اليوم بالاشمئزاز من فكرة العرق السامى، والشعوب المختارة، الحمل الذى على أكتاف الرجل الأبيض، التوحد مع الله وأراضى الميعاد. . . إنها كلها مزاعم يتم اليوم استغلالها عن طريق القوى الغازية ضد الشعوب الأضعف. . » (ص ٢٤٤). «لم يعد لديهم غير إله واحد : هو الفضاء الحيوى (ليبنسروم) التعصب القومى» (ص ٤٩٦). وأوضح أنه على النقيض من عالمية أنبياء اليهود، جاء التفسير القبائلى والقومى للتوحد وللشعب المختار، عن طريق هؤلاء الذين أطلق عليهم «البربر القبائليون» أمثال بن جوريون وموشى دايان وكل العصابة العسكرية التى قامت بتضليل إسرائيل« (ص ١٣ «رومانى») وحولوا الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية فى العالم كله إلى «أدوات للحكومة الإسرائيلية» (صفحات ٣٥٠، ٤٢٩، ٤٥٧) بنفس العقيدة العنصرية التى كان يعتنقها معادو السامية. (ص ٣٠٨).

صفحة ٦٠٥. «إن قلبى يتمزق إزاء كل تلك الأدلة على الانحطاط المستمر لليهودية الحالية : اليهودية العالمية، الأخلاقية والإنسانية التى كانت لأنبيائنا، الذين حولتهم الصهيونية لقوميين، هؤلاء الإسرائيليون الذين يريدون بنهم الـ «ليبنسروم»، الفضاء الحيوى. . أود أن أقول لهم : عودوا إلى آلهة أبائكم، إلى اليهودية المنزلة، ارفضوا نظام النابالم. عودوا إلى الحدود التى منحتها لكم الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧ على حساب أهل الأرض الأصليين من العرب، وعيشوا حياة بناءة وليست هدامة».

نفس التحليل قدمه البروفيسور إسرائيل شاحاك، بالجامعة العبرية بالقدس: (عنصرية دولة إسرائيل ص ٧٦) : «الحكومة الصهيونية تستغل الديانة اليهودية من أجل أهداف سياسية».

وقد قدم القس حداد العلاج لذلك التطرف البحت والدموى، فاقترح قائلا:

«مفهوم جديد لفكرة «الشعب المختار» الذى لا يعتبر الشعوب الأخرى كشعوب «لا مختارة» لإله غير عادل، ويقوم بالتفرقة العنصرية.

الكنيسة الكاثوليكية، التى أصرت فى مجمع الڤاتيكان ٢، على هويتها الطائفية حتى تميزها عن الشكل المؤسسى، أعادت اكتشاف كلمة «شعب الله». وخلال وجودى فى الجلسة الأخيرة عام ١٩٦٥، اقترحت فى إطار طلب تعديل، استبدال تعبير «شعب الله» بتعبير «تلاميذ المسيح»، وذلك من أجل استبعاد كل العواقب التى يمكن أن تنبثق من «الشعوب الأخرى»، والتى قد لا تعتبر شعوب الله».

لقد أوضحنا ذلك تماما: أصل الصهيونية السياسية ليس له علاقة باليهودية التى تستغلها كقناع: فهى منذ هرتزل، النتاج الكامل للقومية والاستعمارية الأوروپية فى القرن التاسع عشر.

هكذا كتب البروفيسور كيميرلينج، بالجامعة العبرية بالقدس يقول: «هذا النظام ليس يهوديا ولا ديمقراطيا» (هاارتس ٢٧-١٢-١٩٩٦).

تلك كانت الأصول، أما العواقب السياسية فكانت مدمرة.

الفصل الرابع

التطهير العرقى: قمع وطرد الفلسطينيين

بداية، فإن تلك المزاعم الخاصة بالتميز الناتج عن الاختيار الإلهى تستخدم لتبرير احتلال الفضاء الحيوى وطرد أهل الأرض الأصليين، عن طريق تغليفها فى أسطورة، تلك التى تقول أن الفلسطينيين غادروا الأرض طواعية، بينما أدى فتح الأرشيف لأن يعيد المؤرخون الجدد، مثل بنى موريس، بناء الواقع التاريخى: الأوامر التى أعطيت للضباط الإسرائيليين بطرد السكان الموجودين منذ آلاف السنين بالقوة العسكرية، مثلما حدث فى دير ياسين، أعادت إلى الذاكرة «قوات النازى التى قامت بارتكاب مذابح ضد المدنيين».

وهكذا انهارت أول أسطورة: تلك الخاصة بمغادرة الفلسطينيين الأرض طواعية، حينما كان بن جوريون رئيسا للبلاد. عندما ذكر بنى موريس كلمة «الطارد الكبير» لم تعتبر تشهيرا، كما زعم عن مثل ذلك الذين يوجهون الاتهامات ضدى، ولكنها توصيف.

ثم انهارت ثانى أسطورة صهيونية: تلك التى تقول «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض» التى أطلقها زانجويل، والتى أقرتها جولدا

مـائير فى بيان نشرته فى صحـيـفـة الصنداى تايمز فى ١٥ يونيه عـام ١٩٦٩ قالت فيه : «ليس هناك شعـب فلسطينى.. فنحن لـم نأت لطردهم خارج ديارهم والاستيلاء على وطنهم. فهم لا وجـود لهم» .

ومن أجل الإقناع أن قبل إسرائيل كانت فلسطين مجرد «صحراء» قامت آلات البـولـدوزر بسـحق مـئـات القـرى بمنازلهم وحـقـولـهم ومدافنهم وقبورهم . هكذا كتب البروفيسور شاحاك فى عام ١٩٧٥ . (عنصرية الدولة الإسرائيلية ص ١٥٢) .

فمنذ فتح الأرشيف، استطاع المؤرخ بنى موريس أن يحدد أن ٤١٨ قرية فلسطينيـة من بين ٤٧٥ تم مـحـوها من على الخـريطة. أمـا بالنسبـة لعـدد الفلسطينيين الذين تم طردهم، «فاللجنة الإسرائيلية الخاصة بنقلهم» تحدثت عما يقرب من ٤٦٠ ألفا مع نهاية عام ١٩٤٨ . وفى نفس الفترة، أقر مكتب الغوث والعمل التابع للأمم المتحدة من أجل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) أن عدد الفلسطينيين المطرودين يصل إلى ٩٠٠ ألفا.

أمـا بالنسـبـة للمسـيـحـيين من الفلسطينيين ، فـقـد صرح البطريق اللاتينى فى القـدس ، حـول خــروج الكاثوليك ، أن عـددهم أصبح أقـل من عشـرة آلاف شخص ، بالمقارنة بأكثر من خمسين ألفا قبل عام ١٩٤٨ .

وأعلنت السـيـدة جـولدا مائير التى تدعى الشـرعيـة على أسـاس القـراءة المتطرفـة للتوراة ، فقـالت : «هذه الدولة وجدت لتحقيق العـهد الذى قطعـه الله نفسـه. ومن السـخرية أن نـطالبه بـكشف حساب حـول شرعيته!». (لوموند فى ١٥ أكتوبر ١٩٧١) ولكن نفس جولدا مائير تلك

أعلنت فى أثناء محاكمة شاليت، ضابط البحرية الإسرائيلى الذى تزوج من أيرلندية غير يهودية، والتى قدمت احتجاجا لأن الدولة رفضت منح ابنها صفة اليهودى: «أنا لست متدينة».

ها هى شخصية أخرى تدعى أنها حصلت على الأرض من رب لا تؤمن به. إننى اعتبر ذلك نكوث بالعهد ودجل: وذلك ليس «تشهير»، بل توصيف.

مثل آخر (وهناك أمثلة كثيرة ولكنى سألتزم بأشهرها) هو موشى دايان، الذى كتب فى صحيفة چيروزاليم پوست فى ١٦ أغسطس عام ١٩٨٧ يقول: **«طالما امتلكنا الكتاب المقدس، وطالما اعتبرنا أنفسنا شعب الكتاب المقدس، فعلينا أن نحتل كل الأراضى المقدسة»**.

تألق دايان فى حرب الأيام الستة، حيث أظهر أهدافه الحقيقية، والتى ليس لها أية علاقة بالدين: فقد أعرب فى رسالة كتبها، وأقرتها ابنته عضو الكنيست حاليا، حول الأسباب الحقيقية لغزو الجولان، ووجهها إلى صديقه الصحفى رامى تال فى عام ١٩٧٦ يقول فيها: «٨٠٪ ـ وهى بالتأكيد أكثر من ذلك ولكن دعنا نقول إنها ٨٠٪ ـ من الحوادث العسكرية (على خطوط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وسوريا) بدأت هكذا، أوضح دايان قائلا: «نرسل جرارا ليعمل فى أرض بلا أهمية فى المنطقة المنزوعة السلاح، ونحن نعلم أن الجنود السوريين سيطلقون النيران عليه. ولكن إذا لم يطلقوا النيران فنأمر الجرار بالاقتراب منهم أكثر إلى أن نثير أعصاب الجنود السوريين، فيطلقون النيران عليه. فى تلك اللحظة نستخدم المدفعية ثم الطيران. هذا ما جرى».

الچنرال ديڤيد الاثير ، الذى كان قائد المنطقة الشمالية ، وكان يشاهد الحرب الدائرة دون الاشتراك فيها ، أرسل وفدا من المستوطنين إلى ليڤى إشكول ، رئيس الوزراء الإسرائيلى فى ذلك الوقت ، وقاموا بتمثيلية كبيرة واستطاعوا إقناعه بضرورة بدء المعارك .
(لوموند ٢ يونيه ١٩٩٧) .

هل ذلك يعد بلا أهمية؟ . . تساءل رامى تال . . «بالطبع كان بلا أهمية» . هل كل ما أراده المستوطنون ، لم يتعد الأرض؟ سأله صحفى . فأجاب : «أنا أستطيع أن أؤكد لك تماما أن الوفد الذى توجه لإقناع رئيس الوزراء ليڤى إشكول بضرورة احتلال هضبة الجولان ، لم يفكروا فى أكثر من ذلك . كانوا يفكرون فى الأرض ، ولكنى تكلمت معهم ، إنهم لم يحاولوا حتى أن يخفوا أطماعهم فى تلك الأرض . وهو ما أعطاهم الحافز ، أما أنا ، فلم أقم بدورى ، كنت على قناعة أنه لا يجب أن نفعل ذلك ولكنى لم أوقفه .
(لوموند ٢ يونيه ١٩٩٧).

فى مذكرات أبا إيبان ، وزير الخارجية الإسرائيلى الأسبق ، عرفنا الدور الذى لعبته الأخلاقيات البسيطة فى سياسته التوسعية ، ولكن هذه المرة فى لبنان .

فى يومياته ، كتب موشى شاريت فى ١٦ يونيه عام ١٩٥٥ ، يقول إنه بالنسبة لموشى دايان «فإننا لم نجد فى دايان إلا الضابط. بل كابتن بسيط. وكان علينا أن نكسبه فى صفنا، أو شراؤه، حتى يقبل أن يعتبر نفسه منقذ الشعب المارونى. فى ذلك الحين سيتمكن الجيش الإسرائيلى من الدخول إلى لبنان واحتلال الأراضى الضرورية، وإقامة نظام مسيحى

حليف مع إسرائيل، وكل شىء بعد ذلك سيسير كما الروليت. وستنضم أراضى جنوب لبنان كاملة إلى إسرائيل».

وأكد موشى شاريت فى ٢٨ يونيه عام ١٩٥٥ قائلا : «لقد وافق رئيس أركان الحرب على شراء ضابط (لبنانى) يقبل خدمتنا مثل عرائس الماريونيت، وبشكل يجعل الجيش الإسرائيلى يبدو وكأنه يلبى النداء من أجل تحرير لبنان من المضطهدين المسلمين.»

لذا فعندما أطلق على ذلك السيد، وفى ضوء عمليتيه اللتين تم إقرار صحتهما، بأنه سياسى فاسد فى الحالة الأولى، ومفسد فى الحالة الثانية، فإن ذلك لا يعتبر تشهيرا، بل صفة.

سأكتفى بتلك الأمثلة، فى الوقت الحالى، التى لا علاقة لها بالتشهير بالشعب الإسرائيلى، ولا بالدين اليهودى: ولكنها معنية بالكشف عن حقيقة الازدواجية للزعماء الصهاينة. وعندما أتهم الطاليبان، فأنا لا أقوم بالتشهير بالشعب الأفغانى الذى هو نفسه ضحية، ولا بالتشهير بالدين الإسلامى الذى يقومون بإهانته.

هذا الادعاء المنافق الذى يتحلى بالقدسية، هو الذى يقود سياسات كل الزعماء الصهاينة الإسرائيليين منذ أصولهم وحتى عصرنا الحالى.

سنعطى بعض الأمثلة ذات الخاصية الإجرامية.

بداية فيما يتعلق بفلسطين، كانت الخطة واضحة: فإذا كانت الأرض موعودة للبعض دون الآخرين، فإنه من حقهم بل ومن واجبهم أن يطردوا كل الآخرين منها.

تلك كانت بالضبط لغة النازية : «الهدف من السياسة اليهودية : هجرة كل اليهود» ، تحت نفس مبرر أن الشعب مختار : «الجنس الآرى ، قدره أن يحكم العالم من أجل ترسيخ قيمه» .

فقد طرحت المشكلة بشكل واضح تماما ، حتى من قبل إنشاء دولة إسرائيل . إذ كتب يوسف ڤايتس ، مدير الصندوق القومى اليهودى ، فى عام ١٩٤٠ يقول فى يومياته (تل أبيب ١٩٦٥) :

«يجب أن يكون واضحا أمامنا، أنه ليس هناك مكان لشعبين فى تلك البلاد. إذا غادرها العرب فإنها ستكفينا، ليس هناك أية وسيلة أخرى إلا بأن نجليهم جميعا، يجب ألا نترك قرية واحدة، ولا قبيلة واحدة.. يجب أن نوضح لروزفلت، ولكل رؤساء الدول الصديقة، أن أرض إسرائيل ليست صغيرة إذا غادرها كل العرب، وإذا دفعت حدودها إلى الشمال قليلا، على طول الليطانى، وفى اتجاه الشرق عند مرتفعات الجولان».

فى الصحيفة الإسرائيلية الكبيرة يديعوت أحرانوت ، بتاريخ ١٤ يوليو عام ١٩٧٢ ، كتب يورام بار بورات ، يتذكر بحماس الهدف الذى يسعون إلى تحقيقه : «إنه واجب الزعماء الإسرائيليين أن يشرحوا للرأى العام بوضوح وشجاعة عددا من الوقائع ، التى نسيناها مع الزمن . أولى تلك الوقائع أنه لن يكون هناك صهيونية ولا استعمار ولا دولة يهودية ، إن لم نجلِ العرب من أراضيهم» .

كما حدد الحاخام كوهين فى كتابه التلمود (الناشر بايو ١٩٨٦ ص ١٠٤) المبادئ الأساسية فقال : «إن شعوب الأرض يمكن تقسيمها ما بين

إسرائيل وكل الشعوب الأخرى معا. إسرائيل هو الشعب المختار: تلك هى العقيدة الأساسية» .

من تلك الفكرة، نجمت ضرورة أن يتم - إن لم يكن القضاء على الآخرين (وهى الفكرة التى تبناها يشوع) فعلى الأقل - طرد كل من ليس يهوديا من أرض الميعاد التى خصصت للشعب المختار .

ومرة أخرى أكرر أن تلك النقطة ليست فقط رأيًا صحفيًا، بل كانت العقيدة الرسمية .

وأضاف فايتس قائلا : «أرض إسرائيل بلا عرب، لأنه لا يمكن أن يكون هناك حلول وسط . . يجب طرد العرب إلى الضفة الشرقية وسوريا والعراق» .

فى عام ١٩٦٧ ، أعلن مائير كوهين، رئيس الكنيست، أن «إسرائيل ارتكبت خطأ خطيرا عندما لم تطرد ٢٠٠ ألف أو ٣٠٠ ألف عربى من الضفة الغربية» .

وفيما يلى البرنامج الأساسى للصهيونية : التطهير العرقى الذى يقوم، مرة أخرى، على أساس قراءة متطرفة وحرفية انتقائية للتوراة، وهو ما خلق الازدواجية الحتمية، تلك المجابهة الأزلية بين شعب مختار وكل البشر الآخرين .

تشعر الصهيونية منذ الأزل، أن كل من هم غير يهود هم معادون للسامية، وأن العالم، كما يقول هرتزل، يمكن تقسيمه ما بين هؤلاء الذين يجاهرون بعدائهم للسامية، وهؤلاء الذين يكتمون إحساسهم . . فالصهاينة يعتبرون أن العداء العام الذى يكنه غير اليهود

لهم، هو حقيقة أزلية ودائمة فى التاريخ اليهودى. . وفى النهاية، قالت هانا آرندت، «إن ذلك التصرف يعد متعصبا عنصريا بحتا، وإنه من الواضح أن ذلك التقسيم بين اليهود وكل الشعوب الأخرى ـ والذين يعتبرون أعداء ـ لا يختلف كثيرا عن النظريات الأخرى الخاصة بتميز جنسا من الأسياد». (هانا آرندت: إنقذوا الوطن اليهودى، فى نشرة «كومنتير» فى مايو عام ١٩٤٨، ص ٤٠١)

إننى فى قلب محاكمتى الحالية التى هى نتيجة للحالة العامة للصهيونيين، عندما أتحدث عن السياسة الصهيونية: «التطهير العرقى». . . . «العنصرية المتعصبة»، فذلك ليس «تشهيرا»، بل «توصيفا».

ولكن يفترض من اتهمنى أن كل انتقاد للصهيونية أو للسياسة الإسرائيلية، هى شكل متخفى من معاداة السامية. أو حتى من النازية الجديدة. وعندما نشرت السيدة هانا آرندت كتابها: أيخمان فى القدس، كتبت مجلة أسبوعية فرنسية «لا نوڤل أوبزرڤاتور» هذا العنوان: هانا آرندت، هل هى نازية؟

ولنحاول أن نلخص الحملة الكريهة التى شنت ضدها.

مثلما اتهمت بأننى تحولت من الأحمر إلى الأخضر بعدما وصلت إلى سن الخرف، ولكنهم نسوا أننى بدأت انتقاداتى للصهيونية، ـ والتى اعتبرتها محكمة النقض مسألة قانونية ـ فى عام ١٩٨٢، تلاها «ملف إسرائيل» فى عام ١٩٨٣، و«فلسطين أرض الرسالات السماوية» فى عام ١٩٨٨، وأن تلك الانتقادات كانت جزءاً من

معركتى الدائمة ضد معاداة السامية والتطرف والتعصب والجمود، بكل أشكالها (الصهيونية، المسيحية، الشيوعية، أو الإسلامية) وقد سبق أن أعلنت فى عام ١٩٧٠ (فى مؤتمر الحزب الشيوعى الفرنسى) أن: «الاتحاد السوفيتى ليس دولة اشتراكية».

وأننى كتبت أقول:

إن مسيح بولس ليس هو عيسى، فى كتاب «نحو حرب الديانات» فى عام ١٩٩٥.

«التطرف الإسلامى مرض الإسلام» فى كتاب «عظمة وانحطاط الإسلام» فى عام ١٩٩٦.

إنها استمرار لكل معركتى من أجل حوار الحضارات، وكما كتبت من قبل، خلال مجمع الفاتيكان ٢، من أجل الانتقال من الكراهية إلى الحوار، فى عام ١٩٦٥.

كل ذلك نتج عن مناقشات جادة، ثرية بالنسبة لى (وأتمنى أن تكون كذلك بالنسبة لمن حاورنى أيضا)، ولكن عندما انتقدت الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، لم يقتصر الأمر على رفض كتابى: بل تم استدعاء البوليس والقضاء، وتم تنظيم حملة قضائية إعلامية، وتلقيت تهديدات بالقتل!

لقد عرفنا فى الزمن القريب هذه الكراهية للشعوب الأخرى ولثقافاتهم بالكامل. والمثال على ذلك كتاب جوناثان جولدهاجن، الذى ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان: «الجلادون الراغبون لهتلر» والذى استند فى نظريته الأساسية على أن الشعب الألمانى بكامله، مسئول بالمشاركة، عن البشاعة التى ارتكبها النازيون.

وقد قام الإعلام الذى يقع تحت التأثير الصهيونى بجعل هذا الكتاب أكثر الكتب مبيعا فى العالم، وكأنه أعطى ـ كما يزعم الكاتب ـ تفسيرا للمذابح التى ارتكبت فى حق اليهود. هذا التفسير يلخص كالآتى : **لقد قتل الألمان لأنهم، طوال تاريخهم، شعب من القتلة.**

هذا الخلط التاريخى غريب، بنفس غرابة صعود هتلر إلى السلطة عن طريق الحصول على الأغلبية فى الانتخابات، مما يشير إلى أى حد تغلغلت أفكاره الدموية إلى الرأى العام. تلك الأفكار كانت ضرورية فى ذلك الوقت حين كانت ألمانيا تعيش فترة عصيبة بسبب معاهدة ڤيرساى. وكتب الاقتصادى الشهير لورد كينز فى كتابه : النتائج الاقتصادية للسلام، يقول : «إذا حاولنا إفقار وسط أوروبا، فإننى أتوقع أن الانتقام سيكون فظيعا : وخلال العشرين عاما القادمة سنعيش فى حرب تقضى على الحضارة أيا كان المنتصر».

لقد كتب كينز هذه الفكرة فى عام ١٩١٩. ولقد أعطيت فى كتابى (ص ٩٣) الإحصاءات التى توضح الصعود المتوازى للبطالة فى ألمانيا، وللحزب النازى فى الانتخابات.

ومن المؤسف أن هذا المثل ليس وحيداً : إذ لدينا جولدهاجن فى فرنسا أيضا. ففى كتاب نشر فى عام ١٩٨١ باسم «الأيديولوچية الفرنسية»، للكاتب برنار هنرى ليڤى، أوضح الكاتب أن من ڤولتير ومن الثورة الفرنسية، إلى بيجى والتقاليد المسيحية، وحتى إلى برنار لازار الخبير اليهودى الكبير فى مسألة معاداة السامية (الذى ارتكب جريمة وضع معاداة السامية فى إطار التاريخ العالمى)، أعدت ثقافتنا كلها نوعا من الفاشية على الطريقة الفرنسية : نظام فيشى!

«إنها الثقافة الفرنسية كلها التى تشهد على انحطاطنا فى التدنى»، كما قال (ص ٦) و الذى جعل من فرنسا وطن الاشتراكية القومية. (ص ١٢٥)

وأضاف قائلا: «فرنسا تلك، إننى أعرف وجهها القذر، إنها حظيرة للوحوش الذين يعيشون فيها». (ص ٢٩٣)

عندما أقول إن أحد الكتاب، مثل جولدهاجن، يقدم فى كتابه الأعراض المرضية للصهيونية من كتاب صلوات الكراهية، فإن ذلك ليس «تشهيرا»، بل «توصيفا».

لو كان كل انتقاد للسياسة الإسرائيلية، كما يذكر بالتحديد عنوان كتابى، يعتبر موقفا معاديا للسامية، سيصبح الجد الأكبر لمعادى السامية هو النبى ميخا الذى قال:

اسْتَمِعُوا هَـذَا يَا رُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَقُضَاةَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْعَدْلَ وَيُحَرِّفُونَ الْحَقَّ. الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيَوْنَ بِالدَّمِ وَأُورُشَلِيمَ بِالظُّلْمِ. إِذْ يَحْكُمُ رُؤَسَاؤُهَا بِالرِّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالأُجْرَةِ وَيَتَعَاطَى أَنْبِيَاؤُهَا الْعَرَافَةَ لِقَاءَ الْمَالِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ الاتِّكَالَ عَلَى اللَّهِ قَائِلِينَ: «أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسَطِنَا؟ لِذَلِكَ لَنْ يُصِيبَنَا مَكْرُوهٌ». لِهَـذَا مِنْ جَرَّاءِ أَعْمَالِكُمْ سَتُحْرَثُ صِهْيَوْنُ كَالْحَقْلِ وَتُصْبِحُ أُورُشَلِيمُ كَوْمَةً مِنَ الْخَرَائِبِ، وَجَبَلُ الْهَيْكَلِ مُرْتَفَعًا تَنْمُو عَلَيْهِ أَشْجَارُ الْغَابِ.

سفر ميخا ـ الإصحاح ٣: ٩ ـ ١٢.

عندما فتحت الحكومة الإسرائيلية طريقا جديدا (طريق ٦٦) وأعلنت أنه ممنوع استخدامه لغير اليهود، ووصفت موقفها ذلك بأنه «أبرتهايد»، لم يكن «تشهيرا»، بل كان «توصيفا».

فى مقال له بعنوان: «إسرائيل الكارثة»، نشر فى صحيفة لوموند بتاريخ ١٨ ديسمبر عام ١٩٩٦، كتب ألان فينكيلروت، توصيفا أكثر قسوة من وصفى، قال فيه:

«مع نتنياهو.. خرجت ألفاظ الأبرتهايد من السرية». وأضاف قائلا، «وبقول أكثر مباشرة، هناك فاشيون يهود فى إسرائيل، كما أن هناك منهم فى أمريكا وفرنسا.. لهذا السبب فإننا على حق إذا تحدثنا عن كارثة روحية». وأنهى المقال قائلا: «ستتغير طبيعة التضامن مع إسرائيل إذا وافقت على أن تصبح الكلمة الأخيرة لرعاة البقر الذين يحملون المدافع الرشاشة ويضعون الطواقى على رؤسهم».

إن أسطورة التميز الناتج عن الاختيار الإلهى، لم تكن نتيجتها الوحيدة أن يصبح التاريخ مبرراً عن طريق خلق تاريخ لاهوتى، حيث الصراع الأبدى بين الخير والشر، بين إله الخير والشيطان، إن من يطلق عليه الصهاينة الشعب اليهودى، أو بلغة هتلر عن الجنس، الجنس اليهودى، هو الذى يمثل إله الخير، أما الشيطان فهم سائر شعوب العالم، وذلك بناء على قول أمثال جولدهاجن وبرنار هنرى ليفى.

وعلى هذا الأساس، سيعتبر الحاخام ليفين معادى للسامية، طالما أنه توقع فى كتابه «اليهودية فى مواجهة الصهيونية» (الناشر كوخاس ١٩٦٩، ص٧٤) أن الابتزاز الإسرائيلى سيفجر مشاعر معادية

للسامية، وكتب يقول: «إن الصهاينة يقودونا نحو الكارثة». كما سيعتبر أيضا معادى للسامية السيد ثيو كلاين، الرئيس السابق (للمجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا) عندما كتب فى صحيفة لوموند يوم السبت ٣٠ مايو عام ١٩٩٨، يقول تحت عنوان: «ياسيد نتنياهو، أترك لإسرائيل فرصة»:

«من الأخطاء إلى الأكاذيب، إنك تعمل على خلط فن السياسة مع مسرح الظلال. فى السياسة الداخلية، تعمل على تشجيع مسيرة الأورثوذكس نحو حلمهم بإقامة دولة لاهوتية. وفى السياسة الخارجية تعمل على كسر الحماس الذى حققته عملية أوسلو. هل إقامة حوار فى واشنطون سيمكنك حقا من أن تحل مشكلة إسرائيل الأساسية، وهى: التعايش مع جيرانها العرب، خاصة الفلسطينيين؟ الذين، يجب أن نعترف إنهم الشركاء فى هذه الأرض «إيريتس»، إسرائيل ـ فلسطين، أرضك وأرضى، ولكنها أيضا أرض عرفات وزياد قواس، صديقىّ.

إن العالم يصبو إلى سياسة تقود الشعب الإسرائيلى نحو أمن قائم على السلام، أى على الحوار والتعايش. ولكن سياستك مغلقة على رؤية أمنية تغذيها المخاوف. أنك تلعب على ردود فعلنا القديمة إزاء «الجيتو»، والتى تتلخص فى تلك المقولة القاتلة: الجميع ضدنا. الجميع: المسيحيون والمسلمون. كل هؤلاء ـ عبر العالم ـ الذين يشعرون بالدهشة، وبالحنق من سياستك.

أوقف ذلك السقوط نحو الهاوية التى صنعها حلم مجنون لأرض لن يكون فيها مواطن إلا اليهودى، أما العربى فسيكون مجرد ساكن

بسيط يحكم ذاته. أترك الشيوخ (أعضاء مجلس الشيوخ) الذين يقيمون عند شاطىء نهر «البوتوماك» (فى واشنطن). تخلى عن الأوهام اللاهوتية. تسلق جبالنا الغنية. إنها المهد المشترك لشعبينا، إسحق وإسماعيل ولدا هناك، علينا أن نتشارك فيها واعتبارها دائما، الأرض التى تلد التاريخ والثقافة والحياة لشعبينا. ولنجعل نداءها الروحى العظيم يشجعنا على أن نتعايش فى سلام، بعيدا عن السيادة التى نطالب بها. علينا أن نخترع وثيقة للاحترام المتبادل، اتحاد من أجل نمو تلك الأرض التى نملكها معا، وبناء وجود يشعر فيه كل منا أنه فى وطنه، حتى ولو كان فى أرض الآخر.

إننى أعرف تماما أن هناك الإرهاب الجبان والإجرامى. هناك صرخات الكراهية، والأعلام المحترقة، وبنود الاتفاقيات التى عقدت ولم تحترم، والأمر الواقع الذى يتعدى واقع الأمر. ولكن من المسئول؟ هل هى السلطة الفلسطينية فقط؟

هل تعتبر أنه من أجل حكم تلك الدولة القديمة الجديدة، عليك أن تعيد مرات ومرات الحجج القديمة، بعد أن امتزجت بالمخاوف واستحوذت على أحاسيسك، والتى تثير الكراهية، بدون أن تعمل أبدًا على الترفع سياسيا: إذا لم تستطع حتى أن تستمع إلى المعلومات والنصائح التى تقدمها لك أجهزة مخابراتك، فأنت بالتأكيد لا تريد أن تغير من سياستك، وفى تلك الحالة عليك أن تتخلى عن حمل الأثقال، إذ يبدو أن ذكاءك السياسى وشجاعتك المعنوية على وشك أن تنهار».

ثيو كلاين يعمل محاميا، وهو رئيس سابق فى المجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا.

فعندما يتحدث بتلك اللغة النبيلة والواضحة، والتى تعكس مفهوما أصيلاً لحديث النبى ميخا، ثيو كلاين، الرئيس السابق للمجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا، هل من الممكن أن يصبح معاديا للسامية؟

فى هذا الطريق، يصبح الحوار والسلام ممكنان، حتى ولو لم نكن نشارك نفس المعتقدات الدينية أو السياسية.

ولكن عندما يتصور المرء أنه لا مثيل له، وأنه خالى من كل مسئولية إلى الأبد، يصبح من الممكن وقوع أسوأ أنواع الشذوذ.

إننا هنا فى قلب المحاكمة، وفى قلب السبب العميق للقضية المثارة وما يعطيها معناها العميق، الجهل والتضليل والتزييف والخداع، التى من شأنها الخلط ما بين الصهيونية واليهودية، ومزجهما تحت مسمى الصهيونية، الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية، كما فعل على سبيل المثال، الحاخام أيزنبرج عندما أعلن قائلا: «انتقاد الصهيونية يؤدى إلى الانزلاق نحو معاداة السامية.. لأنه لا يمكن تصور اليهودية بدون الصهيونية».

إذن، هل بدأت اليهودية مع مؤتمر بال؟

لا..

كتب الروائى حاييم هرتزوك، فى روايته الجديدة «الزارع» يقول على لسان إحدى شخصياته واسمه يونذكير: «الصهيونية تبدأ عندما تغرق اليهودية».

عندما يزعم شخص ما أن باستطاعته إقامة استمرارية تاريخية بين إسرائيل التوراتية، والدولة الإسرائيلية الحالية، فإن المرء يذكر عادة الصلاة اليهودية الأزلية: «العام القادم فى القدس» وكأنها تعنى نداء إلى المعركة.

إننا ننسى بهذه الطريقة، أن مقولة «العام القادم فى القدس» كانت أيضا الأمل الذى كان يحدو المسيحيين فى العصور الوسطى، ويشهد على ذلك أعداد من النوافذ حيث رسمت على زجاجها صور للقدس الحجرية، والتى تمثل لهم «القدس السماوية»، عرش الله حيث يدخل المرء، ليس غازيا، بل داعيًا.

على خداع تلك الفوضى، يرقد أجداد الصهيونية السياسية، وهم الصليبيون: الفرسان الذين حملوا الصلبان على دروعهم، وأنطلقوا عبر كل طرق أوروبا يرتكبون المذابح الدموية فى كل المجتمعات اليهودية، ثم يذبحون المسيحيين فى القسطنطينية، قبل أن يحرقوا أحياء يهود القدس الذين لجئوا إلى معابدهم، ويسكبون دماء المسلمين فى الشوارع . . . أين إذن عيسى فى كل هذا؟.

إنه تضليل فكرى، وخدعة على نفس المستوى: تلك التى نجدها عندما يعلن بن جوريون العلمانى قائلا: «إننا سنعيد بناء مملكة داود الثالثة»، وذلك عن طريق مهاجمة القدس بالناپالم مثلما استولى عليها

الصليبيون بالسيف والنار، وفتح الباب أمام عبادة الصهيونية، واستبدل رب إسرائيل بدولة إسرائيل. كما كتب البروفيسور إسرائيل شاحاك يقول: «لقد فقدت غالبية شعبى ربهم، واستبدلوه بمعبود وثنى، تماما مثلما عبدوا العجل الذهبى فى الصحراء. أما اسم معبودهم الحديث فهو دولة إسرائيل». (عنصرية دولة إسرائيل ص ٩٣).

■ الفصل الخامس ■

تعاون الصهيونية مع هتلر

لم يحدث أبدا أن ظهر هذا اللغز بكل تلك القوة مثلما حدث إبان الحرب العالمية الأخيرة، حينما كان الهدف الأوحد لإقامة دولة إسرائيلية قوية، دافعا للصهاينة إلى التعاون مع النازيين. استقبل بعض الزعماء الصهاينة مجيء هتلر إلى الحكم استقبالا جيدا، فقد كانوا يشاركونه الرأى فى سمو الجنس، وفى عدائه لاستيعاب اليهود. وسعدوا مع هتلر عندما انتصر على عدوهما المشترك: قوى الليبرالية. وقد قام الدكتور والحاخام الصهيونى چواكيم برينز، قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة حيث تولى منصب نائب رئيس المنظمة اليهودية العالمية، (وصديق عزيز لجولدا مائير) بنشر كتاب فى برلين عام ١٩٣٤ يتناسب مع ظروف ذلك الوقت بعنوان «فير چودن» (نحن اليهود) (ص ١٥٠ ـ ١٥١) من أجل الاحتفال بالثورة الألمانية الهتلرية وهزيمة الليبرالية قال فيه:

إن معنى الثورة الألمانية للشعب الألماني واضحة، أو ستكون واضحة لهؤلاء الذين قاموا بها وأعطوها صورتها. أما بالنسبة لنا، ويجب أن نقول

ذلك فورا، فمعناها أن الليبرالية فقدت كل فرصها. وانتفى الشكل الوحيد للحياة السياسية الذى يؤيد استيعاب اليهود.

إننا نرغب في استبدال الاستيعاب بقانون جديد: «الإعلان عن الانتماء إلى وطن يهودى وإلى الجنس اليهودى». إن الدولة التى تقوم على أساس مبدأ الوطن والجنس، سيحترمها اليهودى الذى يعلن انتماءه إلى شعبه هو.. لأن فقط هؤلاء الذين يحترمون أصلهم وصلة الدم، يستطيعون احترام الرغبة القومية للشعوب الأخرى». (ص ١٥٤ ــ ١٥٥).

كان يتمنى أن تسهل أسطورة الجنس الآرى انتشار أسطورة الصهيونية والجنس اليهودى.

وبنفس الروح، حددت المذكرة التى وجهها الزعماء الصهاينة إلى هتلر فى ٢٢ يونيه عام ١٩٣٣، ما يلى: «تعتقد الصهيونية أن نهضة الحياة القومية لشعب ما، والتى تشهدها اليوم ألمانيا من خلال تقييم حجمها المسيحى والقومى، يجب أيضا أن يشهدها الشعب اليهودى. ومن أجل الشعب اليهودى أيضا، فإن الأصول القومية والدين والقدر المشترك، وفكرة أن لديه شخصية متفردة، يجب أن تأخذ أهمية وأولوية من أجل وجوده. وذلك لن يتم إلا إذا ألغيت الفردية الأنانية للعصر الليبرالى، وتم استبدالها بالإحساس بالجماعة والمسئولية الجماعية..».

وأضافت المذكرة: «وفى حالة أن يوافق الألمان على ذلك التعاون، فإن الصهاينة سيعملون جاهدين على نقل اليهود إلى الخارج، وعلى الدعوة إلى مقاطعة من يعادى الألمان». (لوسى دافيدوفيتش: الحرب ضد اليهود ـ بنجوين بوكس ١٩٧٧ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢).

وافق الزعماء الهتلريون: كتب ألفرد روزمبرج، أهم مفكرى الاشتراكية القومية، فى عام ١٩٣٧ يقول: «يجب مساندة الصهيونية بقوة حتى يمكن ترحيل فرقة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين». (Der spur des juden im Wandel der Zeiten.) (ميونخ ١٩٣٧ ص ١٥٣).

لقد وافق الزعماء الصهاينة الألمان على التفاوض مع الهتلريين، على أساس أنه يجمعهما تلك الأيديولوچية التى تقوم على الجنس.

مع تولى هتلر الحكم فى ألمانيا، كان من بين كل مائة يهودى منظم، ٥٪ ينتمون إلى المركزية الصهيونية و٩٥٪ إلى اتحاد الألمان اليهود، الذين قرروا الاحتفاظ بجنسيتهم الألمانية والدفاع عن احترام دينهم.

وقد حدد النازى بسهولة اختيارهم، وهو: التعامل مع الصهاينة الذين اعتبروا اليهود الملائمين لأنهم يفضلون مغادرة البلاد إلى فلسطين، مما يشجع سياسة التطهير العرقى التى تمارسها الفاشية الهتلرية: تفريغ ألمانيا من يهودها (چودنراين)، ومهاجمة اليهود الذين قرروا الاحتفاظ بالجنسية الألمانية وباحترام دينهم.

أ ـ إتفاق على الترحيل (هاافارا):

بسبب هذا التوافق فى العقيدة حول الجنس، الذى أثبت صحة تفكير هرتزل: «المعادون للسامية سيكونون أفضل حلفائنا» (يوميات ـ الجزء الأول ص١٩). عقدت الوكالة اليهودية اتفاقا مع وزير الاقتصاد يوم ٢٧ أغسطس عام ١٩٣٣، وهى اتفاقية هاافارا (والتى

تعني بالعبرية : ترحيل) والتى سمحت للمهاجرين اليهود بنقل جزء من أملاكهم من ألمانيا النازية إلى فلسطين. وقد وافق على هذا الاتفاق كل من بن جوريون الذى كان فى فلسطين فى ذلك الوقت، والسيدة جولدا مائير، التى كانت فى نيويورك، ومن أصبحوا وزراء إسرائيل الصهاينة: موشى شاريت (الذى كان اسمه فى ذلك الوقت موشى شيرتوك) وليفى إشكول الذى كان ممثلهم فى برلين، (بن جوريون وشيرتوك فى «اتفاق هاافارا» ص ٢٩٤. نشره توم سيجيف - «المليون السابع» ص ٣٠ و٥٩٥).

وجد الجانبان في الاتفاقية غايتهما: بالنسبة للنازية: التخلص أولا من اليهود، ثم كسب حليف(صهيونى) من أجل كسر المقاطعة الاقتصادية ومعاداة الفاشية.

منذ يوم ٢٦ مارس عام ١٩٣٣، بعث كل من كورت بلومنفيلد، رئيس الاتحاد الصهيونى فى ألمانيا، وجوليوس برودنيتز، رئيس الاتحاد المركزى، ببرقية إلى اللجنة اليهودية الأمريكية في نيويورك قالا فيها: «نحتج بشدة ضد الاجتماعات، وبرامج الإذاعة والمظاهر الأخرى. نطالب بكل وضوح باتخاذ إجراءات حاسمة لإنهاء كل مظاهر العداء ضد ألمانيا».

(سول فريدلاندر: ألمانيا النازية واليهود. سويي ١٩٩٧ ص ٣٢).

أما من جانب «ييشوف» (المجتمع اليهودى الذى كان يعيش فى فلسطين قبل إقامة دولة إسرائيل) فقد اعتبرت الاتفاقية صفقة جيدة. وكتب الزعيم الصهيونى موشى بيلينسون إلى بيرت كاتزنلسون،

مدير أهم صحيفة لدى المنظمة : داڤار (الكلمة) يقول : «الطرق كانت ممهدة بكمية من الأموال التى لم نكن نحلم بها أبدا فى تاريخ التشكيل الصهيونى . ها هى الفرصة جاءتنا للبناء والازدهار كما لم يحدث من قبل ، ولن يحدث من بعد» . (توم سيجيف: المليون السابع ص ٧٢) .

قامت هذه النشوة على أساس التفاهم مع النازى. تتذكر هانا آرندت وتقول : «فى البداية كانت سياسة الاشتراكية ـ القومية إزاء اليهود تتسم بلا شك بالتأييد للصهيونية» . (أيخمان فى القدس ص١٠١).

استمر هذا الوضع خمس سنوات من النظام الهتلرى ، وحتى عام ١٩٣٨ .

كتب راينهارد هايدريخ (حامى تشيكوسلوڤاكيا الدموى القادم) حينما كان رئيس جهاز الأمن إس إس ، يقول : «علينا أن نقسم اليهود إلى قسمين: الصهاينة، وهؤلاء الذين يؤيدون الاستيعاب. أما الصهاينة فيعلنون فكرا عنصريا بحتا، ويساعدون على بناء دولتهم اليهودية عن طريق الهجرة إلى فلسطين.. إننا نتمنى لهم النجاح ونقدم لهم مساندتنا الرسمية» . (هوهن: أمر برأس الموت ص١٣٣).

أشارت نشرة داخلية لويلهم ستراس : «الأهداف التى وضعتها لنفسها تلك الفئة (من اليهود الذين يعارضون الاستيعاب ويؤيدون تجمع أبناء دينهم فى قلب وطن قومى) والذين يتكونون أساسا من الصهاينة ، لا تبتعد إلا قليلا عن الأهداف التى تسعى إليها فى حقيقة الأمر السياسة الألمانية إزاء اليهود» . (المصدر: رسالة داخلية

من بولو ــ شفانتى إلى كل البعثات الدبلوماسية للرايخ رقم ٨٣ ، فى ٢٨ فبراير عام ١٩٣٤)

وكتب بولو ـ شفانتى إلى وزارة الداخلية يقول: «**ليس هناك أى سبب لمنع القيام بنشاطات صهيونية فى ألمانيا، عن طريق معوقات إدارية، لأن الصهيونية لا تتناقض مع برنامج الاشتراكية القومية الذى يضع من أهدافه ترحيل يهود ألمانيا تدريجيا**». (المصدر: رسالة رقم ز يو ٨٣ ــ ٢١ . ٢٨ ــ ٨ فى ١٣ أبريل عام ١٩٣٥).

هذه التعليمات، مع تأكيدها للإجراءات التى اتخذت من قبل، طبقت حرفيا. وبناء على هذا الوضع المتميز الذى تتمتع به الصهيونية فى ألمانيا النازية، فقد قام الجستابو فى منطقة بافيار، يوم ٢٨ يناير عام ١٩٣٥ بإرسال تعليمات داخلية إلى البوليس يقول فيها: «يجب ألا يعامل أعضاء المنظمة الصهيونية، بنفس الحدة الضرورية التى يعامل بها أعضاء المنظمات اليهودية الألمانية (التى تؤيد الاستيعاب)، لأن نشاطهم يتجه إلى الهجرة إلى فلسطين». (المصدر: **كورت جروسمان، الصهاينة وغير الصهاينة فى ظل القانون النازى فى الثلاثينيات. يبربوك المجلد السادس ص ٣١٠**).

ب ـ عندما عانق الصليب المعقوف نجمة داود:

وحتى قبل توقيع اتفاقية هاآفارا، اتخذ ذلك التعاون أشكالا تثير الاهتمام. من بين تلك الأشكال دعوة البارون ليوبولد فون ميلدنشتاين، الذى سيعين بعد سنوات قليلة رئيسا للقسم اليهودى فى جهاز الأمن والمخابرات الألمانى، والذى يديره راينهارد هايدريخ،

لزيارة فلسطين فى عام ١٩٣٣ مع زوجته، من أجل أن يكتب سلسلة مقالات لصحيفة «دير آنجريف» (الهجوم) التابعة لجوبلز. وزار الزوجان ميلدنشتاين، برفقة كورت توشلير ـ عضو هام فى منظمة الصهيونية فى برلين ـ القرى التى أقامها المستوطنون اليهود فى إيريتس إسرائيل. وكما كان مقررا، تم نشر عدة مقالات إيجابية للغاية تحت عنوان: «نازى يزور فلسطين»، كما صدرت ميدالية فى ذكرى هذا الحدث تحمل من ناحية الصليب المعقوف، وعلى الناحية الأخرى نجمة داود. (المصدر: دير آنجريف ٢٦ سبتمبر ١٩٣٤، نقلها توم سيجيف ص ٤٠ ــ ٤١)

كان يجب على حاييم وايزمان إعلان الحرب على ألمانيا فى ٥ سبتمبر عام ١٩٣٩، والانضمام إلى الحلفاء، فالصهيونية الألمانية التى كانت تتمتع بالتأييد، استمرت فى مشروعها إلى أن جاءت «ليلة الكريستال» (١٩٣٨).

بعد «ليلة الكريستال» وقعت مذبحة بشعة كان المبرر لها هجوما تعرض له دبلوماسى ألمانى فى باريس، واشتدت عمليات القمع ضد اليهود، واتخذ التعاون الصهيونى مع الهتلريين أشكالا أخرى. فى البلاد المحتلة، ومن خلال عمليات الجودنرات (مجالس يهودية فى الأحياء اليهودية ومعسكرات الاعتقال تحت سيطرة النازيين) وفى اليشوف فى فلسطين، قام الصهاينة باختيار العناصر الغنية أو تلك ذات الفاعلية لإنقاذهم من بين مخالب هتلر، والتخلى عن اليهود الأكبر سنا أو غير القادرين على المشاركة فى بناء الدولة اليهودية القادمة، والذين يعتبرون «كمواد إنسانية» غير مرغوب فيها.

جـ ـ المجالس اليهودية (چودنرات):

مشكلة الدور الذى تلعبه الجودنرات فى ظل حكم هتلر ، أثارته هانا آرندت فى كتابها : أيخمان فى القدس. ولكن الكتاب لم يترجم إلى العبرية ، وليس ذلك فقط ، بل وأثار ردود أفعال هيستيرية لأنه ينتقد كل من الچودنرات والصهاينة الذين تولوا رئاستها عامة.

ورغم ذلك فقد أكد بولياكوف فى كتابه : صلوات الكراهية ، (ص ١٠٢) هذا التحليل ، فقال :

«لقد كتب الكثيرون عن المجالس اليهودية ، يبدو أن هناك شعور بالعار لا يمكن محوه ، التصق بأدوات التعاون تلك ، والتى يعمل زعماؤها كأسياد فى الأحياء المغلقة ويستمتعون بمزايا معينة. ولا يسعنا إلا أن نقيم مقارنة بينهم وبين عائلة كيسلينج أو لافال».

لقد كان دور تلك الچودنرات كبيرا تحت سلطة النازية : فكان عليهم توفير فرق من العمال للمحتل. (ص ١٠٣)

كانت المجالس تضع القوائم. وكان اليهود ينضمون إليها ، ويملئون العديد من الاستمارات والاستبيانات ذات الصفحات العديدة حول ممتلكاتهم ، فكان من السهل بعد ذلك الاستيلاء عليها!

وفيما يلى شهادة هانا آرندت:

«خلال محاكمة أيخمان فى القدس ، اكتشف القاضى هاليفى ، أثناء مساءلة أيخمان ، أن النازية اعتبرت تعاون اليهود معها أحد العناصر الأساسية فى السياسة الصهيونية. . ففى كل مكان يتواجد فيه اليهود ، كان هناك مسئولون يهود معروفون ، وهؤلاء

المسئولون، باستثناء القلة، تعاونوا بطريقة أو بأخرى، ولسبب أو لآخر. حسب إحصاءات فرويديجر، فإنه كان من الممكن إنقاذ خمسين فى المائة من اليهود إن لم يتبعوا تعليمات المجالس اليهودية». (هانا آرندت ص ٢٠٥).

كما أعطى السيد بولياكوف فى كتابه: «صلوات الكراهية»، أمثلة ثابتة فقال:

«حى لودز، فى پولندا بعد ضمها، من بين الأحياء المغلقة المهمة، الذى يجدر أن نذكره بصفة خاصة: ففى ثانى مدن پولندا، لودز كان أهم مركز صناعى فى البلاد. وكان الحى المغلق فيه (الجيتو) والذى تكون منذ فبراير عام ١٩٤٠، يضم أكثر من ١٦٠ ألف شخص، حسب الإحصائيات الأولى. كان أهم جيتو بعد ذلك الموجود فى وارسو العاصمة. لأن فيه صناعات من كل نوع، خاصة صناعة النسيج، وكانت تمثل بالنسبة للاقتصاد الألمانى إضافة ذات قيمة عالية.

ومثلما حدث فى كل مكان آخر، تمت عمليات إعدام المتطوعين الألمان فى جيتو لودز عن طريق المجلس اليهودى. كان رئيسه، حاييم رومكوفسكى، يمارس سياسة ديكتاتورية مهيمنة فى الجيتو، حيث كانت كل السلطات القضائية العليا والسفلى تتجمع فى يديه: فقام برفع الضرائب وصك النقود، وأحاط نفسه بأعداد من الخليلات والمنافقين. فكان الشعراء يكتبون القصائد فى مدحه، وأطفال المدارس فى الجيتو يوجهون له تمنياتهم بالعام الجديد مطبوعة على الورق».

وفى فرنسا، كان الاتحاد العام ليهود فرنسا يقوم بنفس الدور الذى يقوم به الچودنرات: فكان يكتب قائمة بأسماء اليهود الفرنسيين وبالأخص الأجانب، لحساب مقر البوليس المختص بالمسألة اليهودية والسلطات الألمانية، ثم يقوم بفرز الأسماء والتفريق بين اليهود الفرنسيين والأجانب، على سبيل المثال، مستخدمين فى ذلك نفس اللغة فى التفرقة التى يستخدمها اليوم النازيون الجدد كما يطلقون عليهم.

چاك هيلبرونر، رئيس الكونسيستوار، وهو الجهاز المركزى الذى يمثل اليهود الفرنسيين، رأى الأمور فى عام ١٩٣٣ بالشكل التالى: «فرنسا، مثل أى دولة أخرى، لديها عاطليها، وكل اللاجئين اليهود القادمين من ألمانيا لا يستحقون الإقامة فيها، من الممكن أن نحتفظ بنحو مائة أو ١٥٠ من المثقفين فى فرنسا، لأنهم من العلماء وعلماء الكيمياء الذين يملكون أسرارا لا يعرفها علماؤنا. ولكن هل يستحق الأمر أن نحتفظ بالسبعة آلاف أو الثمانية آلاف، أو حتى العشرة آلاف يهودى الذين يحضرون إلى فرنسا؟»

لقد كان يعتبر اللاجئين اليهود مجرد دهماء، حثالة المجتمع، عناصر بلا أية أهمية فى بلادهم.

لم تسفر هزيمة فرنسا عن تخفيف حدة العداء الذى يكنه هيلبرونر، الذى ظل رئيسا للكونسيستوار، لليهود الأجانب. (فرايدلاندر. ألمانيا النازية واليهود. سوى ١٩٩٧ ص ٢٢٢).

وقد أكد ماروس وباكستون، فى كتابهما : فيشى واليهود، ما يلى : «**بعض الشخصيات اليهودية فى فرنسا أعربوا عن رفضهم لوجود يهود أجانب بينهم، وقد حملوهم مسئولية الاضطرابات المعادية للألمان**». (ص ٤٠٧ من سيجيف).

فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٣٨، أعلن الحاخام الكبير فيل فى صحيفة لا ناسيون، أنه لا يريد أن يتخذ أية مبادرة «من شأنها عرقلة بأى شكل من الأشكال، المحاولات الجارية حاليا من أجل تحقيق التقارب الفرنسى ـ الألمانى».

فى مقدمة كتاب موريس رافچوس : «اليهود فى سياسة التعاون»، كتب فيدال ـ ناكيه (ص١٤) :

«**عموما، يجب ألا يسمح بالشك: فقد قام أعيان اليهودية من الفرنسيين بالدخول فى لعبة التعاون الخطيرة مع العدو، ودخلوا فى سياسة تستهدف، حسب تعبير سارتر، فرز أسماء اليهود، وإشعال المواجهة بين اليهود الفرنسيين والأجانب، بين المحاربين القدماء الذين لا غبار عليهم والمهاجرين الحاليين، بين الفرنسيين الأصليين وهؤلاء الذين حصلوا على الجنسية. لقد اعتبروا الأعيان الركيزة الأساسية للاتحاد العام اليهودى فى فرنسا، ومهما كانت نواياهم، ومصائر المؤسسين، فانها ساهمت فى تقوية آلة قتل اليهود**».

وفيما يلى شهادة ألبير أكيربيرج، السكرتير العام للجنة الاتحاد والدفاع عن اليهود الفرنسيين فى ظل الاحتلال :

«لقد علمت أن زعماء الاتحاد العام لليهود فى فرنسا مثلوا أمام محلفين شرف برئاسة ليون مائيس، رئيس CRIF . هؤلاء المحلفون ضموا أشخاصا قضوا فترة الحرب فى سويسرا والولايات المتحدة أو فى أماكن أخرى لم تتعرض للمخاطر . بهذه المناسبة فعلى أن أكتب إلى ليون مائيس لكى أعترض على تلك الطريقة فى التصرف، وأقول له إنه كان فى إمكانه على الأقل استشارة هؤلاء الذين حاربوا تحت الاحتلال، ولديهم هم أيضا رأى يريدون التعبير عنه . كانت إجابة ليون مائيس بسيطة، إذ قال: يجب أن نتعلم أن ننسى الأحداث . لقد قمنا بحل زعماء الـ UGIF ولكننا لم نتمكن أن نفعل شيئا آخر حفاظا على المصالح العليا للمجتمع اليهودى» .

إن ذلك يمثل فضيحة، تماما مثل تلك التى نشاهدها على شبكات التليفزيون حيث تعرض أفلامًا، أكثر من مرة إسبوعيا، حول معاناة اليهود إبان الاحتلال، ولكنها لا تعرض أبدا أفلاما عن اليهود الأبطال الذين حاربوا الفاشية بالسلاح حتى الموت، مثل المتطوعين اليهود فى الفرق الدولية، الذين كانوا يمثلون ثلث الفرقة الأمريكية لنكولن، ونصف الفرقة البولندية دومروفسكى . لماذا هذا الصمت؟

لأن زعماء لندن أجابوا بالنفى عن هذا السؤال الذى وجه إليهم : هل يجب على اليهود الاشتراك فى الحركات المناهضة للفاشية؟ وحددوا هدفهم الأوحد: بناء أرض إسرائيل . (الحياة اليهودية. أبريل ١٩٣٨ ص ١١).

أعلن إسحق جرونبون، العضو التنفيذى بالوكالة اليهودية، فى ١٨ يناير عام ١٩٤٣ : «الصهيونية تأتى قبل كل شىء آخر.. سيقولون عنى إننى معادى للسامية، وإننى لا أريد أن أنقذ اليهود، وإننى لا أملك «قلب يديشى دافئ» لندعهم يقولون ما يريدون. ولن أطلب من الوكالة اليهودية أن تنفق ٣٠٠ ألف دولار ولا حتى مائة ألف لمساعدة اليهودية الأوروبية. وأنا أرى أن من يطلب ذلك إنما يقوم بعمل معادى للصهيونية. (المصادر: جرونهاوم: أيام التدمير ص ٦٨).

كان ذلك أيضا رأى بن جوريون إذ قال :

«إن مهمة الصهيونية ليست أن تنقذ «من تبقى» من إسرائيل الموجودين فى أوروبا، ولكن أن تنقذ أرض إسرائيل من أجل الشعب اليهودى». ومرة أخرى قال: «المأساة التى تواجهها اليهودية الأوروبية ليست من شأنى». (بن جوريون فى مجلس قوات مباى، فى ٨ ديسمبر عام ١٩٤٢. نقلها يوأف جيلبا: السياسة الصهيونية ومصير اليهود الأوروبيين. ياد فاشيم، دراسات جماعية رقم ١٣ ١٩٨٠، ص ١٤٧).

«اتفق زعماء الوكالة اليهودية على فكرة أن الأقلية التى يجب أن تنقذ، يجب أن يتم اختيارها بناء على احتياجات المشروع الصهيونى فى فلسطين». (المصدر: سابق الذكر ص ١٢٥).

استمر هذا التعاون بين الصهيونية وهتلر حتى نهاية الحرب: أبريل عام ١٩٤٤ اقترح أيخمان على رودولف كاستنر، المبعوث الصهيونى، استبدال مليون يهودى مقابل عشرة آلاف شاحنة تستخدم

فقط على الجبهة الروسية . وقد وافق كل من بن جوريون وموشى شاريت (شيرتوك) على ذلك العرض .

كما اتهم كاستنر بالشهادة لصالح شريكه النازى، بيكير .

ذلك فضلا عن أن كاستنر قام بموافقة الزعماء الصهاينة (الذين كان معظمهم وقت محاكمته وزراء) بالتفاوض مع أيخمان حول تحرير وهجرة ١٦٨٤ يهوديا«مفيدا» فى بناء الدولة الإسرائيلية القادمة، وفى المقابل، سيضلل ٤٦٠ ألف يهودى مجرى بقوله، إنه سيتم ترحيلهم، ولن يرسلوا إلى آوشفيتس . وقد كشف القاضى هاليفى، أن كل تلك الجرائم، تم ارتكابها بموافقة الوكالة اليهودية ومجلس اليهود العالمى .

كان القاضى واضحا عندما قال : «ليس هناك أية حقيقة أو نية طيبة فى شهادة كاستنر.. لقد حنث كاستنر بالقسم فى شهادته أمام تلك المحكمة، وهو على دراية تامة بذلك، عندما نفى أنه تدخل لصالح بيكير. كما أنه أخفى حقيقة مهمة: إن شهادته لصالح بيكير تمت باسم الوكالة اليهودية والمجلس اليهودى العالمى.. ومن الواضح أن توصية كاستنر لم تتم باسمه الشخصى، ولكن أيضا باسم الوكالة اليهودية ومجلس اليهود العالمى.. ولهذا السبب أفرج الحلفاء عن بيكير» .

اهتز الرأى العام الإسرائيلى بعد إصدار الحكم . فقد كتب الدكتور موشى كيرين فى صحيفة هاآرتس فى ١٤ يوليو عام ١٩٥٥ يقول : «كاستنر يجب إدانته بالتعاون مع النازية . . » ولكن الصحيفة المسائية

يديعوت أحرونوت كتبت فى ٢٣ يونيه عام ١٩٥٥ تفسر لماذا لا يجب إدانة كاستنر فقالت : «إذا حوكم كاستنر، فان الحكومة بكامل هيئتها تجازف بالانهيار الكامل أمام الشعب، نتيجة لما ستكشفه هذه المحاكمة».

إن ما يمكن أن يتكشف هو أن كاستنر لم يعمل بمفرده، بل بموافقه الزعماء الصهاينة الآخرين، الذين كانوا خلال المحكمة فى مناصب حكومية كبيرة. وكان الحل الوحيد لكيلا يتكلم كاستنر ولا تتفجر الفضيحة، أن يختفى كاستنر. ولقد مات بالفعل، فقد أغتيل على سلالم وزارة العدل.

■ الفصل السادس ■

التفرقة بين الصهاينة وغيرهم من اليهود

فى أثناء محاكمة أيخمان فى القدس، تردد دور كاستنر، فقال المدعى العام الچنرال حاييم كوهين للقضاة: «يمكنكم أن تنتقدوا كاستنر إذا كان دوره لا يتماشى مع فلسفتكم. لقد كان دائما على نفس الخط مع التقاليد الصهيونية والتى تقضى بانتقاء الصفوة من أجل تنظيم الهجرة إلى فلسطين.. وكاستنر لم يفعل غير ذلك.» (المصدر: سجلات المحكمة ١٢٤/ ٥٣ محكمة دائرة القدس)

لقد استشهد مجلس القضاء الأعلى بعقيدة راسخة للحركة الصهيونية: لم يكن هدفهم إنقاذ اليهود، ولكن بناء دولة يهودية قوية.

ولقد أكدها البروفيسور لايبوفيتس فى كتابه، حيث أجاب عن هذا السؤال: هل توافق على الحكم الذى يقضى بأن الـ «ييشوف» (وهو الاسم الذى أعطى للمجتمع اليهودى الذى عاش فى فلسطين قبل إقامة الدولة الإسرائيلية) لم يفعلوا ما يكفى من أجل إنقاذ يهود أوروبا خلال الشوا؟

فقال: «لم يفعلوا أى شىء على الإطلاق، ولكن يمكن أن تقولوا نفس الشىء بالنسبة لليهود الأمريكيين أيضا».

كان الهدف الأساسى للصهيونية ليس إنقاذ أرواح اليهود ولكن إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين. وقد أعلنها واضحة بن جوريون، أول رؤساء الدولة اليهودية، أمام الزعماء الصهاينة لحزب العمال، فى ٧ ديسمبر عام ١٩٣٨، حينما قال: «إذا كنت أعلم إنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا عن طريق ترحيلهم إلى إنجلترا، أو إنقاذ نصفهم فقط بترحيلهم إلى أرض إسرائيل، لكنت اخترت الحل الثانى؛ لأن علينا أن نأخذ فى الاعتبار، ليس فقط أرواح هؤلاء الأطفال ولكن أيضا تاريخ شعب إسرائيل». (المصدر: إيفون جيلبنر، السياسة الصهيونية ومصير اليهودية الأوروبية، فى دراسات ياد فاشيم، القدس، المجلد الثانى عشر ص ١٩٩).

ولكن فى حقيقة الأمر، ورغم المذابح التى ارتكبها هتلر، لم تحقق الصهيونية هدفها وهو: جمع يهود العالم فى فلسطين. لم تكف كل الدوافع الدينية ولا مذابح هتلر لتحقيق هذا الهدف: فقد اختار التَوجه إلى فلسطين ١٦ ٪ فقط من المهاجرين اليهود من أوروبا الذين عاشوا تحت حكم هتلر.

اشتكى اتحاد المهاجرين الألمان من أن ممثلى الوكالة اليهودية فى برلين يقدمون أوراق الهجرة إلى معاقين. وبعد عام من وصول هتلر إلى السلطة، صرح الاتحاد ببعض اللوم قائلا: «إن المادة الإنسانية

القادمة من ألمانيا تتحول من سيئ إلى أسوأ. إنهم لا يملكون لا الرغبة ولا القدرة على العمل، وهم فى حاجة إلى معونة اجتماعية». (٢٩ ديسمبر عام ١٩٣٣) (اتحاد المهاجرين الألمان). وبعد عام، أرسل الاتحاد إلى برلين قائمة بأسماء أشخاص يرى أنهم لا يجب أن يرحلوا إلى فلسطين. (٢٨ مارس ١٩٣٤)

كما كانت هنريتا چولد، التى كانت تقود قسم العمل الاجتماعى بالوكالة اليهودية، تحتج دوما إزاء وجود مرضى ومحتاجين بين المهاجرين. ومن وقت لآخر كانت چولد تطالب بعودة بعض من هؤلاء الحالات إلى ألمانيا النازية حتى لا يتحولون إلى حمل على اليشوف (١٩ أغسطس ١٩٣٤)

فى عام ١٩٣٧، قامت لجنة التوزيع المشتركة، (وهى منظمة أمريكية تقدم المساعدات إلى اليهود المحتاجين)، بالتفاوض مع السلطات الألمانية بشأن تحرير ١٢٠ من المسجونين اليهود من معسكر الاعتقال فى داشو. وكتب أحد زعماء الوكالة اليهودية لأحد زملائه يقول: «أنا غير متأكد، من الناحية السياسية، إذا كان من المفضل أن يتوجه كل المعتقلين المحررين إلى فلسطين. فمعظمهم ليسوا صهاينة، ويمكن أن يكون من بينهم شيوعيين».

كما حذر سيناتور، الذى كان يعمل فى مسألة ترحيل اليهود الألمان إلى فلسطين، مكتب الوكالة اليهودية فى برلين إذا لم يحسنوا نوعية «المواد الإنسانية» التى كانوا يرسلونها، فإن الوكالة ستضطر إلى

تحديد عدد الشهادات التى تقدم إلى رجال الأعمال الرأسماليين من اليهود الألمان ا .

وقد اتفق على أن تعطى شهادات الهجرة إلى من هم أكبر من ٣٥ عاما «بشرط ألا يشكلون عبئا على الدولة»، ومعنى ذلك أن عليهم الحصول على مهنة. «كما أعلن أن كل من يعمل فى التجارة أو أى عمل مماثل، لن يحصل على شهادة الهجرة بأية حال، إلا إذا كان من الصهاينة القدماء».

وقع ذلك فى عام ١٩٣٥ حين أوضح إسحق جرونبوم قائلا: «فى أوقات الرخاء يمكننا أن نستقبل هذه النوعية، ولكن فى أوقات الفقر والبطالة فإن تلك النوعية ستسبب لنا مشاكل جمة.. علينا أن نحصل على الموافقة الرسمية لاختيار اللاجئين ذوى القيمة للهجرة، وأن يسمح لنا بعدم قبول كل المتقدمين».

اليهود الألمان الذين حصلوا على الإذن بالهجرة «كمهاجرين فحسب» اعتبرهم الياهو دوبكين ـ عضو تنفيذى بالوكالة اليهودية ـ هم أيضا «مادة غير مرغوب فيها». وكتب لأحد زملائه يقول: «إننى متفهم تماما الوضع الخاص بالهيئات عبر البحار التى تتعامل مع اللاجئين الألمان، ولكنى أتمنى أن تكونوا مقتنعين معى أن علينا مواجهة تلك المسألة ليس من منطلق الإحسان، ولكن من وجهة نظر احتياج البلاد. وفى رأيى أن علينا استقدام اللاجئين الذين يلبون تلك الاحتياجات». وكتب أحد هؤلاء المسئولين إلى زميل له يقول: «بالنسبة لى، فإن ٩٠٪ منهم ليس لهم أية أهمية هنا».

أوضحت مذكرة اللجنة من أجل الإنقاذ التابعة للوكالة اليهودية فى عام ١٩٤٣ تقول: «هل علينا مساعدة كل هؤلاء الذين يطلبون المساعدة دون الأخذ فى الاعتبار الصفات التى تميز كل منهم؟ ألا يجب أن نعطى تلك الحركة صفة قومية صهيونية وأن نحاول أن نعطى الأولوية فى الإنقاذ لهؤلاء الذين يمكنهم أن يكونوا ذوى فائدة لأرض إسرائيل واليهودية؟ إننى أعلم أننى أبدو قاسيا فى عرض السؤال بهذه الطريقة، ولكن علينا للأسف أن نضع نصب أعيننا أننا إذا كنا قادرين على إنقاذ عشرة آلاف شخص من بين خمسين ألفا، يستطيعون المساهمة فى بناء البلاد والنهضة القومية، أو مليون يهودى يصبحون حملا، أو بالأصح ثقلا ميتا، فعلينا أن نقاوم وأن ننقذ العشرة آلاف، رغم الاتهامات التى ستوجه إلينا ونداءات المليون الذين سنتخلى عنهم». (المصدر: مذكرة لجنة الإنقاذ التابعة للوكالة اليهودية. ١٩٤٣، ذكرها توم سيجيف).

«يجب إنقاذ الشباب الصاعد، خاصة هؤلاء الذين يتمتعون بخبرة ويستطيعون داخليا أن يقودوا الصهيونية إلى النجاح. يجب إنقاذ الزعماء الصهاينة، فهم يستحقون أن تعوضهم الحركة مقابل جهودهم، فإن عملية الإنقاذ كمجرد عمل خير مثل إنقاذ اليهود الألمان ستؤذى حتما الأهداف الصهيونية، خاصة إذا كانت الفرص محدودة والكوارث كبيرة. يمكننا العمل من أجل المهاجرين اليهود الألمان طالما أنهم يمثلون أفضلية، وطالما أنهم يحضرون بأملاكهم. أما المهاجرون الحاليون فهم لا يمثلون أى أفضلية، لأنهم يحضرون بخفى حنين. وبالتالى فهم لا يستطيعون منح ييشوف أى شىء، ونحن لا

نستطيع أن ننتظر لنرى أن يحدث ما حدث من قبل لعدد كبير من اليهود الألمان: التباعد الكبير وأحيانا العداء لأرض إسرائيل، وعدم احترام كل ما هو يهودى ودينى، وهؤلاء الذين حضروا عبر إيران يوضحون أيضا العواقب الفادحة التى يمكن أن تؤدى إليها هجرة غير منتقاة من أشخاص بلا أية روابط مع الصهيونية، وبلا أية رابطة قومية».

(أبوليناري هارتجلاس: تعليق حول المساعدة والإنقاذ ــ ذكرها توم سيجيف ص ١٢٤ ــ ١٢٥)

وبالنسبة لإسحق جرونبوم، فإن احتياجات ييشوف لها الأولوية. **«أعتقد أنه من الضرورى أن أؤكد هنا بوضوح: الصهيونية تأتى قبل أى شىء!»**.

كان هذا التطرف سابقًا لموقف الوفد الصهيونى فى مؤتمر إيفيان، فى يوليو عام ١٩٣٨ حينما اجتمعت ٣١ دولة من أجل مناقشة استيعاب لاجئى ألمانيا النازية: طالب الوفد الصهيونى كحل وحيد ممكن، دخول مائتى ألف يهودى إلى فلسطين.

مجرد تقديم تلك الوثائق، يوضح كل الفرق بين اليهودية، الدين الذى أحترمه، والصهيونية السياسية والقومية والاستعمارية التى أحاربها مثل كل القوميات العنصرية الأخرى.

كما أنها تكشف خدعة هؤلاء الذين يلوحون اليوم بجثث الضحايا الذين لم يريدوا إنقاذهم.

أين إذن من كل ذلك «تشهيراتى» بزعماء الصهاينة؟

من احتقار إلى تقديس الضحايا

لم يكتف الصهاينة بالتخلى عن الضحايا، بل أيضا كانوا يشعرون تجاههم بالكثير من الاحتقار.

أعلن الكاتب يهودى هنديل فى التليفزيون الإسرائيلى فى يونيو عام ١٩٨٩ :

«دعنى أقول بلا مواربة، كان فى البلاد نوعان من الأجناس. الذين يعتقدون أنهم آلهة، هؤلاء لهم الشرف والتميز بأنهم ولدوا فى ديجانيا، أو فى حىّ بوروشوف فى جيفاتايم. أما أنا فقد كبرت فى حى عمالى بالقرب من حيفا، ويمكن القول بكل تأكيد، أن جنس أدنى كان يعيش هناك. ومن الأشخاص الذين كنا نعتبرهم أدنى، هم من أصيبوا بنوع من العاهات، مثل الحدب. إنهم هؤلاء الذين دخلوا البلاد بعد الحرب. ولقد تعلمت من المدرسة أن أقبح الأشياء وأكثرها حقارة ليس المنفى ولكن اليهودى الذى جاء من المنفى».

تقول ليا جولدبرج، خلال اجتماع للكتاب دعا إليه بن جوريون: **«هؤلاء الأشخاص يملؤهم القبح والفقر الحسى، وهم يثيرون الشكوك ومن الصعب أن تحبهم» (توم سيجيف، ص ٢١٨).**

بالنسبة لبن جوريون، فإن السبب الأساسى فى اضطهاد الضحايا من اليهود فى البلاد التى كان يحكمها هتلر، هو أنهم لم يلبوا نداءه بضرورة اللجوء إلى فلسطين!

كما قال أحد أعضاء الوكالة اليهودية : إن جدارا غريبا ارتفع بين الناجين من المذابح ، والذين ولدوا فى إسرائيل . أما بن جوريون فيصف هذا الجدار بأنه «حاجز الدم والصمت ، القلق والوحدة» .

يمكن أن نفهم من ذلك لماذا بعث چوزيف بروسكاور ، قاضى بنيويورك ، ورئيس شرفى للمجلس اليهودى الأمريكى ، برسالة إلى بن جوريون ، بتاريخ ٣١ مايو ١٩٦١ ، يحتج فيها على مزاعم بن جوريون بالتحدث باسم اليهودية العالمية . (توم سيجيف ص ٣٩١)

كما بعث المجلس الأمريكى من أجل اليهودية برسالة إلى كريستيان هيرتر «يندد فيها بقيام الحكومة الإسرائيلية بالتحدث باسم كل اليهود» (صحيفة لوموند ٢١ يونيه ١٩٦٠)

أجاب بن جورين قائلا : «أنه يهودى ولا يهتم بما يقوله غير اليهود» . (رسالة إلى إسحق كوهين فى ١١ أبريل ١٩٦١)

* * *

لم يعرف أمثال بن جوريون الذين عاشوا فى فلسطين فى حماية الإنجليز ، ما تكلفهم المقاومة فى معسكر الاعتقال . نحن الذين عشنا كل ذلك ، بعد ترحيلنا إلى دجيلفا ، فى الصحراء عام ١٩٤١ ، (حيث أنهم لم يعودوا يرحلون أحد إلى ألمانيا) ، وعندما أردنا تحية المعتقلين الآخرين من الفرق الدولية ، أمر قائد المعسكر بإطلاق النيران علينا . إننا ندين بحياتنا إلى الجنود الإباضيين(*) (وهم طائفة مسلمة من

(*) مذهب الإباضية هو المذهب الرئيسى فى سلطنة عمان ، وهناك من يتبعه فى جنوب الجزائر . وهم أقرب فرق الخوارج للسنة .

الجنوب) الذين كانوا يرفضون أن يقوم شخص مسلح بقتل شخص غير مسلح.

من مقاومتنا ـ رغم عدم فاعليتها ولكنها رمزية ـ تعلمنا أنه إذا لم نستطع دائما الدفاع عن حياتنا، فعلى الأقل نستطيع دائما الدفاع عن شرفنا.

لهذا السبب لم نميز أبدا فى المعسكرات بين اليهود، مثل برنار لوكاش، وغير اليهود، واستطعنا أن نتفهم الوضع بالنسبة لزملائنا، اليهود وغير اليهود، الذين كانوا فى معسكرات ألمانيا.

ثم فجأة، تغير موقف الزعماء الصهاينة بعد حرب الأيام الستة، وتحول الشعور باحتقار ضحايا الشتات إلى العكس تماما، وبنفس المبالغة: لم يعد المرحلون كلهم أبطالا، ولكنهم كانوا جميعا ضحايا.

ومرة أخرى، تم التأكيد على تميز الضحايا اليهود، وكأن موت الآخرين لا يحقق هذا التميز.

وحول محاكمتى والحملة الإعلامية التى تعرضنا لها، أنا وأخى القس پيير، كتب فرانسيس مارتنز بالجامعة الكاثوليكية بلوفين فى صحيفة لوموند بتاريخ ٢١ مايو عام ١٩٩٦ يقول: «لم يكن مصادفة أن يتكرر تعبير «أسطورة» كثيرا فى كتاباتهم. . فمن المفترض أن تحول آوشڤيتس إلى أسطورة يكسبها سطحية، ويؤدى إلى تزايد إنكار ما حدث. والتحدث عن «المحرقة» أو «الضحايا» عندما تقع عملية قتل جماعى، شىء يتسم بنفس النية السيئة كمن يتحدث عن مجرد «تفاصيل». فليس هناك «شهداء» بل ضحايا. فالشهداء يموتون،

وأحيانا يختارون أن يموتوا، من أجل قضية. ولكن الضحايا هم من ساقهم سوء حظهم فى طريق الجلاد».

أما بالنسبة لتعبير «المحرقة» (تم تناوله فى دار نشر مورياك منذ عام ١٩٥٨) فهناك استعارة لغوية لشعر شاذ. وفى عالم الضحية فى الدين اليهودى، تصبح المحرقة هى القربان الذى يقدم إلى الله، يجرى خلالها حرق حيوان سليم. تطبيق تلك الصورة على القتل الجماعى، يضع هتلر فى مكانة كبير القساوسة الإسرائيلى، ويكشف الحقيقة الفجة لعملية إبادة، للخطابة فى خيال مريض يهذى.

تقديس الشوا التى يراها البعض وكأنها الوجه الآخر الشيطانى لأسطورة «الاختيار» لا تستحق أكثر من أداتها الإعلامية.

فى طريق هذا «التفرد» للمعاناة اليهودية فى التصور الإلهى الأبدى، وكأن معاناة الآخرين غير موجودة. يتحول التوجه عند الصهاينة ليأخذ شكلا هزليا، أضاف ايلى فازيل عندما قال: «لماذا تقرر لنا أن ننظر إلى المحرقة بمشاعر الخزى؟ لماذا لا نعتبرها فصلا عظيما من فصول تاريخنا الأبدى؟

اليوم، كل شىء يدور حول تجربة المحرقة، فلماذا نواجهها بكل ذلك الغموض؟ لماذا لا نعتبر أن من مهام المعلمين والفلاسفة اليهود أن يعيدوا تفسير الحدث ليكون مصدرا للفخر، وإعادته إلى تاريخنا.» (چى فى ص ٢٨٨)

هذا التحول الصهيونى حدث لأسباب سياسية (حرب الأيام الستة) وبناء على رغبتهم فى إدخال الكارثة السابقة فى إطار الاستمرارية اللاهوتية فى تاريخ الشعب المختار.

الجزء الثانـــى

التنـاقض الصهيـونى

صك الأساطير ـ اللوبى ـ القتل بالأمر الإلهى

تناقض الصهيونية هذا بدأ مع إقامة دولة إسرائيل: قام بن جوريون الذى «اعتبر اليهودية ككارثة تاريخية للشعب» (كما يقول البروفيسور لايبوفيتس فى نشر أحاديثه معه. فى كتابه: إسرائيل واليهودية ـ ديكليه وبروفير ص ١٣٨). ورغم رغبته فى فصل الدين عن الدولة، قام بفرض دراسة الدين فى المدارس (وذلك من أجل الحفاظ على كلمة السر فى العقيدة الصهيونية وهى الأرض الموعودة). كما وافق على أن تفرض القوانين التوراتية للحاخامات على مسائل الزواج والطلاق والموت.

ينص أحد تلك القوانين: «قانون شرعية المحاكم الدينية» (قانون ٥٧١٣ لعام ١٩٥٣) على:

ـ المادة الأولى: كل ما يتعلق بالزواج والطلاق بين اليهود فى إسرائيل، سواء كانوا مواطنين أو مقيمين، يقع فقط تحت مسئولية المحاكم التابعة للحاخامات.

ـ المادة الثانية: يتم زواج وطلاق اليهود فى إسرائيل بناء على القانون الذى حددته التوراة.

بعد عام ١٩٦٧، كان يجب إعطاء تفسير لاهوتىّ لكل التاريخ، فأصبحت أسس الدولة الإسرائيلية تتعلق بالحياة فى الآخرة، فتقدس وكأنها إله جديد.

وقد كتب شلومو أفنيرى فى هذا المفهوم يقول: «أن تكون يهوديا اليوم، يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل». (إنشاء الصهيونية الحديثة ـ ١٩٨١، ص ٢١٩).

هذا التقديس كان له عدة نتائج: فقد أصبحت المحرقة نقطة جدال أساسية تساندها فكرة إقامة دولة إسرائيل وسياستها.

لأن الله أراد لها ذلك أولا، ثم بعده هتلر. لذا تضع إسرائيل نفسها فى مكانة أعلى من كل القوانين الإنسانية، وتتجاهل بالأخص كل قرارات أو إدانات الأمم المتحدة.

منذ قرار تقسيم فلسطين، أعلن بن جوريون: **«الدولة الإسرائيلية تعتبر قرار الأمم المتحدة بتاريخ ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧، باطلا وكأنه لم يكن» (نيويورك تايمز فى ٦ ديسمبر عام ١٩٥٣)**. وبدأ مهمته فى أكبر عملية طرد مواطنين.

أما النتيجة الثانية فهى اعتبار أن قوانينها تَجُبُّ قوانين كل الدول الأخرى.

ولم يخف زعماء الصهيونية هذا الدور الذى يلعبه اللوبى الصهيونى، ولقد أعلن بن جوريون بوضوح قائلا: «**عندما يتحدث يهودى فى أمريكا أو فى جنوب أفريقيا مع زملائه اليهود الآخرين عن «حكومتنا» فهو يعنى حكومة إسرائيل**». (المصدر: عودة ميلاد ومصير إسرائيل، ١٩٥٤، ص ٤٨٩).

حدد المؤتمر الثالث والعشرين لمنظمة الصهيونية العالمية واجبات اليهودى فى الخارج، فقال: «**إن الواجب الجماعى لكل المنظمات الصهيونية فى مختلف الدول فى مساعدة الدولة اليهودية تحت جميع الظروف، مسألة حاسمة، حتى ولو كان موقفهم ذلك يتناقض مع السلطات فى بلادهم**». (المصدر: بن جوريون: مهام وشخصية الصهيونى الحديث، چيروزاليم پوست، بتاريخ ١٧ أغسطس عام ١٩٥٢، والوكالة التلغرافية اليهودية فى ٨ أغسطس عام ١٩٥١).

هذا المزج بين اليهودية كدين (وهو دين محترم مثل كل الأديان) والصهيونية السياسية عن طريق فرض الولاء غير المشروط لدولة إسرائيل، واستبدالها برب إسرائيل، لن يغذى إلا مشاعر معادية للسامية.

وبناء على ذلك الترفع المزيف، فإن كل الوسائل مبررة من أجل الوصول إلى الهدف الإلهى.

لقد أوضحنا، وأكد على ذلك الأرشيف الإسرائيلى، أن «أرض الميعاد» هى أرض محتلة، وطرد أهلها الأصليين بالحديد والنار، مثلما حدث فى دير ياسين، كان مبرره الزائف الإيفاء بعهد إلهى.

وكل من يحاول الطعن فى صحة هذا العهد يستحق الموت بيد قاتل يملك حقًا إلهيًا. وذلك يجرى منذ ٥٠ عاما: فى ١٦ سبتمبر عام ١٩٤٨ قدم الكونت برنادوت تقريره (أ ٦٤٨) إلى الأمم المتحدة، حيث يصف «النهب الصهيونى على أكبر مساحة . . . وتدمير القرى».

وأنهى تقريره بضرورة عودة «اللاجئين العرب ذوى الأصول الراسخة فى تلك الأرض منذ قرون»

قدم التقرير (أ٦٤٨) يوم ١٦ سبتمبر عام ١٩٤٨، وفى ١٧ سبتمبر أغتيل الكونت فى القدس فى المنطقة التى يحتلها الصهاينة. وقد ألقى القبض على قاتله، ناثان فريدمان ـ يلين، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات، ثم أعفى عنه بعد عامين، وفى عام ١٩٦٠ انتخب نائبا فى الكنيست.

فى ٩ يونيه عام ١٩٤٢ أعلن اللورد موين، سكرتير الدولة البريطانى، أن اليهود الحاليين ليسوا هم أحفاد اليهود القدماء، ومن ثم فلا تحق لهم «المطالبة الشرعية بالأرض المقدسة». وفى ٦ نوفمبر عام ١٩٤٤، اغتيل لورد موين فى القاهرة بيد اثنين من أعضاء مجموعة شترن التابعة لإسحق شامير. بعد ثلاثين عاما، وفى ٢ يوليو عام ١٩٧٥، كشفت صحيفة إيفننج ستار فى أوكلاند، أن جثتى القاتلين دفنتا عند نصب الأبطال فى القدس.

تماما مثلما حدث بعد المذبحة التى جرت عند المسجد الإبراهيمى فى الخليل وقتل فيها ٢٩ عربيا أثناء صلاة الفجر، وأصبح القاتل بطلاً وقديسًا، له ضريح الأولياء ولاتنقطع زيارته، ونقش على نصبه التذكارى: «إلى البطل باروخ جولدشتاين» وبلا أى رد فعل من الحكومة، يفد أهل المنطقة إلى الصرح يحملون الزهور.

نفس الشيء حدث للرئيس رابين، الذى عوقب لجهوده من أجل السلام، ومن ضمنها إعادة بعض الأراضى إلى الفلسطينيين، فقتل بيد قاتل آخر يملك حقًا إلهيًا، ويزوره المتطرفون فى سجنه حاملين له الزهور.

هكذا أصبح القتل من الممارسات المتكررة، بل والمقدسة فى السياسة الإسرائيلية التى تدعو دوما إلى أمن المستوطنين والدولة وأصبح المجال الأمنى لإسرائيل مثل المجال الحيوى للنازى أيام هتلر .

لقى ١١١٦ فلسطينيا حتفهم منذ بدء الانتفاضة (انتفاضة الحجارة) فى ٩ ديسمبر عام ١٩٨٧ ، برصاص قوات الجيش والبوليس والمستوطنين. من بين الضحايا هناك ٢٣٣ طفلا ، لم يبلغوا ١٧ عاما ، وذلك حسب التحقيق الذى قامت به «بيتسالم» ، الاتحاد الإسرائيلى لحقوق الإنسان. وذكرت المصادر العسكرية أن عدد المصابين بالرصاص وصل إلى عشرين ألفا ، وذكر مكتب الأمم المتحدة لغوث اللاجئين فى فلسطين أن العدد يصل إلى ٩٠ ألفا .

منذ ديسمبر عام ١٩٨٧ ، قتل ٣٣ جنديا إسرائيليا، وقتل ٤٠ مستوطنا فى الأراضى المحتلة ، حسب الإحصاءات التى صدرت عن الجيش .

وحسب إحصاءات المنظمات الإنسانية ، أعتقل ١٥ ألف فلسطينى فى عام ١٩٩٣ ، فى سجون الإدارة القضائية ، وفى مراكز الاحتجاز العسكرية .

وذكرت بيتسالم، أنه مات فى السجون الإسرائيلية ١٢ فلسطينيا منذ بداية الانتفاضة، بعضهم فى ظروف لم يتم الكشف عنها بعد. كما أشارت تلك المنظمة الإنسانية أن هناك على الأقل ٢٠ ألف سجين يتم تعذيبهم سنويا فى مراكز الاحتجاز العسكرية خلال التحقيق معهم. (المصدر: لوموند بتاريخ ١٢ سبتمبر عام ١٩٩٣)

كتبت المجلة الإسرائيلية ميجفار فى عددها الصادر فى شهر نوڤمبر عام ١٩٨٢ تقول: «حسب إثباتات وزير الداخلية يوسف بورج، قتل فى عام ١٩٨٢ ثمانية عشر يهوديّا بيد الإرهابيين. بينما قتلنا نحن حوالى ألف إرهابى فى عام ١٩٨٢، وتسببنا فى موت عدة آلاف من مواطنى دولة معادية (لبنان)، مما يشير إلى إنه مقابل كل ١٨ يهوديا، قتلنا عدة آلاف من غير اليهود. إن ذلك يعد انتصارا عظيما للصهيونية. بل أستطيع أن أقول إنه تجاوز كل حدود.» ذكره نعوم تشومسكى فى كتابه: (المثلث القاتل ص ٧٤).

أما قتلى زعماء المقاومة فى منظمة التحرير الفلسطينية، فهم كثيرون. وعلى سبيل المثال، سعيد حمان الذى قتل فى لندن عام ١٩٧٨، ونعيم خضر فى بروكسل عام ١٩٨١، وصرتاوى فى البرتغال أثناء مؤتمر الدولية الاشتراكية فى عام ١٩٨٣، وكثيرون غيرهم، وحتى المحاولة الفاشلة لقتل زعيم حماس فى الأردن والتى قامت بها المخابرات الإسرائيلية.

كما استمرت الميليشيات المسلحة التابعة لبيطار (تلك التى كان هتلر قد سمح بها طوال خمس سنوات من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٨) فى

ممارسة نشاطها، وارتداء الزى العسكرى وحمل العلم وارتداء القمصان البنية، وإصدار نشرتها، واستصدار إذن للهجرة إلى فلسطين (توم سيجيف : المليون السابع ص ٤٥). مازالت تلك المليشيات تمارس اعتداءاتها فى فرنسا اليوم، وقد أدين اثنان من أعضاء البيطار يوم الثلاثاء ١٠ فبراير عام ١٩٩٨ بتهمة ضرب عجائز معظمهم فى السبعين من عمرهم بمضارب البيسبول، كانوا يحضرون مؤتمرا عن تعاون نظام فيشى فى باريس مع النازية. (لوموند بتاريخ ١٢ فبراير عام ١٩٩٨) حتى صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أدانت عنصريتهم. (ليبراسيون ٢٦ ديسمبر عام ١٩٩٧).

فى إسرائيل، وبمناسبة مرور خمسين عاما على إقامة الدولة، عرض التليفزيون الإسرائيلى فيلما باسم «تكوما» (النهضة)، فى ٢٢ حلقة. الفيلم يقص كل تاريخ إسرائيل. وقد خصصت إحدى الحلقات عن الإرهاب الفلسطينى، وفى محاولة لتبدو موضوعية، استشهدت الحلقات بعدد من اللاجئين العرب الذين أشاروا إلى المذابح التى ارتكبها الجيش الإسرائيلى فى عامى ١٩٦٧ و١٩٨٢. وقد وضعت المخرجة رونيت فايس بيركوفيتس عنوانا لتلك الحلقة «بلادى» وهو اسم السلام الوطنى الفلسطينى. اعتبر المتطرفون الفيلم فضيحة كبيرة، لأن الفيلم أعطى الكلمة للعدو الذى لا يتفاوضون معه، وعرض أفلامًا من الأرشيف حيث ظهرت صور لمعسكرات اللاجئين، بينما كانت جولدا مائير تنفى وجود الشعب الفلسطينى. وفى حلقة أخرى، حول إسرائيل أخرى، أظهر الفيلم الصعوبة فى استيعاب اليهود السفارديم، الذين قدموا من الدول العربية خلال

السبعينيات، للدخول إلى دولة أقامها الإشكنازى (القادمين من أوروبا). ولقد أمر ليمور ليفنات، وزير الاتصالات بحظر الفيلم رغم أنه لم يره، بناء على طلب من أرييل شارون، ولكن التليفزيون قاوم.

ثم بدأت تنهمر على المخرجة خطابات مجهولة تتضمن تهديدات بالقتل، مثل: «سنحرقك، أيتها الشيوعية، الموالية للعرب».

(انظر مقال كريستوف بولتانسكى فى صحيفة ليبراسيون بتاريخ ٥ أبريل عام ١٩٩٨، وتلك لمراسل لوموند فى القدس فى لوموند بتاريخ ٦ أبريل عام ١٩٩٨).

إنها تماما مثل التهديدات بالقتل التى تلقيتها بعد أن صدر كتابى، وبعد الحملة الإعلامية التى أدانتنى. وبعد النطق بالحكم الأول، شنت الميليشات التابعة لبيطار ـ داخل مبنى العدل هذا ـ معركة حقيقية ضد ستة من الصحفيين، أرسلت بعضهم للعلاج فى مستشفى هوتيل دى ديو، فى حالة خطيرة.

ولقد أرسلت إلى وزير الداخلية شكوى، فرد عليّ بخطاب كتبه بخط يده.

أعطت كل تلك الأحداث طلبى بالاستئناف كل معناه: مطالبة العدالة بوضع حد لكل تلك الأعمال العنيفة الكلامية والجسدية، والتى تعد عكس ما تنادى به التقاليد الفرنسية فى مجال حرية التعبير فى الكتب والصحافة، طالما أنها لا تتضمن كما أكد الحكم الأول، أى دعوة إلى العنف.

أما بالنسبة لدعاوى أمن إسرائيل، فإنه من السخرية، إذا لم يكن من الخبث، أن نتحدث عنها فى دولة تحتل أراض من كل جيرانها، فى لبنان والجولان، فضلاً عن فلسطين والأردن(*).

هل هو تشهير أن تندد بتلك السياسات القاتلة؛ القائمة على أساطير زائفة؟

الإجابة سهلة.

أ) هدم الأساطير الصهيونية:

بالنسبة للأساطير، وهو التعبير الذى طالما أثار حنق هؤلاء الذين اتهمونى، فإن المسائل أصبحت أكثر وضوحا منذ المحاكمة التى نستأنفها اليوم.

كتب البروفيسور زييف سترنهيل، أستاذ العلوم السياسية فى الجامعة العبرية بالقدس، وصاحب كتاب: الأساطير المؤسسة للقومية الإسرائيلية، الذى صدر فى دار نشر پرينستون يونيڤيرستى پرس عام ١٩٩٧، كتب فى لوموند دپلوماتيك فى شهر مايو عام ١٩٩٨، «لم يحدث أبدا أن انتشرت عملية إدانة أساطيرنا المؤسسة كما يحدث حاليا».

لا أزعم لنفسى هذا الشرف. لأن الحركة كانت قد بدأت فى إسرائيل نفسها، قبل صدور كتابى، ولكنى فخور بأننى استطعت

(*) كذلك اغتصبت إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨ أم الراشراش المصرية، وأقامت عليها ميناء إيلات.

أن أساهم فيها، وأن استمر فى الاشتراك فيها من أجل الاستقلال الفكرى.

حتى فى فرنسا، صدرت الدراسة الرائعة التى كتبها إيلان جرايلزهامير، أستاذ العلوم السياسية فى جامعة بار إيلان باسم: «التاريخ الجديد لإسرائيل»، والتى صدرت مؤخرا عن دار جاليمار للنشر. ولقد كان القس پيير هو أول من لفت نظرى إلى هذا العمل، قائلا: «اقرأها سريعا، إنها تؤكد أفكارنا». وبعد دراستها، وجدت أنها تؤكد كل التحليلات التى قدمتها، وحتى تجاوزت من كتابى الجزء الذى أتناول فيه المسائل التاريخية. وأنا أتفهم تماما أن البروفيسور جرايلزهامير، اضطر، حتى يستطيع أن ينشر هذا العمل الجرىء، أن يغطى نفسه بانتقاد هذيانى ضد معاداة السامية ـ وأنا أتحدى أى شخص يجد فى كتابى جملة واحدة تستخدم فيها كلمة يهودى، فى شكل إهانة ـ ولكنى أدين له بأنه قام فى دراسته بالتأكيد على الجزء التاريخى من كتابى بكل ذلك التبحر، وساهم بقوة فى الكشف عن الحقيقة.

كما ساهمت السيدة فرانسواز سميت، عميدة الكلية البروتستانتية فى پاريس سابقا، بكتابها «الأساطير غير الشرعية فيما يخص المسائل الدينية». بعدها بعثت إليها بكتابى، حيث أضافت بعض النقاط الدقيقة، وكتبت تقول لى فى رسالة بتاريخ ١٢ ديسمبر عام ١٩٩٦: «هذا السرد، وحتى بدون نتنياهو، لا يمكن مهاجمته».

وبنفس الأسلوب، كتب أندريه لودوز، عالم اللاهوت، فى مراجعته لكتابى: «ملف إسرائيل» يقول: «أما بالنسبة للمبرر الدينى،

فإن فكرة الشعب «المختار» تعتبر تاريخيا مسألة طفولية، وسياسيا إجرامية، وفكريا غير مقبولة. لأن البعض «مختارون» والباقى «مستبعدون»، وأى سياسة تزعم أنها تقوم على هذه الأسطورة، تؤدى حتما إلى إلغاء ورفض الآخر».

وأخيرا، فمن وجهة النظر اليهودية، قام الحاخام آلمر بيرجيه، رئيس المجلس الأمريكى من أجل اليهودية فى مؤتمر بجامعة ليدن فى هولندا، يوم ٢٠ مارس عام ١٩٦٨، بنشر مقال فى نيويورك، تحت عنوان: النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل، وكتب المقدمة أرنولد توينبى، قال فيها: «صهيون ليس قديسا».

وفى إدانته لفكرة لاهوتية مغرضة، قال فى الخاتمة: «إن الدولة الإسرائيلية الحالية ليس لها أى حق، فى أن تزعم أنها الإنجاز النهائى للرسالة الدينية».

وأضاف الحاخام آلمر بيرجيه، «إسرائيل، ليست فوق القانون لمجرد **أنها تزعم أنها وجدت وتعمل كأداة للقانون الأعلى، قانون رب كل البشرية. تلك هى النقطة الحاسمة».**

كل تلك الأساطير التى صكها الزعماء الصهاينة الإسرائيليون من أجل تبرير سياستهم وابتزازهم، من شأنها إخفاء الحقائق التاريخية واللاهوتية عن طريق تزييف أيديولوچى، ثم ترويجه إعلاميا.

فى مقال بعنوان: «من علم الأساطير إلى التاريخ»، نوه كاتب المقال إلى كتاب زيف سترنهيل قائلا:

أضاف صاحب كتاب «جذور إسرائيل» قائلا إن «الاستمرارية التاريخية ـ الدينية تمثل أحد أعمدة الصهيونية، والتوراة تقرأ وكأنها صك ملكية خاصة لهم على الأرض».

من هنا، ولدت بعض الأساطير المؤسسة: «أرض بلا شعب من أجل شعب بلا أرض»، دولة جديدة مثالية، تمارس فيها العدالة والجمال، وحروب «دفاعية تشن بأسلحة طاهرة!».

فمنذ نحو عشر سنوات، بدأ الباحثون عملهم من أجل «هدم» الأساطير: بنى موريس فى كتابه «مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين». توم سيجيف وكتابه «الإسرائيليون الأول» و«المليون السابعة»، اليان بابى، أفى شلايم، وآخرون. بالنسبة لهم، فالمسألة لا تتعلق بالتاريخ الجديد، بقدر ما تتعلق بالتاريخ عامة، بما أنه «لم يكن هناك من قبل إلا الأساطير» حسب قول موريس.

إننا لن نعود إلى أكثر تلك الأساطير هذيانا، التى تقول: «أرض بلا شعب، من أجل شعب بلا أرض»، والتى استخدمتها جولدا مائير لتؤكد أن الفلسطينيين ليس لهم وجود، وأن الصهاينة جاءوا إلى صحراء. وكل ذلك لم يكن إلا أكاذيب فاحشة، كانت جولدا مائير مدركة تماما حقيقتها بحيث أنها لم تستطع تجاهل شهادة أحد الصهاينة القدامى، آشر جينسبيرج، الذى كان يطلق عليه لقب آهاد هاام (واحد من الشعب) حينما قال:

«فى الخارج، تعودنا أن نعتقد أن إيريتس ـ إسرائيل مهجورة تقريبا، صحراء بلا ثقافات، وكل من يرغب فى الحصول على أرض، ما عليه إلا

أن يأتى هنا ليأخذ بقدر ما يريد. ولكن الحقيقة كانت غير ذلك. فعلى امتداد البلاد، كان من الصعب إيجاد حقول غير مزروعة. الأماكن الوحيدة التى لم تكن مزروعة كانت أراضى من الرمال، وجبال من الحجارة حيث لا تنمو إلا أشجار الفاكهة، وذلك بعد عمل مضنى، وجهد كبير لتنظيف الأرض واستصلاحها.» (المصدر: الأعمال الكاملة (بالعبرية) تل أبيب، دار نشر ديفير، الطبعة الثامنة ص ٢٣).

الأسطورة الثانية هى خروج الفلسطينيين أهل الأرض الأصليين، طواعية، بينما كشف بنى موريس، فى بحثه فى الأرشيف، أن ما حدث كان عملية مطاردة دموية قاتلة مرعبة للمواطنين.

إن ما أطلق عليه أحد المؤرخين الإسرائيليين اليوم بـ «الخطيئة الأولى لإسرائيل» هو نفسه ما تم انتقاده منذ سنوات.

مائير بايل، الذى كان شاهدا على مذبحة دير ياسين، وتأكدت شهادته من خلال ممثل الصليب الأحمر، چاك دو رينييه، الذى وجد فى مكان الجريمة، وشهد كل ما حدث، كتب يقول فى مقال بصحيفة **يديعوت أحرونوت بتاريخ ٢٩ أبريل عام ١٩٧٢ «إن الأسطورة، أو بالأحرى الكذبة التى أطلقها بن جوريون، ظلت تنمو طوال ربع قرن من جراء الدعاية الصهيونية، إلى أن وجد البروفيسور بنى موريس الحقيقة فى الأرشيف، الذى تم فتحه أخيرا، وكان لديه من الشجاعة أن يقولها فى كتابه ـ الذى نشر فى الولايات المتحدة من خلال الناشر كامبريدج يونيفرسيتى**

بِرس فى عام ١٩٨٧ . هذه الحقيقة كلفت البروفيسور كرسيه الجامعى فى إسرائيل. ويعرف الجميع أن منذ عام ١٩٤٧ كانت كلمة سر چوزيف فايتس، مدير قسم الأرض أو الصندوق القومى اليهودى هى: «اطردوا كل من تستطيعون من العرب من أرضنا.. لقد قدمت قائمة بأسماء القرى العربية التى أتصور أنه يجب تنظيفها حتى يمكن أن نحقق التجانس للمناطق اليهودية». (چوزيف فايتس، يوميات، ص ١٠٠).

كل الحروب الوقائية التى خاضتها إسرائيل، مثل حملة السويس فى عام ١٩٥٦ بالتواطؤ مع فرنسا وإنجلترا، وحرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧، التى بدأت بنفس الطريقة التى دمرت بها اليابان پيرل هاربور، بدون أن تعلن الحرب على الولايات المتحدة، فقد دمرت إسرائيل الطيران المصرى على الأرض فى ٥ يونيه عام ١٩٦٧ بدون إعلان الحرب، وغزو لبنان فى عام ١٩٨٢، كل تلك الجرائم ضد الإنسانية، أسفرت عن مصرع آلاف الضحايا من النساء والأطفال وكبار السن، كل تلك الحروب كانت تغطيها إسرائيل بالأسطورة القائلة: «لم يكن هناك وسيلة أخرى».

وأفضل الأمثلة على ذلك هى حرب الأيام الستة، حيث حققت الصهيونية الإسرائيلية أكبر أمجادها. فى ذلك الوقت أيضا، لم يشك أحد، خاصة الزعماء الإسرائيليين، فى أن حياة إسرائيل لم تكن أبدا فى خطر (*).

(*) شنت إسرائيل حرب ١٩٦٧ على مصر، فى الوقت الذى كانت المفاوضات بين مصر والولايات المتحدة على وشك أن تبدأ لحل ما سُمى وقتها بالأزمة، =

وفى ١٢ يونيه أعلن ليڤى أشكول رئيس الوزراء فى الكنيست أن : «وجود الدولة الإسرائيلية كان على وشك الضياع ، ولكن الآن ، فإن آمال الزعماء العرب فى القضاء على إسرائيل قد انتهت» .

لم يصدق أى من الزعماء الإسرائيليين تلك الأكاذيب التى تبدو ساذجة ، فقد كانت للاستهلاك الخارجى والداخلى . ولقد انتقدها الوزير الإسرائيلى السابق موردخاى بنتوف ، عندما قال علانية : «كل **تلك الأقاصيص حول خطر الإبادة كانت محض خيال، وقد تضخمت بعد ذلك من أجل تبرير ضم أراضى عربية جديدة**» وكان ذلك ما أكده من العسكريين ، الچنرال عيزرا وايزمان ، بقوله : «لم نواجه أبدا خطر الإبادة» . أو شهادة الچنرال ماتيتياهو بيليد : «النظرية التى تقول أن خطر الإبادة الجماعية كان معلقا فوق رءوسنا فى يونيه ١٩٦٧ ، وأن إسرائيل حاربت من أجل وجودها الجغرافى ، لم يكن إلا خدعة ، ولدت ونمت بعد الحرب» .

=وطلبت الولايات المتحدة من مصر ألا تبدأ الحرب . وحجة إسرائيل فى شن تلك الحرب العدوانية هو أن مصر طلبت من قوات الأمم المتحد مغادرة مواقعها فى سيناء . وبديهى أن هذا طلب شرعى وإلا ما وافقت عليه الأمم المتحدة . وزعمت إسرائيل أن ذلك الأمر يعنى إغلاق خليج العقبة ، بذلك تختنق إسرائيل . ولم يكن فى ذلك إغلاق لخليج العقبة ، فلم تحاول سفينة واحد متجهة لإسرائيل أن تمر فى المضيق ومنعتها القوات المصرية ، والأهم من ذلك ، أنه حتى لو تم ذلك ما اختنقت إسرائيل ، فلها ساحل طويل على البحر المتوسط . وغنى عن القول أن هناك عشرات الدول فى العالم ليس لها منافذ بحرية على الإطلاق ، ومازالت تعيش وتتنفس .

وكتب الچنرال رابين يقول: «لا أعتقد أن ناصر أراد الحرب. فإن الفرقتين اللتين أرسلهما إلى سيناء فى ١٤ مايو، لم تكن لتكفيا لشن حرب ضد إسرائيل. كان هو يعرف ذلك، وكنا نحن نعرف ذلك أيضا».

الحرب والكذبة ساهما معا على احتلال إسرائيل سيناء . وهى كذبة ، لأن ممثلى الدولة الإسرائيلية الرسميين ظلوا يؤكدون أنهم لا يسعون إلى ضم أية أراضى .

كانت حرب عنف واحتلال ، ولم تتكشف شخصيتها الحقيقية إلا فى مايو عام ١٩٩٧ عندما نشر خطاب من الچنرال موشى دايان ، وأكدت صحته ابنته يائيل ، حاليا عضو الكنيست ، كشف فيه أن دخول سوريا الحرب جاء نتيجة قيام إسرائيل عن عمد باستفزازها . فكان أن نشرت صحيفة تيموانياج كريتيان ، فى ٢٠ يونيه عام ١٩٩٧ ، خطابًا من قارئ يدعى بيدرو سكارون ، جاء فيه : «أسطورة صهيونية أخرى تنهار» .

ولنمر عبر أساطير أخرى كثيرة يكشفها البروفيسور ايلان جرايلزهامير ، سواء كان يطلق عليها اسم «أسطورة ماسادا» (ص ٨٢ ـ ٨٣) أو أسطورة الملكية الجماعية ، التى وصفها البروفيسور سترنهيل قائلا : «مزارع الكيبوتس ، التى لا تضم إلا الأقلية القليلة من سكان يهود فلسطين ، وكانت مهمتها الأساسية هى احتلال أراضى . ٧٥٪ من الأموال التى تدفقت لتمويلها جاءت من الرأسمال الخاص . كان العصر الذهبى للرواد أسطورة عبئت لخدمة القومية ، مثل أسطورة المساواة فى قلب «الهيستادروت» ، جهاز النقابات العمالية ، عملاق اقتصادى كان يسيطر غداة الاستقلال على ٢٥٪ من الاقتصاد

القومى . . يزلزله تفاوت كبير فى أجور موظفيه الضخمة». (لوموند الثلاثاء ٢١ مايو ١٩٩٦)

يجب أن نضيف هنا أن العمال غير اليهود لم يكن يسمح لهم بالانضمام إلى تلك النقابة.

ولنذكر أيضا أسطورة داود وجالوت، والتى تظهر إسرائيل كداود الصغير فى مواجهة العملاق العربى، بينما كان التفوق العسكرى الإسرائيلى كاملا، منذ عام ١٩٤٨ : كان الجيش، الهاجاناه، يضم طوال فترة الحرب فى عام ١٩٤٨، ستين ألف جندى مسلحين بأسلحة من الغرب والشرق (خاصة تشيكوسلوفاكيا) وكان يواجه ما بين ٢٥ و٣٠ ألف جندى فى الجيوش العربية التى كانت مكونة من خليط من الفلسطينيين الذين تفرقوا نتيجة قمع التمرد الكبير فى عامى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ضد الإنجليز، وائتلاف عربى غير متناسق وبلا خطة استراتيچية موحدة(*).

ولقد ظهر نفس الزيف أثناء غزو لبنان فى عام ١٩٨٢ : ـ أولا شنت تلك الحرب الوقائية الجديدة. وكان المبرر لها متطابقا مع ذلك الذى فجر «ليلة الكريستال» : فى ٧ نوفمبر عام ١٩٣٨، (حين اغتيل دبلوماسى ألمانى فى باريس بيد يهودى شاب يدعى جرينسبان. وكان ذلك مبررا لأول مذبحة نازية كبرى، وعمليات قمع استبعدت اليهود من الحياة الاقتصادية).

(*) غنى عن الذكر عدم وجود جيوش عربية فى تلك الفترة، حين كانت الدول العربية إما تحت الاحتلال أو الانتداب، الأمر الذى منعها ـ بكل بداهة ـ من بناء جيوش.

في عام ١٩٨٢، وقع هجوما على ديبلوماسى إسرائيلى فى لندن: فاتهم الزعماء الإسرائيليون فورا منظمة التحرير الفلسطينية، وقاموا بغزو لبنان تحت ذريعة الدفاع الشرعى. كانت الجريمة عملية قميئة لأنها بنيت على كذبة فاجرة.

أمام مجلس العموم، قدمت السيدة ثاتشر الدليل على أن تلك الجريمة قام بها عدو لمنظمة التحرير الفلسطينية. وبعد إلقاء القبض على المجرمين، وفى ضوء تحقيقات البوليس، أعلنت السيدة ثاتشر قائلة: «على قائمة الشخصيات التى يجب أن تغتال والتى وجدت مع المسئولين عن الاعتداء أسماء لمسئولين فى منظمة فتح فى لندن.. مما يؤكد أن المعتدين لا يتمتعون، بمساندة منظمة فتح، كما تزعم إسرائيل.. وأنا لا أعتقد أن الهجوم الذى شنته إسرائيل ضد لبنان، كان عملية انتقامية نتيجة لهذا الاعتداء: أعتقد أن الإسرائيليين وجدوا فيه ذريعة لكى يفتحون نيران مدافعهم».

بالفعل كان الهجوم مدبرا.

فى ٢١ مايو عام ١٩٤٨ كتب بن جوريون فى يومياته يؤكد الهدف:

نقطة الضعف فى الائتلاف العربى، هى لبنان. فالتفوق العددى للمسلمين هناك غير فعال، ويمكن بسهولة تغييره، يجب إقامة دولة مسيحية هناك. حيث الحدود الجنوبية ستكون نهر الليطانى.» (المصدر: ميكائيل بار زوهار. بن جوريون، النبى المسلح.).

فى ١٦ يونيه، حدد الچنرال موشى دايان الوسيلة. (ص ٣٢).

حول الوسائل التى توضح زيف أسطورة داود وجالوت، كانت شهادة السفير الفرنسى فى بيروت فى ذلك الوقت، پول مارك هنرى، فى كتابه: «بستانو جهنم» (ص ١٢٤):

كان هناك تكثيف عسكرى غير مسبوق. وفى أهم لحظة للهجوم، قام الجيش الإسرائيلى بتعبئة نحو مائة ألف جندى فى لبنان. أكثر من ألف دبابة. كانت طوابير الدبابات تتحرك، وتساندها عدة آلاف من السيارات المختلفة لضمان التموين فى السلاح والذخيرة، وما يحتاجه الجيش فى الحملة. كانت كل القطع يربطها نظام اتصالات وإرسال اليكترونى، اعتبرها كل الخبراء أكثر النظم تقدما فى العالم.

يهدف هذا الجيش إلى الهيمنة الكاملة على المساحة الأرضية عن طريق استبعاد مادى لكل معارضة. ويتمتع هذا الجيش بالسيطرة شبه الكاملة على سماء المعركة..

وأخيرا، كانت البحرية الإسرائيلية تهيمن تماما على المنطقة البحرية. فكانت تملك زوارق سريعة وعالية التسليح، (زوارق شيربور، وملحاقتها) كانت قادرة على منع أى تدخل للإنقاذ من الخارج، وعلى حماية محاولات الإنزال، ومد الجيش بمساعدة قوتها القتالية الضخمة لضرب المدن المحاصرة. مثل بيروت.

حول استخدام تلك القوة، قال راندال (فى كتابه: حرب الألف عام):

«لم يكن هناك مجال للشك أن الإسرائيليين فضلوا على الوسائل التقليدية للمحاربين اللبنانيين، التكنولوچيا الحديثة وقوة السلاح

العالية مثل إف ـ ١٦ ، والقنابل الموجهة إليكترونيا ، والفوسفور الأبيض ، والدبابات ، والقنابل ضد الأشخاص ، ومدافع السفن .

أما ما كان يعتصر القلب ، فلم أجد أقسى من علاج المحترقين فى المستشفيات فى بيروت ، بعد أن قامت المدفعية الإسرائيلية ، بتوجيه ضرباتها إلى مؤسسات رفعت بوضوح أعلام الصليب الأحمر ، بما فى ذلك مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، والمستشفيات الموجودة تحت الأرض . والجراحات كانت تبدو فى حالة بشعة . وقام الأطباء بمهامهم ، فيما أطلقوا عليه« البتر على طريقة بيجين» ، أى استئصال الأعضاء المفتتة من جراء القنابل ضد الإنسان ، وأسلحة أخرى عالية التقنية ، استخدمها الإسرائيليون .

بقى أن يقوموا بذبح الفلسطينيين فى المخيمات:

كانت شهادة پول مارك هنرى ، سفير فرنسا فى بيروت ، عن شاهد عيان ، أشدها قسوة : «الأمر العام الذى صدر للجيش الإسرائيلى ليدخل بيروت الغربية فى فجر ١٥ سبتمبر ، أشار بدقة إلى «إننا لن ندخل مخيمات اللاجئين . أما عمليات الجرف والتنظيف فستقوم بها المليشيات والجيش اللبنانى» . أما بالنسبة للجيش اللبنانى ، فمسموح له أن يدخل فى أى مكان فى بيروت حسب طلبه» . وفى الحقيقة ، حسب تقرير كاهانى ، فإن دخول الميليشيات إلى مخيمات اللاجئين ، كان قد تقرر بناء على اتفاق مشترك بين الچنرال شارون ، وزير الدفاع ، والچنرال درورى ، فى الليلة السابقة ، الساعة الثامنة مساء .

وخلال يوم الخميس ١٥ ، كان الجيش الإسرائيلى قد قام بعملية حصار كاملة لمنطقة المخيمات ، وهذا ما لاحظناه بنفسنا عند مغادرتنا مقر «لى بان» (پول ــ مارك هنرى ص ٢٠٧)

لجنة كاهانى المتساهلة ، المسئولة عن التحقيق فى أحداث صابرا وشاتيلا ، أرجعت المذبحة إلى الإهمال أو إلى الجهل بالحقائق ، إلا أنها دعت إلى معاقبة المسئولين عن ذلك العمل ـ الذى نضطر أن نطلق عليه تعبير جريمة ضد الإنسانية ـ : استبعاد المسئولين : أرييل شارون ورافائيل إيتان .

اليوم : شارون هو أهم وزير والعنصر المحرك لحكومة نتنياهو ، أما إيتان فله مقعده الوثير فى الوزارة أيضا!

أما أنا، فأنا هو المتهم بالتشهير على ذلك العمل المشين!

فى ذلك الوقت ، أظهرت مع كل من القس لولونج والمبشر ماتيو ، فى صحيفة لوموند بتاريخ ١٧ يونيه عام ١٩٨٢ أن عملية غزو لبنان ، تدخل فى منطق الصهيونية السياسية . ولقد قاضتنا ليكرا أمام ثلاث محاكم ، ثلاث مرات ، أمام المحكمة الابتدائية ، والاستئناف والنقض ، التى رفضت جميعا دعواها ، وألزمتها بدفع النفقات .

الآن ما الذى تبقى من ذلك التشهير؟

تبقى بعض مما يعلنه الكتاب وواضعو السيناريوهات وإخراج الأساطير المؤسسة للقومية الإسرائيلية كما يقول البروفيسور زييف سترنهيل .

فعلى سبيل المثال، فيما يختص بالأفلام، ومن بين العديد منها الذى يفرض علينا إسبوعيا على شاشات التليفزيون أو السينما، فنحن بصدد أهم تلك الأفلام: المحرقة والشوا. يتهمنى البعض بأننى أتحدث عن عمل بلا قيمة، وشوا ـ بيزنيس؟ ولكنى فى الحقيقة استعرت التعبيرين من السيد فيدال ـ ناكيه.

كتب فى نشرة «إسبرى»، لشهر إبريل عام ١٩٧٩، عن المحرقة، والتى كان قد تناولها فى «قاتلو الذاكرة» (ص ١٤٩) على اعتبار أنها مسألة أعيد بناؤها بشكل رومانسى، قال مضيفا: «لقد أدركت هذا التأليف الحقير فى العمل التافه، السينما» (نشرة إسبرى، إبريل عام ١٩٧٩) كما أضاف فى صفحة ٢٨ يقول: «رقم ستة مليون من اليهود القتلى والذى أعلنته محكمة نورمبرج، لا يحمل أى شىء مقدس، ولا هو نهائى».

ونددد «بما يمكن أن نطلق عليه قيام الطبقة السياسية بالاستغلال اليومى لتلك المذبحة الكبرى. . . لتتحول إلى أداة تافهة من أجل إضفاء الشرعية على السياسة. . بل وأيضا فرصة لتنشيط السياحة والتجارة». (ص ١٣٠)

هو الذى تحدث عن (شو ـ بيزينس) ومنه أخذت التعبير الذى استخدمته بخصوص الشوا. وكان قد كتب ليون جيك فى عام ١٩٨١، (فى دراسات ياد فاشيم بالقدس رقم ٢١٤) يقول: «ليس هناك بيزينس، ينافس الشوا ـ بيزينس».

وأذكر فقط أن «الشوا»، فى عام ١٩٨٥، تلقت من بيجين ٨٥٠ ألف دولار، لتمويل هذا المشروع ذى المصلحة القومية. (**وكالة التلغراف اليهودية فى ٢٠ يونية عام ١٩٨٦، وصحيفة ذا جويش بنيويورك بتاريخ ٢٧ يونيه عام ١٩٨٦ ص ٢**).

«المحرقة ليست علامة تجارية، ولا صندوق تمويل تجارى!» صاح آلان فيداليس (المحرقة، خسائر ومصالح، سود ـ وست، ٣٢ أكتوبر ١٩٩٠).

كتب آلان فينكيلروت يقول: «يعتبر كلود لانزمان نفسه، الموزع الوحيد للإبادة.. لقد اخترع تفسيرا جديدا لمعاداة السامية: معادو السامية، هم من لا يتفانوا فى هذا الفيلم الأوحد. عبادة النفس تلك، شيء فظيع ومقزز. لو كان لدى لـ«لو نوڤيل أوبزرڤاتور» القليل من العطف، لما نشرت هكذا على الملإ انهيار فنان مزيف. «**(مسألة لانزمان، لو نوڤيل أوبزرڤاتور، ٣١ يناير عام ١٩٩١، ص ١١٨)**.

تزفتان تودوروف يعتبر أن: «الشوا، فيلم عن الكراهية، صور بكراهية، ويدعو إلى الكراهية». (**فى مواجهة التطرف، دار نشر «سوى» ١٩٩١ ص ٢٥٥**)

السيد فيدال ـ ناكيه أو فينكيلروت، هل هما إذن يدعوان إلى معاداة السامية؟

ب) ـ كشف اللوبى الصهيونى:

وجه لى المدعون تهم التشهير، ليس فقط بأشخاص، بل وبجماعات عرقية أو دينية، وذلك باستخدامى تعبير اللوبى الصهيونى.

قبل استخدام الكلمة (والتى لم تكن تستخدم فى عصره) أعطى ثيودور هرتزل مؤسس الصهيونية السياسية نفسه، تعبيرا ممتازا لما تعنيه.

ففى رسالته إلى سيسيل رودس، كتب: (يوميات ص ١١٩٣):

«خلال خمسة مؤتمرات، تم تكوين منظمة تضم الاتحادات فى العالم كله. واستجاب الصهاينة إلى نفس الأوامر من منشوريا إلى الأرجنتين، ومن كندا إلى نيوزيلاندة. كان أكبر تجمع لأعضاء المنظمة فى أوروبا الشرقية. ومن بين الخمسة ملايين يهودى فى روسيا، أربعة ملايين موافقون بالتأكيد على برنامجنا. إن لدينا منظمات فى كل اللغات المتحضرة. ومطالبنا طرحت بشكل لا تستطيع أى حكومة رفضها، حتى حكومة روسيا. فى عام ١٩٨٩، استقبلت فى القدس مع أربعة من معاونى، كممثل الصهيونية، قدمت مذكرة إلى السلطان».

وهو فى لقائه مع السلطان عبد الحميد، حيث اقترح عليه شراء فلسطين، حدد بالضبط الدور الذى تلعبه جماعة الضغط التابعة له، فقال:

«إذا أعطانا السلطان هذه القطعة من الأرض، سنعمل فى المقابل على تنظيم حساباته، وسنعمل على التأثير على الرأى العام لصالحه فى العالم أجمع». (٨ يونيه عام ١٨٩٦، المجلد الاول، ص ٣٦٣)

فهذا إذن ما يعتبر القوة الأساسية للصهيونية: المال والإعلام.

وأضاف: «أستطيع أن أؤثر في الصحافة الأوروبية (في لندن، وباريس وبون وڤيينا) بحيث تتناول المسألة الأرمنية بما يتناسب ومصالح الأتراك». (٢١ يونيه عام ١٨٩٦، المجلد الأول، ص ٣٨٧).

وعندما قام برنار لازار، في پاريس بالدفاع عن الأرمن، وبّخه هرتزل (المجلد الثالث، ص ١٢٠١)

فقد كان بموقفه هذا يمنع عن المؤسسة الصهيونية أحد الكروت المهمة في يديه: هناك وسيلة أخرى لكسب السلطان لصفنا: وهي مساندته في المسألة الأرمنية (٧ مايو عام ١٨٩٦ المجلد الأول ص ٣٤٦).

وقام هرتزل طواعية، بالإشادة بقوة اللوبي الذي يتبعه فقال: «في انجلترا، فإن أصدقائنا من المسيحيين لا يعدون، سواء في الكنيسة، أو في الصحافة، وفي مجلس العموم هناك ٧٣ نائبا تعهدوا بمساندة الصهيونية». (المجلد الثالث ص ١١٩٥).

لهذا كانت حجته أمام السلطان واضحة: بِعْ لي فلسطين، وسأنظم حساباتك، وأسدد ديونك، وأرفع من شأنك من خلال سلطاني على الإعلام!

هذه الوسيلة تطبق عالميا من فلسطين إلى الأرجنتين

«سوف أدعو عددا صغيرا من الأشخاص لمقابلتي، وسوف أكشف لهم عن خطتي بعد أن يعدوني بالاحتفاظ بالسرية». (١٢ يوليه عام ١٨٩٥، المجلد الأول، ص ٨٩).

«نزع الملكية التطوعى سيتم من خلال عملاء سريين . . ولن نبيع إلا لليهود. لن نستطيع بالطبع أن نفعل ذلك ونعلن أن المبيعات الأخرى بلا قيمة. حتى ولو كان ذلك لا يعد غير قانونى فى العالم الحديث، فقوتنا لن تكفى فى أن نكمل العمل إلى النهاية» . (١٢ يونيه عام ١٨٩٥ المجلد الأول، ص ٨٢)

ففى أمريكا الجنوبية على سبيل المثال: «فى البداية، وقبل أن يدركوا أهدافنا، نستطيع أن نحصل على تنازلات كبيرة مقابل أمل بسيط بالحصول على قرض بأقل من ١٪!» .

بعد إقامة دولة إسرائيل، كان بن جوريون تلميذا نابغة لثيودور هرتزل، فقد أعطى اللوبى العالمى كل حجمه السياسى .

فى نشرة «جويش نيوز ليتير» بتاريخ ٩ يناير عام ١٩٦١ كتب يقول:

«عندما يتحدث يهودى فى أمريكا أو فى جنوب أفريقيا، مع زملائه اليهود عن «حكومتنا» فهو يقصد: الحكومة الإسرائيلية، كما يعتبر كل يهودى فى كل دولة، سفير إسرائيل، ممثلا له شخصيا» .

وفى المؤتمر الثالث والعشرين للمنظمة الصهيونية العالمية، الذى عقد فى عام ١٩٥١، أعلن بن جوريون، رئيس الوزراء: «الصهيونى يجب أن يأتى إلى إسرائيل كمهاجر»، وليس هذا فقط، بل أضاف، فى نفس الخطاب، ليفسر واجبات الصهاينة المقيمين فى البلدان المختلفة، وحددها بقوله: «إن المهمة الجماعية لكل المنظمات الصهيونية فى مختلف البلدان، هى مساعدة الدولة اليهودية فى جميع

الظروف وبلا شروط، حتى ولو كان موقفهم هذا يتعارض وسلطات الدول التي يعيشون فيها». (مهام وشخصيات الصهيوني الحديث ــ چيروزاليم پوست في ١٧ أغسطس عام ١٩٥٢، ووكالة التلغراف اليهودية).

حتى في المؤتمر اليهودي العالمي، احتج المعارضون، وأوضحوا أن ارتباط بهذا الحجم للحركة الصهيونية العالمية، قد يثير مشاعر مناهضة للسامية.

ولكن تلك التعاليم الواضحة، ظلت تحترم منذ ذلك الوقت، وقام الصهاينة بمساندة إسرائيل بلا شروط.

على سبيل المثال:

أعلن أيلي فايسل أثناء غزو لبنان في عام ١٩٨٢: «كيهودي فأنا متضامن تماما مع ما يجري في إسرائيل، وما تقوم به إسرائيل تفعله باسمي أنا أيضا». (كلمات أجنبي، ١٩٨٢)

في عام ١٩٩٠، أبلغ كبير حاخامات فرنسا، چوزيف سيتروك، إسحق شامير رئيس الوزراء، في القدس أن: «كل يهودي فرنسي، هو ممثل لإسرائيل.. وكن مطمئنا إلى أن كل يهودي في فرنسا يدافع عما تدافع عنه». (الإذاعة الإسرائيلية، يوم الإثنين ٩ يوليه عام ١٩٩٠).

نفس ذلك الموضوع، تناولته صحيفة لوموند في يومي ١٢ و١٣ يوليه عام ١٩٩٠، كما تناولته صحيفة الجالية اليهودية في فرنسا، «چور چيه» (Jour j) بتاريخ الخميس ١٢ يوليه عام ١٩٩٠، حيث أضاف: «لا يوجد في ذهني أدنى فكرة للولاء المزدوج»، كان من الممكن أن نفهم ذلك بمعاني أخرى!

أحد الاتهامات التى وجهت ضدى كدليل على ممارستى التفرقة العنصرية، استخدامى لتعبير اللوبى الصهيونى، أو اللوبى الإسرائيلى. ولكن وجود اللوبى قديم، حتى من قبل تسجيله رسميا، فقد تحدد كيانه فى قانون الكنيست بتاريخ ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥٢، الخاص بالمنظمة الصهيونية العالمية، والتى أصبحت تستخدم كأداة خارجية لدولة إسرائيل:

المادة الخامسة: «دولة إسرائيل تعتمد على مشاركة كل اليهود وكل المنظمات اليهودية فى بناء الدولة». (الكتاب السنوى للحكومة الإسرائيلية، القدس ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ص ٢٤٣).

وفى قرار جديد للكنيست: المبادئ الأساسية لبرنامج الحكومة. تحدد الفقرة رقم ٥٩ لهذا القرار التشريعى ما يلى: «بالاتفاق مع المنظمة الصهيونية العالمية، والاتفاقية بين الحكومة والجهاز التنفيذى الصهيونى، ستقدم الحكومة مساندتها المخلصة للحركة الصهيونية، وحددت مطالبها: تحقيق الأهداف الصهيونية، زيادة المساهمة المالية التطوعية، نشر اللغة العبرية، تنمية حركة الرواد، توسيع الهجرة والاستيطان، وتدفق رءوس الأموال إلى إسرائيل. . مكافحة كل محاولات الاستيعاب، ومحاربة إنكار أن اليهود يكونون شعبا».

اعترفت الولايات المتحدة بهذا اللوبى القوى. وفى مقال بعنوان: «ثقل اللوبى الموالى لإسرائيل»، أطلق مراسل صحيفة لوموند فى واشنطن عليه اسم: «السفارة الثانية». ورغم أنه لا يضم أكثر من ٥٥ ألف عضو، وهو يمثل ١٪ من عدد الجالية اليهودية فى الولايات المتحدة التى تبلغ خمسة ملايين شخص، إلا أنه يملك زمام الأمور داخل الحكومة.

قامت مجلة «فورتشن» للأعمال، بوضع اللوبى الصهيونى رقم اثنين على قائمة أقوى الجبهات. ويأتى قبل النقابات، وقبل بمراحل، كل ما تمثله الرأسمالية فى الولايات المتحدة، من لوبى أعمال قوى.

فيما يلى مثال لكل تلك القوة: عندما قام السيناتور فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ الأمريكى، بدراسة عن اللوبى، قال ملخصا التقرير فى شبكة التليفزيون الأمريكية سى بى سى، يوم ٧ أكتوبر عام ١٩٧٣: «الإسرائيليون يسيطرون على سياسة الكونجرس ومجلس الشيوخ»، فى الانتخابات التالية فقد فولبرايت مقعده فى مجلس الشيوخ.

اعتبر جولدمان، الذى كرس حياته للصهيونية، اعتبر اللوبى «قوة مدمرة» و«عائق أساسى أمام السلام فى الشرق الأوسط» وطلب من الرئيس كارتر تدميره!

بعد مرور ست سنوات، أكد سيروس ڤانس، أحد الذين حضروا هذا الاجتماع، ما قاله جولدمان: «اقترح علينا جولدمان أن نقضى على اللوبى الصهيونى، ولكن الرئيس ووزير الخارجية أجاباه بأنهما لا يملكان السلطة للقيام بذلك». **(المصدر: حديث مع سيروس ڤانس، قام به إدوارد تيفنان: «اللوبى». الناشر سيمون وشوستر. ١٩٨٧ ص ١٢٣).**

فى فرنسا، كان الچنرال ديجول الوحيد الذى جرؤ على أن يعلن: «فى فرنسا لوبى قوى موالى لإسرائيل، وهو يمارس تأثيره فى وسائل الإعلام». هذه التأكيدات تمثل فى ذلك الوقت فضيحة. ولكنها مع ذلك الحقيقة التى لازالت تعمل إلى الآن.

(المصدر: فيليب الكساندر: الإسرائيلى المظلوم. لوباريزيان ليبيريه بتاريخ ٢٨ فبراير عام ١٩٨٨).

فى عام ١٩٩٠ خلال الحرب ضد العراق، كتب آلان بيرفيت، وزير سابق فى عهد الرئيس الفرنسى الأسبق شارل ديجول، وأستاذ جامعة حاليا، يقول: «هناك مجموعتان ضغط قويتان، تدفعان الولايات المتحدة لشن الحرب:

١ ـ يلعب اليهود الأمريكيون دوراً أساسيّاً فى وسائل الإعلام فى أمريكا. كما أن حالة الشد والجذب المستمرة بين الرئيس والكونجرس تفرض على البيت الأبيض أن يولى أكبر اهتمام لموقف المنظمات اليهودية.

٢- «جماعة الضغط الممثلة لرجال الأعمال».. والتى هداها تفكيرها إلى أن بمقدور الحرب أن تنعش الاقتصاد. ولم لا، ألم يكن من شأن الحرب العالمية الثانية، وما تمخضت عنه من زيادة الطلب على المنتجات الأمريكية، أن تضع حدا للأزمة التى بدأت عام ١٩٢٩؟. ثم ألم تحقق حرب كوريا دفعة جديدة هى الأخرى؟

طُوبى إذن لهذه الحرب التى تعيد الأزدهار إلى أمريكا...»

(المصدر: آلان بيرفيت، صحيفة لوفيجارو، ٥ نوڤمبر/ ١٩٩٠).

«من الصعب التقليل من أهمية التأثير السياسى لـ «لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية، . . . والتى تضاعفت ميزانيتها أربع مرات فى الفترة من عام ١٩٨٢ إلى عام ١٩٨٨ (حيث كان قيمتها مليونًا و ٦٠٠ ألف دولار عام ١٩٨٢ وأصبحت ستة ملايين و ٩٠٠ ألف دولار عام ١٩٨٨)».

(المصدر: وول ستريت چورنال، ٢٤ يونيو/ ١٩٨٧).

فى فرنسا تجرى الضغوط بطريقة أقل رسمية، ولكن لها نفس الفاعلية.

فعلى سبيل المثال، أعلنت الصحف (بما فيهم لومانيتيه) فى ٣٠ أبريل عام ١٩٩٦، تقول: «رئيس المجلس التنفيذى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا (CRIF) هنرى هاد چنبرج، طلب أمس أن تقوم الأسقفية فى فرنسا باتخاذ موقف من الكتاب السلبى الذى كتبه روچيه جارودى، ومن المساندة الواضحة التى يقدمها له القس پيير».

ورضخت الأسقفية فى الحال: السيد هاد چنبرج أصدر حكمه فى ٢٩ أبريل. وفى الحال صدرت نشرة الأسقف الذى ندد بمساندة القس پيير لروچيه جارودى».

وقد أعرب السيد هاد چنبرج عن رضائه من موقف كنيسة فرنسا التى همشت القس پيير. وفى نفس اليوم استبعد مكتب ليكرا القس پيير لأنه «أيد روچيه جارودى».

ولكن لم يكن كافيا لليكرا: كان على كنيسة فرنسا أن تقدم اعتذارها إلى الصهاينة بسبب موقفها من اليهود إبان نظام فيشى.

كان من الطبيعى أن تعترف الأسقفية، وليس الكنيسة، بخطئها فى دفع الكاثوليك إلى التعاون مع النظام، لأن الكنيسة والآلاف من المسيحيين اشتركوا فى المقاومة، وفى حماية عدد كبير من أعضاء المقاومة واليهود ضد المحتل الهتلرى.

لقد قام الأساقفة الفرنسيون بمثل ما قام به الأساقفة الألمان الذين دعوا فى رسالتهم الإرشادية بتاريخ ٢٤ ديسمبر عام ١٩٣٦

الكاثوليك لمساندة هتلر، وقالوا جميعا: «لقد أدرك هتلر فى الوقت المناسب خطر التدفق البولشفى.. ويعتبر الأساقفة الألمان أنه من واجبهم مساندة زعيم الرايخ فى معركته».

ونشر البابا فى ١٧ مارس عام ١٩٣٧ رسالته الباباوية "Mit Brennender Sorge" يندد فيها بالعنصرية، ولكنه لم ينقض الميثاق الذى وقعه مع هتلر، كما أكدت الأسقفية الألمانية فى مؤتمر الأساقفة الذى عقد فى عام ١٩٤٠، مساندتهم مرة أخرى لهتلر فى معركته الصعبة.

وتبعتهم الأسقفية الفرنسية، إذ قال كبير أساقفة الجول، فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٤٠ وفى ٢٤ يوليه عام ١٩٤١: «نشكر الله الذى أعطانا هذا الزعيم» (بيتان). كما أصدر الكاردينالات والأساقفة (باستثناء الكاردينال ساليبج، من تولوز) بيانا دعوا فيه بوضوح إلى التعاون: «إننا نشجع المؤمنين على التعاون بلا خوف». من حسن الحظ أن الملايين من الكاثوليك لم يلبوا ذلك النداء. وفى الصحيفة السرية «الدفاع عن فرنسا» بتاريخ ٥ يوليه عام ١٩٤٣، كتب قس من فرنسا يقول: «بصفة عامة كان للكهنة منذ ثلاث سنوات، نفس ردود الأفعال الشريفة التى كانت لكل القطاع النظيف من الشعب.. هذا التلاحم المباشر مع شعب فرنسا، لم يتم للأسف مع كبار قساوسة الكنيسة. إنها فى بلادنا، مأساة مزمنة، حيث كبار القساوسة يعيشون ويفكرون ويعملون، فى انفصال تام عن الشعب الذى من واجبهم أن يقودوه».

إنها ليست فقط مأساة فرنسية: ففى نوفمبر عام ١٩٤٦، كتب الكاردينال الأمريكى سبلمان فى مجلة كوزموپوليتان ماجازين،

يقول: الشيوعية تستفز كل هؤلاء الذين يؤمنون بأمريكا وبالله. وهو نفسه الذى سيقول بعد عدة سنوات للقوات الأمريكية فى ڤيتنام: «أنتم جنود الله!».

نعود إلى فرنسا، حيث الأساقفة الحاليين لا يملكون أى حق فى أن يطلبوا الصفح باسم الكنيسة: فالقساوسة والكاثوليك الذين لم يتعاونوا، هم أيضا يمثلون الكنيسة. كما أن أحدا لم يطلب منهم الاعتذار، باستثناء الليكرا، على الأقل لأن المسئولين قد ماتوا.

هذا اللوبى نفسه، يملك فى فرنسا السلطة ليفرض حتى على رئيس الجمهورية موقفا حول المعنى التاريخى لفيشى.

كان الچنرال ديجول قد رفض شيئين:

١ - أى شرعية لمثلى فيشى، النظام الذى لم يعتبره دولة. «لقد أعلنت عدم شرعية نظام تعاون مع العدو». (المجلد الأول ص ١٠٧)

«لا توجد حكومة فرنسية حقيقية». (ص ٣٨٨)

«لقد أقام هتلر فيشى».

ورغم ذلك، ففى ١٤ يوليه عام ١٩٩٥، تحت رئاسة كبير الحاخامات، حصل الصهاينة من رئيس الجمهورية على إقرار منه أن فيشى دولة فرنسية، وأن الشعب الفرنسى متعاون: إن الجنون الإجرامى للمحتل، كان يسانده فيه الفرنسيون والدولة الفرنسية. وهما النقطتان اللتان نفاهما تماما الچنرال ديجول: وضع فيشى من الدولة، وموقف الشعب الفرنسى.

في اليوم التالى، حيا المجلس التنفيذى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا بكل حماس هذا الدنو الذى وصلت إليه فرنسا، وقال: «إنه لمن دواعى السرور الكبير أن تعترف أكبر سلطة فرنسية استمرارية الدولة الفرنسية بين عامى ١٩٤٠ و١٩٤٤».

٢ ـ لم يكن ديجول يحمل تلك الكراهية للشعب الفرنسى: «الغالبية العظمى للشعب الفرنسى، التى رفضت تماما نظاما فرض عليها بالعنف والخيانة، ترى فى سلطة فرنسا الحرة التعبير عن آمالها ورغباتها». (المجلد الأول، ص ٣٩٤) وأضاف الدليل: انتفاضة شعب باريس: «أربع سنوات من القمع لم تستطع أن تقهر روح العاصمة، والخيانة لم تكن سوى رغاوى كريهة على سطح جسد مازال سليما». (المجلد الثالث ص ٤٤٢) «حتى فى أحلك الأوقات، لم يفقد الشعب أبدا الثقة فى نفسه».

إذا كانت فيشى دولة شرعية، يصبح ديجول هاربا من الجيش كما اتهمته فيشى، ونحن، المقاومة جميعا، خونة وإرهابيون!

وأخيرا، إذا كانت كلمة لوبى قذفا، فإن ما يدعونى للدهشة أن تنشر «مرشد اليهودية الفرنسية» تعبيرات كتبتها شخصيات مثل السيدة أورلاندا هاد چنبرج، فى صفحة ٧٤ تقول فيها: «اليهودى الناهض، الجديد، الذى بناه فى عام ١٩٧١ هنرى هاد چنبرج، أراد أن ينشأ فى فرنسا لوبى».

إن قراءة هذا المرشد يكشف لنا عن اقتراحات حول توجهات ذلك اللوبى.

وفيما يلى بعض المقتطفات:

ص ٨٠ : «يهود فرنسا فى غالبيتهم العظمى، يساندون إسرائيل بلا شروط. وكل حزب سياسى إسرائيلى له ممثلوه فى فرنسا».

ص ١٥٠ : «مهاجمة إسرائيل، تعنى مهاجمة السبب الرئيسى فى وجود يهود فى فرنسا».

ص ٩١ : «عدد من المنظمات اليهودية التى نشأت فى أمريكا، لها ممثلوها فى فرنسا. . مثل اللجنة اليهودية الأمريكية، التى أنشأها فى عام ١٩٠٦ رجل ألمانى غنى، يعيش فى الولايات المتحدة. . ».

ص ٧٤ : «لقد استطاع «اليهودى الناهض» أن يكسب خلال سنوات قليلة عددا كبيرا من المؤيدين، وذلك لأنه يتمتع بمساندة بعض الشخصيات الإسرائيلية مثل أفى بريمور، ويتكون فى معظمه من المناضلين الإشكيناز».

ص ٨٢ : « لا تستطيع معظم تلك الهيئات أن تستمر بدون المساهمة المالية التى تقدمها الوكالة اليهودية، المنبثقة من المنظمة الصهيونية العالمية.

وبالنسبة للسفارة الإسرائيلية، فلم تكن تتجاهل التطورات الداخلية للجالية اليهودية. .

رغم ذلك، فإن بعض التجارب السابقة أثبتت أن المؤسسات اليهودية، وإن كانت تسعى لأن تستفيد من المساندة الإنسانية والمالية للدولة الإسرائيلية، فإنها تتمسك قبل كل شيء باستقلاليتها. » (!) (علامة التعجب إضافة منى ـ روچيه جارودى).

ص ٦٢ : «الأموال التى تجمعها منظمة «أچويف»، تتقاسمها بالتساوى كل من الدولة الإسرائيلية والجالية اليهودية فى فرنسا.

تلك المؤسسات تسمح «للصندوق الاجتماعى اليهودى المتحد» أن يفرض قبضته على معظم المؤسسات اليهودية فى فرنسا».

ص ٧٤ : «هل سترى الأحداث السياسية القادمة مظاهرة سياسية جديدة لليهودية الفرنسية؟ سيظل السؤال بلا إجابة، ولكن بعض الأحزاب السياسية لم تنتظر تشكيل مكاتب تابعة لهم فى المجتمعات اليهودية، سواء كانت «اليهودية والحرية» التابعة للتجمع من أجل الجمهورية، أو «الاشتراكية واليهودية» التابعة للحزب الاشتراكى».

***

لا أعتقد أن تلك الوثائق تحتاج لأى تعليق. فكل شىء واضح فيها: الاعتراف بوجود لوبى، وتمويله الأجنبى، والتسلل إلى داخل كل الأحزاب، الصوت الانتخابى اليهودى، كل شىء ما عدا الاعتراف بأن هذا اللوبى الذى يمارس قوته فى جميع فئات المجتمع، وخاصة السلطةالسياسية والإعلامية لا يمثل إلا واحداً على عشرة من اليهود فى فرنسا كما يقول ثيو كلاين.

الغالبية العظمى من اليهود فى فرنسا، لا يمثلهم هؤلاء، ولا هم مسئولون عن أعمالهم الكريهة. المأساة، هى أن المكانة التى تحتلها تلك الأقلية الحاكمة، قد تؤدى إلى إثارة موجة من الشعور المناهض للسامية.

على أية حال، فإن التحدث عن لوبى صهيونى، يجعل المرء يتهم «بالتشهير»، والمتهمون بمعاداتهم للسامية هم كثيرون، وفى معظم الحالات يحتلون مناصب عالية، وبعد أن قام هرتزل وبن جوريون بتحديد المعنى، فإن على الذين يتهمونى أن يضيفوا لقائمة المتهمين ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، والچنرال ديجول، وآلان بيرفيت، وحتى هاد چنبرج، كل هؤلاء متهمون بنفس التهم التى وجهت ضدى.

■ الفصل الثانى ■

من يقلل من شأن جرائم هتلر؟

هؤلاء الذين يحصرونه فى إطار التاريخ اليهودى؟ أم هؤلاء الذين يضعونه فى إطار التاريخ العالمى؟

ملاحظة تمهيدية:

قبل أن أخوض، بكل الإيجاز الممكن، فى دراسة الأرقام، أود أن أشير مرة أخرى ـ عما أصر الاتهام على ألا يسمعوه رغم أننى كررته مرة بعد مرة فى كتابى: المهم ليس فى إحصائية كئيبة . . حتى ولو ذبح شخص واحد برىء، سواء كان يهوديا أو لا يهوديا، فهى جريمة ضد الإنسانية.

ولقد أصررت دائما على تلك النقطة لسببين:

١ ـ إذا كان عدد الضحايا، مليونا أو ستة ملايين، فذلك لا يقلل ولا يضيف شيئا إلى حجم الجريمة (سواء كان للجلاد أو للضحايا)، فلماذا إذن يريد البعض تقديس أحد تلك الأرقام، وهو ستة ملايين؟

٢ ـ إن ما أناقشه ليس هذا الرقم أو ذاك (وهنا فإننى ألتزم بقول الخبراء، مثل رايتلينجر أو هيلبرج، من ليس عليهم غبار، وأكرر إحصائياتهم) وأحتج فقط على الاستغلال السياسى للأرقام التى باتت تعتبر من المحظورات.

ملاحظة حول العبرة من محكمة نورمبرج

يتهمنى البعض بالتقليل من شأن جرائم هتلر:

وهو اتهام غريب من أشخاص لا يذكرون أبدا أن تلك الحرب أسفرت عن مقتل خمسين مليون شخص (أو أكثر) ولا يرون فى كل فظائعها إلا ما أصاب اليهود، وهم بذلك يقللون من شأن جرائم هتلر.

إذ كتبت السيدة هانا آرندت تقول: «. . . . . . كل ذلك لم يكن إلا أكبر مذبحة بشعة فى التاريخ اليهودى». (أيخمان فى القدس ص ٤٣١).

ربما يفكرون مثلما فعل بيجين بشأن مذبحة صابرا وشاتيلا: «غير يهود قتلوا غير يهود، فما شأننا نحن؟».

هكذا تحدث الصهاينة عن أكبر عملية إبادة فى التاريخ، وهذا حقيقى بالنسبة للتاريخ اليهودى، ولكن هيهات أن يكون صحيحا بالنسبة للتاريخ العالمى، الذى يبدو أنه غير ذى أهمية لهم.

المهم أنه حتى فى نورمبرج، لم تكن المسألة بهذا الشكل، إذ قال المحامى فارو فى كتابه: محكمة نورمبرج (ص٣٧٩)، «من بين ١١٥ صفحة، فإن سبع صفحات فقط تتناول اضطهاد اليهود».

وبنفس الأسلوب يتجه التحليل الأكثر عمقا للمحكمة، والذى قام به كبير القضاة دونيديو دو فابر، الذى كان قاضيا فى محكمة نورمبرج، والذى سنذكر لاحقا المحاضرة التى ألقاها فى هذا الشأن فى كلية الحقوق بپاريس.

مرة أخرى، هل رقم الضحايا اليهود تم تضخيمه عن قصد من خلال وسائل الإعلام منذ خمسين عاما؟ إن شهادة رايتلينجر فى تحليله الرائع الذى قام به فى كتابه «الحل النهائى»، منذ عام ١٩٥٣، هى شهادة قيمة. فكتب فى صفحة ٤٥٩ يقول:

«إن أكبر إحصائية يمكن أن أقدمها، لا تزال بعيدة كل البعد عن الستة ملايين التى أتفق عليها على أوسع نطاق. هذا الفرق.. تم إضافته بمعزل كامل عن حقائق الأمور».

وفى صفحة ٥٠٠ أضاف قائلا: «إذا أقمنا تحليلا لذلك الدمار، فسنجد أن أكثر من ثلث اليهود الذين فقدوا فى أوروپا، ماتوا ليس بسبب العنف الجسدى المباشر، ولكن من جراء العمل الشاق، والأمراض، والمجاعة، وغياب الرعاية».

وأضاف قائلا فى ص ٤٨٠: «العالم أصبح اليوم حذر من محاولة تصحيح الأرقام، كما أصبح رقم الملايين الأربعة لضحايا آوشڤيتس يثير السخرية: الحسابات الروسية حجبت الحقيقة

الأكيدة والتى لا يمكن التشكيك فيها، وهى أن أقل من مليون إنسان قتل فى آوشفيتس.

وفى نفس الوقت، قدمت الأبحاث اللاحقة، خاصة للمراكز العلمية، مثل أبحاث بولياكوف وهيلبرج وبيداريدا وبريساك، تأكيدات على تحفظ رايتلينجر، وعلى ضعف الحجة بشأن الرقم المحظور وهو الستة ملايين.

السيد بولياكوف، فى كتاب صلوات الكراهية (ص٣٨٣) كتب يقول:

«إننا لا نعتقد إننا نخطئ عندما نؤكد أنها المحكمة الدولية لجرائم الحرب الكبرى، التى أكدت ذلك فى البداية، والتى أعطته انتشارا كبيرا. ونجد فى الصفحة رقم ٢٦٦ للمحاكمة، تلك الجملة: «أدولف أيخمان، الذى كلفه هتلر ببرنامج الإبادة، يرى أن تلك السياسة أسفرت عن مقتل ستة ملايين يهودى، أربعة منهم قضى عليهم فى معسكرات الاعتقال». لم يذكر مصدر تلك المعلومات، ولكن إذا عدنا إلى مضبطة الجلسة، فسنلاحظ أن المحكمة اعتمدت على شهادتين غير مباشرتين، تلك الخاصة بويلهيلم هوتل بالبوليس السرى، وديتر فيسليسينى، اللذان أشارا إلى رقم أيخمان. وعلى هذا الأساس فيمكن أن نقول أن الرقم الذى ذكر، لم يقم على توثيق صحيح، ويجب أن يعامل بالكثير من الحذر».

وذكر السيد بولياكوف، الخبير الفرنسى فى وفد فرنسا بنورمبرج، فى كتابه: «صلوات الكراهية»، حول حقيقة رقم كل الضحايا اليهود فقال:

«غالبية ما نشر عن الحرب الأخيرة، حينما يتناول الاضطهاد العنصرى، يشير إلى رقم ستة ملايين يهودى قام النازى بإبادتهم. ولكن هذا الرقم، الذى يتكرر فى عدد كبير من الكتب التى صدرت فى مختلف البلاد، مغالى فيه بلا أى دليل أو إحصاء يسانده. فمن أين جاء؟ ولأى سبب تم ذلك؟».

جاء الشرح فى صفحة ٣٨٨ من كتابه:

كيف إذن وصل الرقم إلى ستة ملايين؟

إذا كان حقيقة، أن محكمة نورمبرج تؤيد فكرة أن سياسة الإبادة أسفرت عن مقتل ستة ملايين يهودى، منهم أربعة فى آوشفيتس، فكيف نستمر على الإصرار على عدد ستة ملايين، إلا إذا أعتبرنا أن ٦ ـ ٣= ٦، وحتى إن لم نأخذ فى الاعتبار مراجعة الأرقام فى المعسكرات الأخرى والتى تتجه إلى الانخفاض(*).

أعطانا بولياكوف مفتاح السر لتلك العملية الصعبة، إذ قال: «الأسلوب الثانى الذى طبقه خبراء دراسة الإحصائية السكانية اليهودية، خاصة چاكوب ليتشينسكى الاقتصادى وخبير الإحصاء

(*) يقصد المؤلف أنه إذا تأكد أن ما زُعم أنه عدد ضحايا آوشفيتس انخفض بمقدار ثلاثة ملايين (على الأقل)، فكيف يستمر الزعم بأن (٦ مليون) ما زال هو الرقم الصحيح لعدد الضحايا؟

بنيـويورك ، يقـضـى بمقـارنة الأرقـام التى تقـدمـهـا الدول الأوروپيـة المختلفة حول عدد السكان اليهود فيها قبل وبعد الحرب . ومن خلال هذه الطريقـة ، توصلت بعـض المنظمـات اليـهـودية العـالمية إلى نفس الرقم منذ عام ١٩٤٥ ، وهو ستة ملايين شخص(*) .

«وهكـذا نرى كـيف أننا يمكن أن نقـبل إلى الأبد هذا الرقم على أسـاس أنه الأكثر احـتمـالا ، بما أنه ليس هناك إمكانية إقـامة مـوازنة إحصائية دقيقة ، حتى ولـو كانـت العـناصر المكونة قد تدعـو أحيانا إلى الشك» .

وهكذا ، فـقـد تم الحصـول على رقم سـتـة مـلايين عن طريق المؤتمر اليـهودى العـالمى ، عندما قام بمقارنة «المعطيات المختلفة حـول السكان اليهود فى مختلف الدول الأوروپية قبل الحرب وبعدها !» .

تلك إذن هى جذور عقيدة وتقديس الرقم الذهبى

هل قتل فى روسيا ١٧ مليونا ، أم ٢٠ مليونًا كما يدعى السوڤييت؟ و٧٠ ألف شيوعى فرنسى قتل رميًا بالرصاص ، كما يزعم الحزب ، أم ٣٥ ألف فقط كما يقول الجنرال ديجول فى مذكراته؟ ٦٠ مليـونا من القتلى خلال الحرب ، أم ٥٠ مليـونا كمـا يؤكد البابا؟ كل تلك الأرقام يمكن مناقشتها ، ولكن لا يمكن مناقشة الستة ملايين التى التزمت بـهـا الصحافة والكتب المدرسية ، والموسوعات .

(*) ذلك برغم أن الكتـاب السنوى اليـهـودى الأمـريكى رقـم ٥٧٠٢ ، والذى يتناول الفترة من ٢٢ سبتمبر ١٩٤١ إلى ١١ سبتمبر ١٩٤٢ يشير (ص ٦٦٦) إلى أن عـدد اليـهـود فى بلدان أوروپا الخاضـعـة للألمان عقب التوسع النازى الكبير ، وحـتى امتـداده فى روسيـا ، كـان ثلاثة مـلايين ومـائة وعـشـرة ألف وسبعمائة واثنين و عشرين بما فى ذلك يهود ألمانيا .

المسألة هنا ليست، كما كررت فى عدة مواقع من كتابى، مسألة إحصاء مخيف (ص ١٥٩ من كتابى). وأضفت فى موقعين (ص ١٥٩، ٢٤٧) أن: «اغتيال شخص واحد برىء، سواء كان يهوديا أو غير يهودى، يمثل جريمة فى حق الإنسانية».

إن ما أنتقده فى كتابى هو الاستغلال السياسى والمالى لكل الأساطير المتضخمة، سواء فى شكل تبرعات، موقعة بسم الله، أو أرض لشعب واحد فقط على حساب الشعوب الأخرى كلها، أو تزييف حسابات من أجل ليس فقط تعويض الضحايا (وهو مبرر) ولكن كما يقول ناحوم جولدمان، من أجل تكوين البنية التحتية للدولة الإسرائيلية. (السيرة الذاتية ص ٢٨٦).

لقد اعتبرت دائما معاداة السامية جريمة يعاقب عليها القانون، وكل ما أطلبه من العدالة أن ترفض تشهير الليكرا الخاص بى، كما فعلت محكمة النقض فى عام ١٩٨٧، قبل صدور قانون چيسو المشين.

بعد تحليلى لعملية غزو لبنان، أعلنت محكمة النقض، حول موضوع اتهامى بالتشهير ما يلى:

«حيث إن - إيماء لما كشف عنه مسبقا - قامت الليكرا بتتبع نفس المتهمين بالتشهير ذى الصبغة العرقية أو القومية أو الجنسية أو الدينية، وقيامها بلوم هؤلاء المتهمين، الذين وجهت لهم الاتهامات السابق ذكرها، بالنص التالى: يعتبر يهوديا، فى تل أبيب أو فى نورمبرج، كل من ولد لأم يهودية. هكذا يصبح أحفاد إبراهيم مُعَرَّفون عرقيا، ليس عن طريق من يتبع نفس الدين، بل برابطة الدم.

وحيث أعلنت محكمة الاستئناف، عن حق، أن ذلك النص، مهما كان تقديره للقانون الذى يزعم توضيحه، لا يوجه اتهاما لمجموعة من الأشخاص من شأنه أن يزدرى شرفهم أو مكانتهم، وأن منذ ذلك الوقت، مع استبعاد كل النوايا الأخرى، فإن الحكم الذى طعن فيه، قرر عن حق، أن هذا الجزء من النص، والوحيد الذى استبقى من النص كله، على أساس أنه يضم حيثيات الجريمة التى ذكرت فى الفقرة الثانية من المادة رقم ٣٢ لقانون عام ٢٩ يوليه عام ١٨٨١، لا يصف الخلاف المذكور هنا.

وبالتالى فإن الوسيلة يجب أن تستبعد.

وحيث أن الحكم صالحا فى الشكل. فقد استبعد السبب وحكم على المدعى بالنفقات».

اليوم، ومع سياسة الحرب التى يتبعها نتنياهو ـ الوريث الروحى لإسحق شامير وبيجين على رأس الليكود، يبدو بوضوح، بعد عامين من الحكم الأول، أن خطئى الوحيد أننى كنت على حق قبل الآخرين الذين بدءوا اليوم يدركون الابتزاز الذى يمارسه الزعماء الإسرائيليون.

إن التقليل من شأن جرائم هتلر، هل يأتى، كما تقول الاتهامات الموجهه ضدى، نتيجة لانتقاد حيثيات نورمبرج التى لا تقع تحت طائلة القانون القديم بأى شكل كان، ويتعلق فقط بهؤلاء الذين احتجوا على وجود إحدى أو عدد من الجرائم ضد الإنسانية كما

تصفها المادة رقم ٦ من قانون المحكمة العسكرية الدولية والتى تم إضافتها إلى اتفاق لندن بتاريخ ٨ أغسطس عام ١٩٤٥ .

وهو ما ليس له علاقة بقضيتى تحت أى شكل .

فى تلك النقطة، سأتمسك بما قاله فى هذا الشأن كبير القضاة دونيديو دو فابر، أحد القضاه الفرنسيين فى نورمبرج، فى المحاضرة التى ألقاها فى كلية الحقوق بباريس حول محكمة نورمبرج .

فقد قام البروفيسور دونيديو دو فابر بالرجوع إلى هدف هذه المحاكمة، وهو الهدف الذى أعطاه بوضوح كامل رئيسه، المدعى العام بالولايات المتحدة، روبرت چاكسون، فى جلسة ٦ يوليه عام ١٩٤٦ إذ قال: «إن الحلفاء ما زالوا فى حالة حرب مع ألمانيا.. وبما أنها محكمة عسكرية، فإنها تمثل استمرار جهود الحرب التى يقوم بها الحلفاء» .

وحيث إنها آخر تعبير للأعمال الحربية التى من شأنها التأكيد على الانتصار، فإن البروفيسور دونيديو دو فابر لم يحتج على فائدتها . إنما أشار فقط إلى أنها تعتبر محكمة ذات مهمة خاصة .

وصفتها السيدة هانا آرندت بـ«محكمة المنتصرين». وأضافت «بناء على الطريقة التى يتم بها تبرير فاعليتها فى الاختصاص، فإن محكمة نورمبرج العسكرية، ليس فيها أى شىء يستحق تمييزها» .

وأشار دونيديو دو فابر، أنها ليست محكمة دولية، بل «أكثر تحديدا، محكمة حلفاء» (ص ٩٦) حيث المحاكمة سياسية (ص ١٣ رومانى) وحيث أقيمت حسب قانون الظروف (ص٩٠). وحيث إن المحاكمة عقدت بناء على «قوانين الإجراءات» الذى ليس له علاقة

بالقانون الفرنسي ولكن بالقانون الأنجلو ـ ساكسونى (ص ١٠ رومانى) : وأشار على سبيل المثال إلى أن (ص ١٥٤) : «المرافعات تسبق الإدعاء . . بينما فى فرنسا يتم العكس» .

وهو بالطبع ما يحد من تميزها القانونى ويستبعد اعتبارها مرجعًا فى الحقيقة التاريخية .

إن الوضع القانونى لتلك المحكمة هو فى الواقع ما يلى :

ـ المادة ١٩ : لن ترتبط المحكمة بالقواعد الفنية الخاصة بإجراءات جمع أدلة الاثبات ! . وستتبنى وتطبق بقدر المستطاع ، إجراء سريعا وستسمح باستخدام كل وسيلة ترى أنها ذات قيمة حاسمة .

ـ المادة ٢١ : لن تطالب المحكمة بتقديم الدليل على وجود عملية تشهير عامة ، ولكن ستعتبر أنه قدم بالفعل . وستعتبر الوثائق والتقارير الرسمية لحكومات الحلفاء كدلائل أصلية ! .

وذلك يوضح الغموض فى تحديد الجريمة ضد الإنسانية . قال لنا دونيديو دو فابر : «سمحت المعاهدة بدخول نوع جديد من الجرائم من باب صغير ، وهى «الجرائم ضد الإنسانية» ، وهى نفس تلك الجرائم التى هربت من الباب ، لحظة النطق بالحكم» .

تم ذكرها فى كتاب هانا آرندت (محكمة القدس) (٤١٦)

ولقد كان چوليوس سترايخر ، صاحب القوانين المناهضة للسامية فى نورمبرج ، هو الوحيد ، الذى تم إدانته وإعدامه بتهمة ارتكاب جريمة ضد الإنسانية .

وفيما يلى التوصيفات التى أعطاها البروفيسور دونيديو دو فابر، للإجراءات:

أ ـ رفض Tu quoque

١ ـ منع استثارة هذه الجدلية التى تعنى ذكر جرائم الحرب التى ارتكبها الحلفاء، وجرائمهم ضد السلام وضد الإنسانية.

يجب ملاحظة أن القوانين الخاصة بوضع المحكمة كانت بتاريخ ٨ أغسطس عام ١٩٤٥، أى بعد يومين من هيروشيما، (٦ أغسطس) وقبيل ناجازاكى (٩ أغسطس) وذلك رغم أنه ـ كما أشار پول مارى دو لا جورس، فى كتابه: (٣٩ ـ ٤٥ حرب غير معروفة (ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣) أن أيًا من تلك العمليتين لم يكن لهما أى فائدة عسكرية لأن قرار الاستسلام كان قد اتخذه إمبراطور اليابان بالفعل، وأن الإنجليز أفلحوا فى فك الشفرة التى كشفت عن ذلك. لذلك، فإن هاتين العمليتين هما بالفعل جريمة ضد الإنسانية.

ولهذا، يفهم المرء السبب وراء منع استثارة جدلية Tu quoque كما أنه لم يكن السبب الوحيد:

ففى ١٠ مارس عام ١٩٤٥، وقع الچنرال أيزنهاور أمرا بإضفاء وضع قانونى لسجناء الحرب الألمان، وهو وضع قوات العدو منزوعة السلاح، وبناء عليه فلا يعتبرون سجناء حرب، أى فى حماية ميثاق مؤتمر چنيف الذى يطالب بشكل خاص أن يحصل سجناء الحرب على نفس القيمة الغذائية التى يحصل عليها الجنود. وكان هناك فى

ذلك الوقت ٤ ملايين سجين حرب فى ألمانيا. وبناء على هذا الوضع الجديد، منعت القوافل الغذائية القادمة من المركز الدولى التابع للصليب الأحمر من إمدادهم بالطعام، وقام الجيش الأمريكى بإعادة كل قطارات التغذية منذ يونيه عام ١٩٤٥، ثم فى أغسطس عام ١٩٤٥، ذلك رغم الاحتجاجات التى قدمها الچنرال روبرت ليتل چون، الذى أشار للقيادة العليا أن الآلاف من المحتجزين على وشك الموت جوعا. ثم كتب الچنرال باتن إلى أيزنهاور، ينتقد قيامه بتطبيق «وسائل الجستابو بطريقة عملية» على الجنود الألمان. (المصدر: چيمس باك. **«لقد سأمت كل الأكاذيب التى ينشرها البعض» (٧ مايو ١٩٥٥)**.

فى ١٣ فبراير عام ١٩٤٥، حينما لم تعد مدينة درسدن هدفا عسكريا، بسبب تقدم الجيش السوڤيتى، ولم يكن فيها إلا لاجئين ومدنيين، قامت القوات الجوية الإنجليزية ـ الأمريكية بناء على أوامر من تشرشل، بتدميرها مستخدمين قنابل فوسفورية أحرقت المدينة بأكملها، وأسفرت عن عدد من الضحايا قارب ضحايا هيروشيما. إذ لقى ما بين ١٣٥ ألفا و ٢٥٠ ألف حتفهم محترقين خلال ليلة واحدة. لقد كانت تلك واحدة من أبشع الجرائم ضد الإنسانية **(كروسمان فى مجلة نيو ستيتسمان فى ٣ مايو عام ١٩٦٣، ذكرت فى مجلة لو نوڤيل أوبزرڤاتور فى ٧ مارس عام ١٩٩٦)**.

ب ــ رفض بحث الأسباب التاريخية لوصول هتلر إلى الحكم

قال السيد دونيديو دو فابر، إنه بنفس الطريقة «منعت أية مناقشة حول شرعية معاهدة ڤيرساى» (ص ١٩١). وهى مسألة غريبة، مثل

وصول هتلر إلى الحكم عن طريق الحصول على الأغلبية الانتخابية مما يشير إلى مدى تغلغل عقيدته الدموية إلى الرأى العام. وجاء فوزه فى الانتخابات أساسا بسبب الوضع المتدهور الذى تشكل فى ألمانيا نتيجة لاتفاقية ڤيرساى. كتب الاقتصادى المشهور لورد كينز، فى كتابه: النتائج الاقتصادية للسلام، يقول: «إذا حاولنا إفقار وسط أوروپا عن قصد، فإننى أتوقع أن الانتقام سيكون فظيعا: وسنضطر إلى خوض حرب خلال العشرين عاما القادمة، ستؤدى حتما، مهما يكن المنتصر فيها، إلى القضاء على الحضارة».

وفى كتابى (ص ٩٣) دونت الإحصاءات التى توضح الخط المتوازى بين صعود البطالة فى ألمانيا وصعود الحزب النازى فى الانتخابات.

وكان ذلك أساس الجدل الذى دار فى ٥ يوليه عام ١٩٤٦، فى محكمة نورمبرج، بين الدكتور سايدل، محامى رودولف هيس، والرئيس.

د. سايدل: سيدى الرئيس، لا أستطيع أن أترك المحكمة فى شك حول فكرة أن معاهدة ڤيرساى والنتائج التى ترتبت عليها، لهما علاقة وثيقة بوصول الاشتراكيين القوميين إلى الحكم. فقد كان ذلك هو أحد نتائج معاهدة ڤيرساى، ولقد خصصت مرافعتى على جزء من هذا الموضوع، سيكون بالنسبة لى . . .

الرئيس: د. سايدل، لقد قلت لك من قبل أن المحكمة لن تستمع إليك تتحدث عن معاهدة ڤيرساى.

سايدل: إذا كان الحزب الاشتراكى ـ القومى قد حقق فى انتخابات الرايخستاج (البرلمان) فى ١٤ سبتمبر عام ١٩٣٠، انتصارا انتخابيا كبيرا، وكان له فى البرلمان أكثر من ١٠٧ نائبا، فإن ذلك لم يكن نتيجة للأزمة الاقتصادية فى ذلك الوقت، ولا للبطالة العالية، أو لقرار إصلاح الخسائر الذى أتخذ فى معاهدة ڤيرساى، بعكس كل منطق اقتصادى، أو لرفض القوى المنتصرة ـ رغم التحذيرات الملحة ـ مراجعة تلك المعاهدة. إنه بالتأكيد. .

الرئيس: عدالة أو ظلم معاهدة ڤيرساى ليس لهما أية صلة بالحروب التى شنتها ألمانيا.

ومنع المحامى من التحدث. (المجلد السابع عشر، ص ٥٦٢) ذكرتها هانا آرندت (ص ٧٢ ــ ٧٣)

جـ ـ رفض القيام بدراسة نقدية للشهود ولشهاداتهم

أما بالنسبة للشهود، فان دونيديو دو فابر، أوضح لنا (ص ١٥٢ ـ ١٥٣) أن «من بين الضحايا، كان هناك نحو خمسة عشر من الشهود المختارين، ممن اعتبرت شهاداتهم ذات دلالة، واقتيدوا إلى المحكمة للاستماع إليهم». وجاء ذلك بناء على المادة ١٧ للوضع القانونى والذى ينص على أن من اختصاص المحكمة اختيار مفوضين رسميين بهدف إنجاز أية مهمة تكلفهم بها، وخاصة من أجل جمع الأدلة التى تقدمها الوفود. (ص ١٥٣).

لا تحتاج هذه الاختيارات أى تعليق عليها. فبعد أن قام السيد دونيديو دو فابر، باختيار عدد من هؤلاء الشهود، ووصفهم، أضاف

قائلا (ص ٢٠٣) : «تكشف الأمثلة السابقة عن صفة الشهادات المقدمة فى محكمة نورمبرج، أو على الأقل عن معظمها . ومن الصعب تصور أن تلك الشهادات ـ حتى وإن كان قد تم الإدلاء بها بعد حلف اليمين القانونية ـ تعطى صورة دقيقة وقريبة من الحقيقة . فقد كان واضحا بشدة، أن الشهود أرادوا أن تؤخذ شهادتهم فى الاعتبار، وأن تخفى معالمها حسب مصلحتهم . . » .

ذلك كان حقيقة بالنسبة لشهود الإدعاء، كما كان بالنسبة لشهود الدفاع .

بالنسبة لشهادة الجلادين، فقد أشار السيد فيدال ـ ناكيه فى كتابه : قتلة الذاكرة (الناشر لا ديكوفيرت ١٩٨٧، ص ٤٥) يقول : «فى وثائق آوشفيتس، كان هناك شهود أعطوا الإحساس بأنهم يتحدثون بلغة المنتصرين تماما» .

والمثل الأكثر وضوحا (والذى اعتبر أكثرهم أهمية) كان للشيطانى أدولف هيس، القائد السابق لمعسكر آوشفيتس : ففى تصريحاته الأولى، فى ٥ أبريل عام ١٩٤٦، ثم فى النص المعدل الذى قدمه للجمهور، كان ملتزما تماما بالسيناريو الذى توقعه منه متهموه . فكان سرده للبشاعات ليس فقط مليئا بالمتناقضات والمضادات ـ والتى أوضحها المؤرخون فيما بعد ـ ولكن كان يجب الانتظار حتى عام ١٩٨٣، عندما نشر روبرت باتلر كتابه «كتائب الموت»، حيث كشف برنارد كلارك الذى ألقى القبض على هيس ـ بكل فخر ـ كيف عذبه

لكى يجعله يعترف ويوقع على التصريحات التى استخدمت كخلاصة لسيرته الذاتية التى كشف هيس فيها ما يلى: «لقد حصلوا على اعترافاتى عن طريق ضربى. لا أعرف ما كان فى التقرير، ولكنى وقعته». (قائد فى أوشفيتس ص ١٧٤)

ولقد أكد السيد بريساك فى كتاب «الأفران فى آوشفيتس (١٩٩٣ ص ١٣١) أنه تعرض للتعذيب العنيف، ولعدة مرات، إلى حد أنه كاد يموت قبل أن يوقع على اعترافاته.

وحدث نفس الشىء فى «تقرير جيرشتاين»، الذى بدى واضحا فيه التزوير، إلى حد أن محكمة نورمبرج رفضت أخذه فى الاعتبار، رغم أنها لم تكن تحب التدقيق فى أدلة الإثبات. فى كتاب: طبيب فى آوشفيتس، (الناشر جوليار ١٩٦١) للطبيب مايكل نيجلى، طبيب مجرى، تم ترحيله إلى آوشفيتس، حيث كانت شهادته غير واقعية إلى حد أن الموسوعة اليهودية، (١٩٧١) وموسوعة المحرقة (١٩٩٠) رفضتا التنويه عنه.

أما شهود الادعاء، السيد چورج فيلير، رئيس لجنة التاريخ، بمركز التوثيق اليهودى بپاريس، كتب يقول (بخصوص إعادة تشكيل اللجنة الأساسية فى متحف آوشفيتس) عندما تغيرت كلمات اللوحة التذكارية من «٤ ملايين موتى» إلى «نحو مليون». «يجب ألا نأخذ فى الاعتبار الإحصاءات غير المسئولة التى يعطيها المعتقلون السابقون. (العالم اليهودى، أكتوبر ـ ديسمبر ١٩٩٠، ص ١٨٧ و١٩٥).

ولقد اعترف عدد منهم، بالإدلاء بشهادتهم فيما لم يروه.

أكثر الأمثلة دقة، كانت تلك التى أدلى بها الدكتور بنيديكت كاوتسكى، الذى تولى قيادة الحزب الديمقراطى - الاشتراكى فى النمسا، خلفا لوالده.

بعد أن أعلن أن الحد الأقصى للحياة فى آوشفيتس كان ثلاثة أشهر، (رغم أنه قضى هناك ٣ سنوات) كتب د. كاوتسكى فى كتابه: الشيطان والملعون، (نشر فى سويسرا عام ١٩٤٦) يقول عن حجرات الغاز: «لم أرى أيًا منها بنفسى، ولكن وجودها أكده لى عدد من الأشخاص الموثوق فيهم!».

ميشيل دو بوار، مؤرخ فرنسى كبير، عميد كلية كان، وعضو المعهد، ومعتقل سابق فى ماتهاوزن، كتب فى عام ١٩٨٦ يقول: (وست - فرانس ٢ - ٣ أغسطس ١٩٨٦): «فى الدراسة التى قمت بها عن ماتهاوزن فى عام ١٩٥٤، تكلمت مرتين عن حجرات الغاز. ولكن من أين حصلت على القناعة أن فى ماتهاوزن حجرات غاز؟ لم يكن ذلك خلال إقامتى فى المعسكر، لأن لا أنا ولا أى شخص آخر ساورنا الشك فى إمكانية وجود إحدى تلك الحجرات. إنها بالتأكيد معلومات وصلتنى بعد الحرب، وحازت القبول».

الشيء الوحيد الذى لم يكن قابلا للشك، هو أن هتلر كان لا يفرق بين المعارضين - مثل الشيوعيين - واليهود. وكان شعاره اليهودية - البولشفية، هو الذى دفعه إلى كراهية اليهود بنفس درجة كراهيته للبلاشفة والسلاف: فبالنسبة له، كان الاثنان عدوه الأساسى:

الشيوعية فى روسيا، مع تروتسكى، وفى المجر مع بيلا كون، وفى ألمانيا مع ليبنيخت وروزا لوكسمبورج.

(ولكن ذلك لم يمنعه من أن يتهم اليهود بأنهم أيضا أسياد الرأسمالية)

لذلك فالمسألة ليست التقليل من قيمة الجرائم التى ارتكبها هتلر ضد اليهود والمعارضة البولشفية، أو الذين يتصورون إنها كذلك، بل إنها ببساطة القول أن تحديد عدد الضحايا والوسائل التى استخدمت فى قتلهم، قد تكون هدفا لبحث علمى، ولكن ليست أداة للاستغلال لصالح سياسة حرب.

د ـ ملاحظة حول حجرات الغاز:

صعلوك مسكين، خدعته الحملة الإعلامية الكريهة التى شنت ضدى، كتب يهددنى بالقتل وقال لأننى أنفى وجود معسكرات الاعتقال (حيث أقمت ٣٣ شهرا!)

كما أن هناك آخرون، لا يملكون أى عذر فى جهلهم، قاموا بمحاكمتى، وزعموا أن كتابى ينفى وجود حجرات الغاز، وذلك رغم الإثبات بأننى طلبت فتح باب الحوار العلمى والعام حول تلك المشكلة.

إننى أطلب ذلك الحوار لسببين:

١ ـ لقد ذكرت فى كتابى نظريات لوختر، الذى لم يكن كيميائيا ولا معماريًا، ولكنه كان خبيرا فى إعدام المجرمين، الذين حكم

عليهم بالإعدام فى الولايات المتحدة عن طريق الغاز، كما ذكرت الخبيرة المضادة التى طلبها متحف آوشفيتس من معامل كراكوفيتش وفيينا، والتى أكدت تحاليل لوختر، فى أهم نقاطها.

وذكرت أن الفيلم الوحيد الذى عرض على القضاة فى محكمة نورمبرج، عن حجرة الغاز فى داشو، قد كشف أمره مارتين بروزرات بمعهد التاريخ المعاصر فى ميونيخ، الذى أصبح مديرا له، فى ٢٢ أغسطس عام ١٩٦٠، قائلا: «حجرة الغاز فى داشو لم ينته العمل فيها أبداً، ولم تعمل!».

فإذا كانت الحجرة لم ينته بناؤها، بينما عرضها الفيلم وقد انتهى العمل فيها، فهذا يعنى أنه تمت عملية مونتاچ للفيلم، قامت بها الأجهزة الأمريكية الموجودة فى داشو، وكانت تسمح للسياح بزيارتها، ذلك لأن فى محكمة نورمبرج، أتفق على تقديم شهود عيان على استخدام الغاز فى المعسكرات التى وجدت فى الرايخ السابق، وذلك رغم أن السيد بروزرات نشر فى صحيفة داى زايت فى ١٩ أغسطس عام ١٩٥٠، هذا البيان الذى جاء فيه: «لم يحدث أن تعرض المعتقلين للغازات لا فى داشو ولا فى بيرجين - بيلسن ولا فى بوخنفالد». ولكنه أضاف قائلا: «فقط فى أرض پولندا المحتلة».

مع ذلك كان هناك عدد من شهود العيان لحجرات الغاز فى المعسكرات الغربية، يماثل هؤلاء لحجرات الغاز فى المعسكرات الشرقية!

كل ذلك لا يعنى أننى أنكر وجود كل حجرات الغاز، ولكنى فقط أطالب بفتح باب الحوار العلمى والعام «للتحديد بشكل حاسم السلاح الذى استخدم فى الجريمة». (ص ١٦٣)

ولكن رفض باستمرار إقامة الحوار، وكان الرد هو قمع الخبراء.

٢ ـ السبب الثانى الذى من أجله أطلب إقامة حوار حول كل الوسائل التى أدت إلى المذابح الأكيدة، بدون أن نركز بطريقة مَرَضية على واحدة دون الأخرى، هو أننا لا نجد أى أثر يثبت وجود هذا النوع من القتل، فى كتب أى من أشهر المنتصرين على هتلر، والذين انتقدوا بربريته: لم تذكر كلمة عن حجرات الغاز، لا فى «مذكرات الحرب» لوينستون تشرشل، ولا فى «الحملة الصليبية فى أوروپا» لأيزنهاور، ولا فى «مذكرات» الچنرال ديجول!

أما بالنسبة للمؤرخين الذين لا يجرى جدل حول أقوالهم، والذين تعد رغبتهم فى الموضوعية غير مشكوك فيها، مثل رينيه ريمون، رئيس لجنة تاريخ الترحيل، لم يتضمن كتاباه الهامان ـ «مقدمة لتاريخ عصرنا» (١٩٦٠) و«القرن العشرين من عام ١٩١٤ إلى يومنا» (١٩٧٤)، (والذى يضم ألف صفحة) ـ أية كلمة حول هذا الموضوع. إنها حقا قضية هامة، ويجب تناولها بدراسة انتقادية وواضحة، لا يواجهها أحد بأفكار مسبقة سواء بالتأكيد أو بالإنكار، وذلك من أجل دراسة كل وسائل التعذيب والموت التى استخدمها هتلر ضد كل معارضيه.

ومن المدهش أن أكثر المؤرخين الأمريكيين صهيونية، والذى ترجم كتابه للفرنسية بعنوان: «جلادو هتلر الراغبون» وأصبح أكثر الكتب مبيعا فى أمريكا، بمساعدة حملة إعلامية لصالحه، كتب يقول: «لقد ظلت دائما حجرات الغاز عامل القلق المسيطر على الرأى العام وحتى المؤرخين. . وكان الاهتمام الأكبر الذى منح لتلك المبانى الصناعية، ذا تأثيرين سلبيين. الأول أنه منع إعطاء اهتمام كاف لوسائل الإبادة الجماعية الأخرى. . التى لم تكن معروفة بنفس القدر، واختفت عن الأنظار تماما». (ص ١٧٠) وأضاف فى صفحة ٥٠٤، «بعكس ما يقوله المؤرخون، ويعتقده الرأى العام، فان القتل بالغاز، ظاهرة ثانوية أو ظاهرة مصاحبة epiphenomenon .

أريد هنا أن أتحقق من المعنى الذى أعطاه جولدهاجن لتلك الكلمة!

القاموس الفرنسى لو جران روبير (المجلد الثانى، ص ٥٨٨) يعطى تفاصيل دقيقة أكثر، ويميز التالى:

١ ـ التعبير الطبى: أعراض ملحقة تضاف إلى الأعراض الأساسية.

٢ ـ التعبير الفلسفى: ظاهرة ملحقة تلازم الظاهرة المهمة .

لذا دهشت أن السيد جولدهاجن لم يصدم هؤلاء الذين اتهمونا بالتقليل من شأن جرائم هتلر.

وأضيف أن التركيز المَرَضى على هذا الجانب من المذبحة يؤدى إلى التقليل من شأن وسائل التدمير الأخرى: فى أغسطس عام ١٩٤٢

أشار تقرير پولندى حول تريبلينكا، ليس إلى حجرات الغاز ولكن إلى حجرات بخار المياه المغلية التى اتصلت بأجهزة التدفئة، وهو ما قبلته محكمة نورمبرج فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٤٥، (بى. ـ أس. ٣٣١١).

وفى صحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ٣ يونيه عام ١٩٤٢، مقال يتحدث عن مبنى الإعدام، حيث كان يتم قتل ألف يهودى يوميا رميا بالرصاص. وفى ٧ فبراير عام ١٩٤٣، تحدث مقال آخر عن محطات تسمم الدم فى پولندا المحتلة.

وفى ديسمبر عام ١٩٤٥، كتب ستيفان چندى، فى كتابه: Der letze Jude aus Poland، أن اليهود كانوا يُقادون إلى حمام سباحة حيث يتم تمرير تيار كهربائى ذى ضغط عال. واختتم كلامه قائلا (ص ٢٩٠): وأخيراً وجدت مشكلة إعدام الملايين من الأشخاص الحل!

يان كارسكى يتحدث فى كتابه «قصة دولة سرية» والذى ترجم إلى الفرنسية فى عام ١٩٤٨ بعنوان: «شهادة أمام العالم»، عن الجير الحىّ الذى انتشر فى الشاحنات المكدسة بالضحايا.

ونفس الكاتب كارسكى، فى تقرير آخر فى نوڤمبر عام ١٩٤٢، لم يعد يتحدث عن قطارات الموت والجير الحىّ. بل عاد إلى إعدام الضحايا بالصعق الكهربائى، مع إضافة تغييرات: «فالعملية لم تعد تجرى فى حمام سباحة، بل فى ثكنات، حيث الأرضية مصنوعة من صفائح معدنية».

كل هذا، لا يمكن أن نقول إنه صحيح أو غير صحيح إلا بعد بحث تاريخي شامل ومتعمق. لذا فأنا لا أنفي ولا أؤكد شيئا قبل إجراء مناظرة حقيقية مع خبراء في كل من تلك الوسائل.

وبعكس ما يقال، فإن ما يبدو لي غير قابل للمناقشة، هو التقليل من شأن الجريمة الأكثر بشاعة، تلك التي يتم من خلالها الموت ببطء، ويمكن تقديم ضحاياها الذين أفلتوا من الموت كشهود، بخلاف الوسائل الأخرى التي لا يمكن تقديم الأدلة عليها لأن الضحايا قتلوا في الحال وبلا أية فرصة لإنقاذهم.

مؤتمر وانسي

أكثر الأمثلة بشاعة على هذا التقليل من شأن الجرائم، هو التزوير في التقرير الذي قدم في مؤتمر وانسي، الذي عقده في ٢٠ يناير عام ١٩٤٢ كبار المسئولين الهتلريين، وحيث زعم التاريخ الرسمي حتى عام ١٩٨٤، أنه في هذا المؤتمر، اتخذ قرار القضاء على اليهود الأوروبيين. وفي عام ١٩٩٢، كتب يهودا باور في صحيفة أنباء اليهود الكنديين، بتاريخ ٣٠ يناير، أن ذلك التفسير الذي قدم حول مؤتمر وانسي، سخيف. ومؤخرا، أكد چان كلود بريساك، المتحدث الرسمي للتقليديين، ذلك التعديل الأخير للفكرة الأورثوذكسية وقال: «إذا كانت عملية تدفق اليهود إلى الشرق قد أعدت بشكل جيد.. لما تحدث أحد الآن عن التصفية المصطنعة..» **(المحارق في آوشفيتس ص ٣٥)**.

في قسم التسلسل التاريخي في نهاية الكتاب، أشار أمام تاريخ ٢٠ يناير عام ١٩٩٢، يقول: «مؤتمر وانسي، حول تدفق اليهود إلى الشرق». (ص ١١٤).

وبالعكس، إذا ثبتت صحة تقرير مؤتمر وانسى (حيث إن مقدمة النص لا تشير إلى أية صفة رسمية) فستنكشف عن وسيلة قتل جماعي أكثر بشاعة حتى من حجرات الغاز: «خلال الحل النهائى، سيتم توجيه اليهود تحت إدارة مناسبة نحو الشرق من أجل استغلال عملهم. وسيتم فصلهم حسب الجنس. سيوجه اليهود القادرون على العمل فى طوابير كبيرة إلى المناطق حيث الأعمال الكبيرة لبناء الطرق، وبالتالى فمما لا شك فيه، سينهار عدد كبير تحت وطأة العمل لأسباب طبيعية».

هاهى وسيلة تدمير، أخفيت، كما يقول جولدهاجن، بحجرات الغاز، والتى تعد غير مشكوك فيها لأنه أمكن إثبات صحتها عن طريق دلائل مادية (الطرق) وشهادة الشهود (الناجين)، ودلائل تاريخية: الحاجة لأيدى عاملة من العمال خلال الحرب ضد الاتحاد السوفيتى.

وهنا أؤيد ما انتهى إليه رايتلينجر الذى فتح الطريق للبحث: «بسبب نقص معلومات قوية، فإن الأرقام يجب أن تعتبر «تكهنات» (ص ٥٠٩) وقال فى ص (٥٠٠): «إذا أقمنا تحليلا لذلك الدمار، سنجد أن أكثر من ثلث اليهود الذين اختفوا فى أوروبا ماتوا، ليس بسبب العنف الجسدى المباشر، بل بسبب العمل الشاق، والأمراض، والجوع، وغياب الرعاية الصحية. . أما آوشفيتس، فرغم معناها الرمزى الضخم، فهى لم تؤدى إلا إلى موت أقل من واحد على خمسة من عدد الضحايا».

إن تنوع وسائل القتل تلك، التى لا أؤكد أو أنفى أيًا منها، تتطلب جهدا كبيرا من البحث الجاد، وإلا كما قالت سيمون فيل، خلال

عملية التصويت على قانون چيسو ، الذى يمنع البحث والمناقشة : «إننا نعطى الانطباع أن هناك شيئا نخفيه» .

سيسمح هذا البحث بالكشف عن الوسائل التى استخدمت فى المذابح الحقيقية ، وسيرفعها فوق أدنى شك ، يمكن أن تثيره عمليات خلط الحقيقة بالتلفيق الذى يحدث فى كل الحروب المنبثقة عن الحرب الأخيرة .

فقصة الصابون الذى صنع من دهون آدمية ، هى إعادة لقصة ملفقة من أيام الحرب العالمية الأولى . ولقد ذكر السيد لاكور فى كتابه هذا الاعتراف :

«فى منتصف العشرينات، اعترف أوستن تشامبرلين، سكرتير الدولة للشئون الخارجية أمام البرلمان، أن قصة مصنع الجثث ليس لها أى سند. وفى فبراير عام ١٩٣٨ مرة أخرى، عشية حرب أخرى، أعلن هارولد نيكولسون أمام مجلس العموم أيضا، قائلا «لقد كذبنا بشكل كريه»، كم أساءت تلك الأكاذيب لبريطانيا العظمى، وتمنى ألا يضطر أبدا أن يشارك فى مثل تلك الحملات الدعائية بعد الآن». (ص ١٦ ــ ١٧)

هاهى إحدى تلك التلفيقات المخيفة ، التى كان السبب فى نشرها سيمون فايزنتال . فى عام ١٩٤٦ أضاف سيمون التعديلات الإضافية الخيالية على مسألة حجرات الإعدام : كان بالحجرات مجار لجمع دهون اليهود الذين قتلوا ليصنعوا منه الصابون . وكل قطعة صابون تحمل حروف (RJF، والتى تعنى دهن يهودى نقى) . ولقد وصل

الأمر بمحكمة نورمبرج أن قبلت عينات من هذا الصابون، بالطبع بدون أن تجرى عليه أية اختبارات معملية!

كشف اليوم معهد ياد فاشيم الحقيقة: لم يكن هناك أبدا تصنيع لهذا الصابون بدهون المعتقلين. كل تلك الخزعبلات قامت على خلط بين حروف RJF وRIF، (التى تعنى إنتاج صناعى)، هذا الخلط جاء نتيجة خطأ (مقصود أم بحسن نية؟).

تؤدى مثل تلك الخدع إلى التقليل من شأن الجرائم الهتلرية، وإلى بث الشكوك: إذا كذب المرء فى تلك النقاط، قد يكون فعل نفس الشيء فى موضوعات أخرى. وطالما أن كل التناقضات التى أدت إليها روايات المذابح «لم يتم مناقشتها بحرية، فالشك سيستمر».

د ـ رفض القيام بدراسة النصوص

حدث نفس الشيء فى نقد النصوص عن طريق مقارنة تلك التى قد تعتبر إثباتا على الرغبة فى الإبادة، وتلك التى تشير إلى طرد اليهود، من المانيا فى البداية، ثم من أوروبا المحتلة.

بالنسبة للمجموعة الأولى فإن المسائل واضحة:

تردد المجموعة كثيرا رطانة وعنجهية هتلر، قبل وصوله إلى الحكم، لكى توضح أنه كان لديه منذ ذلك الوقت، خطة محددة للقضاء على العرق اليهودى.

چوزيف بيلنچ كتب فى: «الحل النهائى والمسألة اليهودية»، فى عام ١٩٧٧، ص ٥١ (وهو ما لن نستطيع أن نزعم محاولته التقليل

من شأن جرائم هتلر) يرى أن تعبير Vernichtung لا يعنى الإبادة، ولا حتى إلى النية المبيتة للوصول إلى ذلك، ولكنه يعنى فقط: تصفية دور اليهود فى أوروبا.

والخلاف الداخلى الذى أقامه المؤرخون الصهاينة بين «مؤيدى فكرة النية» وهم من يرى أن هتلر كان لديه خطة للقضاء على اليهود، حال وصوله إلى الحكم، و«العمليين» الذين يرون أن الفكرة نبتت من جراء تطورات الحرب، قد حسم، لأنهم قاموا بتحديد التواريخ التى وضعت لتنفيذ الخطة: مثل تاريخ دخول الحرب ضد الاتحاد السوفيتى، حيث فرضت الهزيمة عليه ضغوطا كبيرة، أو تواريخ أخرى.

على سبيل المثال:

فى عام ١٩٥١ كتب السيد بولياكوف يقول: «كل ما نستطيع أن نقوله، هو أن قرار الإبادة الجماعية اتخذه هتلر فى بداية عام ١٩٤١» (كتاب صلوات الكراهية ١٩٥١، الطبعة الثانية لعام ١٩٧٩ الناشر كالمان ليفى ص ١٢٦ و١٢٩).

تلك التأكيدات، قام بولياكوف بسحبها فى عام ١٩٩١. واعترف المؤرخ أنه وقع تحت «نوعا من ضغط بتوجيه اتهامات ضده ولم يصل إلى تلك النتيجة المؤكدة إلا من خلال قناعة بعض الشهود، الذين حصلوا على معلوماتهم من آخرين». (تاريخ وجدلية حول الإبادة الجماعية. تعليق. چويليار، برينتان، ١٩٩١، ص ٢٠٣).

ماذا علمتنا النصوص التى صدرت حول القرارات المختلفة التى أدت إلى قرار الإبادة؟

أولا: لا توجد أية وثيقة لهتلر، أو لأى من كبار المسئولين فى النظام، تحوى هذا الأمر بالإبادة.

منذ عام ١٩٦٠، اعترف الدكتور كوبوفى فى مركز الوثائق بتل أبيب: «لا توجد أية وثيقة موقعة من هتلر، هيملر أو هايدريخ، تتحدث عن إبادة اليهود».

نفس الشىء حدث مع السيدة لوسى دافيدوفيتش، فى كتابها: الحرب ضد اليهود ١٩٧٥، ص ١٢١.

فى عام ١٩٨١، أكد لاكور: «حتى الآن لم يجد أحد قرارا مكتوبا من هتلر حول تدمير الجالية اليهودية الأوروبية، وبناء على كل الاستنتاجات، فان هذا القرار لم يتخذ قط». (السر الرهيب. فرانكفورت ١٩٨١ ص ١٩٠).

بعد ندوة عقدت فى جامعة السوربون فى عام ١٩٨٢، أعلن كل من ريمون أرون، وفرانسوا فوريه، فى نهاية المؤتمر الصحفى:

«رغم البحوث المتبحرة فى الموضوع، لم يستطع أحد أن يجد أمرا من هتلر لإبادة اليهود».

منذ ذلك الوقت، بدأ المعاندون يشيرون إلى وجود لغة مشفرة، تسمح بأن نقول لأى شخص، أى شىء، بشرط أن نصل أولا إلى النتيجة التى نريدها: الإبادة. . . تلك الكلمة لم تظهر فى أية وثيقة، بل وتتناقض، كما سنرى، مع العديد من الوثائق الأخرى. لم

يحدث أبدا، أن حصلنا، فى أى موضع آخر، على أى دليل أو أى افتراض بوجود هذه الشفرة.

وبأسلوب ساخر، أوضحت السيدة هانا آرندت كيف أنه من المستبعد، بل من المستحيل، الإبقاء سرا على عملية بتلك الضخامة، مثل إبادة مئات الآلاف من الأشخاص، الأمر الذى يستلزم وضع تنظيم شامل ودقيق، ليس فقط بوليسيا، بل عمليًا، يضم عددا كبيرا من المنفذين (أيخمان فى القدس ص ١٤٣).

والسيد چان كلود بريساك، أعلن بكل وضوح قائلا: «لم يكن هناك أبدا تمويه، بعكس ما يتردد. (ذكره لوران جرايلز هامير فى لوموند. فى ٢٦ و٢٧ سبتمبر ١٩٩٣).

ونفس التحفظ يمكن تطبيقه على كلمات أخرى تحولت عن معناها.

على سبيل المثال Aussrotung، أى «يقتلعه من جذوره» كلمة كان يستخدمها الهتلريون من أجل اقتلاع المسيحيين (وهو ما لا يعنى ذبح المسيحيين) وهى فسرت بالنسبة لليهود بمعنى إبادتهم!

وقع فى محكمة نورمبرج حادث كشف عن الأسلوب الذى يستخدم فى التزوير: استخدم جورينج فى رسالة إلى هايدريخ تعبير Die Endlosung der Judenfrage بمعنى تصفية المشكلة وليس التصفية الجسدية لأصحاب المشكلة.

وعندما كشف جورينج، القاضى متلبسا بمحاولة ترجمة منحازة، فى نورمبرج يوم ٢٠ مارس عام ١٩٤٦، اضطر القاضى

چاكسون للتراجع (المجلد التاسع ص ٥٥٢). ولكن الصحافة لم تشر بكلمة إلى تلك الحادثة التى من شأنها تدمير نظرية كاملة تدميراً كاملاً. معنى تعبير «الحل النهائى» فى حد ذاته، تم توضيحه فى عدد كبير من الوثائق التى تشير إلى القرار المشئوم الذى اتخذه النازيون بطرد كل اليهود من الأراضى التى تقع تحت سيطرتهم (judenrein). ولنتذكر بعض استخدامات تعبير الحل النهائى فى قرارات النازيين فيما يخص المسألة اليهودية.

لقد أشير بوضوح فى اللائحة التنظيمية للحزب الاشتراكى ـ القومى إلى المخطط الوحشى لهتلر بطرد كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا حيث تمتد سيطرته (النقطة ٤).

ـ لا يمكن لأى يهودى أن يكون مواطنا كاملا.

ـ البند رقم ٢٤ يمنعهم من العمل فى بعض المهن.

ـ منذ شهر مايو عام ١٩٤٠، وحتى قبل هزيمة فرنسا، كتب هيملر يقول: «أتمنى أن أرى المسألة اليهودية وقد تم حلها نهائيًا عن طريق هجرة كل اليهود إلى أفريقيا أو فى مستعمرة». ذلك هو الخط الأساسى الدائم فى السياسة النازية.

فى ٣ يوليه عام ١٩٤٠، كتب فرانز رادياخر، المسئول عن شئون اليهود فى وزارة الخارجية فى تقرير يقول: «إن النصر الأكيد سيعطى ألمانيا إمكانية حل المسألة اليهودية فى أوروبا. الحل المفضل هو: كل اليهود خارج أوروبا».

ومنذ عام ١٩٤٠ ، طرحت فكرة طرد كل اليهود إلى مدغشقر. ولكن المشروع كان غير قابل للتنفيذ نظرا لتفوق البحرية الإنجليزية.

كان لابد من إيجاد حلا مؤقتا لاستبداله به.

منذ ذلك الوقت، طرحت المسألة اليهودية على مستوى أوروبا التى احتلتها النازية.

سمحت الانتصارات فى أوروبا بالتفكير فى حل آخر. أعلن الفوهرر فى ٢ يناير عام ١٩٤٢ : «يجب على اليهود أن يغادروا أوروبا. والأفضل أن يذهبوا إلى روسيا».

فى وانسى، (فى يناير عام ١٩٤٢) أشرنا من قبل إلى أنه: خلال فترة تطبيق الحل النهائى، سيرحل اليهود إلى الشرق من أجل استخدامهم فى العمل. . و. . قيل فى المحاكمة الشفهية: «سيكون كل من الرايخفوهرر أس أس ورئيس البوليس الألمانى، مسئولين عن كل الإجراءات الضرورية للحل النهائى (Endlosung der jer judens frage) بدون أى اعتبار للحدود الجغرافية». (المصدر: أن. چى. ٢٥٨٦).

أما الحل النهائى، فلم يكن من الممكن أن يتحقق إلا بعد الحرب، ولقد تم بنفس الطريقة: طرد كل اليهود من أوروبا. ذلك ما قاله هتلر بالضبط للسفير فى پاريس، آبيتس: قال الفوهرر: أنه ينوى أن يجلى كل اليهود من أوروبا بعد الحرب. (المصدر: وثائق عن السياسة الخارجية الألمانية، ١٩١٨ ـــ ١٩٤٥. مجموعة د. المجلد العاشر ص ٤٨٤).

ابتـداء من ٢٤ يونيـه عـام ١٩٤٠ ، أبلغ هايدريخ ريبنتـروب عن رغبته لتحقيق الحل النهائي بأسرع وقت ممكن. وكتب يقول:

إن المشكلة الكاملة التي طرحت بسـبب الوجـود الحـالي لثـلاثة ملايين و ٤٠٠ ألف يهودى على الأراضى التي تقع اليوم تحت السيادة الألمانية، لا يمكن أن تحل إلا بالهجرة: «الحل النهائي الحدودى يصبح إذن ضـروريًا». (المصدر: الجزء رقـم ٤٦٤ من محـاكـمة أيخمـان فى القدس) (*).

فى الوقت نفسه، أرسل هيملر مذكرة إلى هتلر اختتمها بقوله: «أتمنى أن أرى المسألة اليهودية وقد تم حلها نهائيا عن طريق هجرة كل اليهود إلى أفريقيا أو فى مستعمرة.» (المصدر: Vierteljahre-sheffe -1957، ص ١٩٧)

كان هتلر مؤيدا لذلك الاقتراح، إذ كتب رادماخر، المسئول فى وزارة الخـارجيـة، فى ١٠ فبـراير عـام ١٩٤٢، يقـول فى خطاب رسمي:

خلال هذا الوقت، فإن الحرب ضد الاتحاد السوفيتى سمحت لنا بالاستيلاء على أراضى جديدة من أجل الحل النهائي. وبالتالى، فإن الفوهرر قرر ترحيل اليهود، ليس نحو مدغشقر، بل نحو الشرق.

(*) يعيدنا هذا ثانية لكيفية إبادة ستة مليون يهودى عندما تكون لألمانيا سيادة على ٣,٤ مليون يهودى.

لهذا السبب ، لم يعد ضروريا أن نضع مدغشقر فى اعتبارنا من أجل الحل النهائى . « (المصدر: الوثيقة أن. جى. ٣٩٣٣، من محاكمة ويلهيلم ستراس، ذكره رايتلينجر. الحل النهائى ص ٧٩)

وإذا لم تكن هناك حقائق تؤيد النظرية القائلة أن أبادة اليهود كانت الهدف الرئيسى لهتلر ، فهناك الحقائق التى تؤيد النظرية القائلة أن إبادة اليهود لم تكن الهدف الرئيسى لهتلر .

فى كتابه : «المعضلة اليهودية» (الناشر ستوك ١٩٧٦) كتب ناحوم جولدمان ، رئيس المجلس اليهودى العالمى لفترة طويلة : يقول : فى عام ١٩٤٥ كان هناك نحو ٦٠٠ ألف يهودى من الناجين من معسكرات الاعتقال، ولم ترغب أى دولة فى استقبالهم !

كتبت السيدة أرندت فى كتابها : أيخمان فى القدس (ص ٢٧٠) تقول : «فى أبريل عام ١٩٤٤ ، قبل شهرين من عملية الإنزال فى نورماندى، كان لايزال هناك نحو ٢٥٠ ألف يهودى فى فرنسا، وكلهم نجوا» .

وذلك بعد أعوام من السيطرة الهتلرية الكاملة !

ذلك يدفعنا إلى طرح الأسئلة التى سيجيب عليها البروفيسور زيمرمان، مدير قسم الدراسات الجيرمانية فى الجامعة العبرية بالقدس، خلال حديث أجراه فى ٢٩ أبريل عام ١٩٩٥ فى صحيفة بروشالايم :

سؤال:

اليهود، فى كتاب «كفاحى»، أشير إليهم كجراثيم يجب قتلها. هذا الكتاب اعتبر دائما خطة عمل هتلر، حيث أعرب عن نواياه لتدمير اليهود.

زيرمان:

لماذا إذن انتظر عامين ونصف العام لسن قوانين نورمبرج؟

وإذا كان ينوى مسبقا أن يدمر اليهود، أكان فى حاجة لقوانين؟

* * *

إن التقليل من شأن جرائم هتلر، هى بالضبط العمل على أن نحصر جرائمه على اليهود بينما ذلك لا يمثل إلا جانبًا واحدًا من خطة أكبر كثيرا جدا من ذلك، يهيمن عليها قلق مسيطر تماما وهو: تدمير البولشفية، ولا تزيد نسبة اليهود فى ضحايا الحرب العالمية الثانية عن ٢، إلى ١٠ ٪ إذا أخذنا بالأرقام الصهيونية.

التشهير الأخير: مليون يهودى مقابل ١٠ آلاف شاحنة، وسلام منفصل مع هتلر.

أكثر الأدلة وضوحا على أن الهدف الأساسى لهتلر كان تدمير الاتحاد السوفيتى، هو المساومة التى اقترحها أيخمان فى أبريل عام ١٩٤٤، للمبعوث الصهيونى براند، وهو استبدال مليون يهودى مقابل عشرة آلاف شاحنة (باور: يهود للبيع ـ الناشر ليانا ليفى. پريس ١٩٩٦(ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩).

كانت شهادة باور حاسمة بقدر ما كان الهدف من كتابه هو إثبات أن حرب هتلر كانت «حربا ضد اليهود». (ص ٧٢) وليس ضد الشيوعية.

رغم ذلك فهو نفسه يبلغنا (ص ٨٧) أن فى أبريل عام ١٩٤٤، اقترح أيخمان للمبعوث الصهيونى براند، تبادل مليون يهودى مقابل عشرة آلاف شاحنة (باور ص ٢٢٧ و ٢٢٩) ستستخدم فقط على الجبهة الروسية (ص ٢٢٩).

وأضاف باور (ص ٨٦):

يقول هيملر فى مذكرة شخصية، كتبها فى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٢ : لقد سألت الفوهرر عن رأيه فى فكرة الإفراج عن اليهود مقابل فدية. فأعطانى السلطة الكاملة لمباشرة العمليات من هذا النوع. (ذكره باور ص ١٤٨)

كل المؤرخين اتفقوا على أن هيملر أعد سلاما منفصلا مع الغرب، حتى يكرس كل قواته لمواجهة الخطر البولشفى. (باور ص ١٦٧)

لقد كان فون بابن يؤمن بشدة فى اتفاق الولايات المتحدة وألمانيا من أجل منع انتشار الشيوعية. (باور ص ١٨٩).

كان هدف النازية هو:

«استخدام اليهود للاتصال بالقوى الغربية». (باور ص ٢٨٣).

كانت تلك المسألة تسيطر على تفكير النازى أكثر من أية مسألة أخرى، وكان النازيون يعرفون ثقل اللوبى الصهيونى لدى الزعماء الغربيين:

كان النازيون يعرفون أن ـ بعكس الروس ـ حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة، لديهما ضعف سياسى، ولا تستطيعان تحمل الضغوط التى يمارسها اليهود عليهما. (ذكره باور ص ٢٦٠)

أزاح هؤلاء الزعماء الهتلريون ـ بسهولة ـ معاداتهم للسامية إلى الدرجة الثانية: «فى نهاية عام ١٩٤٤، أصبح واضحا أن هيملر يرغب فى إقامة اتصالات مع الغرب، مستخدما اليهود لتحقيق هذا الهدف، من بين آخرين». (باور ص ٣٢٦)

«استبدال اليهود بالمعدات الاستراتيچية، أو إقامة اتصالات دپلوماسية مع الغرب، اتصالات قد تؤدى إلى إقامة سلام منفصل، بل ـ كما كان الأمل ـ وشن حربا يخوضها الألمان والغرب ضد السوڤييت». (باور ص ٣٤٣)

هذه المداولات بين النازيين والصهيونية فشلت أخيرا، لأن الأمريكان والإنجليز أبلغوا بها السوڤييت.

يدل ذلك أيضا على أن أولوية هتلر لم تكن تصفية اليهود، ولكن محاربة البولشفية. وهذا ما أكسبه حتى عام ١٩٣٩، سماحة بل وموافقة، الغربيين، الذين رأوا فيه أفضل جبهة ضد البولشفية.

فى ستالينجراد، جرح الحيوان النازى جرحا مميتا، وتحمل الجيش السوڤيتى فى عام ١٩٤٤، ثقل ٢٣٦ فرقة من النازيين وتوابعهم، بينما كان هناك ١٩ فرقة ألمانية فقط لمواجهة القوات الأمريكية فى إيطاليا، و ٦٤ كانوا منقسمين بين فرنسا والنرويج. يقول باور:

«كان دور الإتحاد السوفيتى المهم فى المعركة ضد ألمانيا النازية، هو أساسا مساندة الحلفاء فى ثباتهم أمام النازية. انهزم الفيرماخت فى روسيا أمام الجيش الأحمر. الغزو الفرنسى، فى ٦ يونيه عام ١٩٤٤، ساهم بلا شك فى الانتصار النهائى، ولكنه لم يكن العامل الحاسم. فبدون السوفييت، وبدون تضحياتهم الضخمة وبطولاتهم التى لا يمكن وصفها، لكانت الحرب استمرت لسنوات أخرى، وقد لا ينتصر فيها الحلفاء». (ص ٣٤٧)

هذه الحلقة الأخيرة من التعاون بين الصهاينة وهتلر توضح أن:

١ - فى أبريل عام ١٩٤٤، وبعد ١١ عاما من السلطة التامة، لم يكن هتلر قد قضى على اليهود حتى فى ألمانيا.

٢ - إن الهدف الدائم للنازية كان هزيمة الاتحاد السوفيتى والبولشفية. وكانت تلك الرغبة أكيدة، حتى أنه فى ٨ مايو عام ١٩٤٥، فى وقت الاستسلام بلا شروط الذى وقعته الوفود الألمانية التى كانت تملك سلطات الأدميرال دونيتز، القائد الأعلى بعد موت هتلر، والذى أرسل رسالة الوداع إلى الفيرماخت، قال فيها: «**يجب علينا أن نتعاون مع القوى الغربية، إنها الوسيلة الوحيدة لكى نعيد لاحقا أرضنا من يد الروس**». (آرندت ص ٢٩٠)

الجزء الثالث
السياسة الإسرائيلية
وإشعال الحروب

■ الفصل الأول ■

الدور الإسرائيلي في حضارة الغرب

إن الخط الرئيسي الذى قاد تأملاتى حول الدور الجديد للسياسة الإسرائيلية، والتى تخص، ليس فقط الشرق الأوسط، بل سياسة الهيمنة العالمية للولايات المتحدة، هو خطاب عن التاريخ العالمى الحقيقى والذى تضمنه مقال لصمويل هانتنجتون حول «صدام الحضارات»، ثم وسعه ليصبح كتابا مشهوراً تُرجم إلى عدة لغات.

حتى هذا الوقت، كان البنتاجون يعبر عن أحلامه اليوتوبية المتفائلة بالسيطرة على العالم، مع صدور كتاب فوكوياما حول «نهاية التاريخ» والذى يتحدث عن فرض أسوأ النظريات الليبرالية للسيطرة على العالم كله وهى: وحدانية السوق.

كانت وجهة نظر صمويل هانتنجتون أكثر حذاقة: فهى توضح العقبات أمام تحقيق هذا النظام العالمى الجديد.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أى طوال نصف قرن، كانت الولايات المتحدة تبرر سياسة التسلح العالية التى تنتهجها بمواجهة الخطر السوفيتى.

ما عساه أن يكون دور إسرائيل في الجغرافيا السياسية التي تم تصميمها على هذا النحو؟

إن لإسرائيل موقفا إستراتيجيا حاسما في هذه المواجهة بين عالمين.

لقد حدد الأب الروحي للدولة الإسرائيلية مهمتها الأساسية حتى قبل أن توجد. في طريق إقامة الدولة الإسرائيلية، وفي كل سعيها عند القوى الغربية، والتي كانت في ذلك الوقت قوى استعمارية (إنجلترا، ألمانيا، إيطاليا، روسيا) كانت أهم نقاط جدل لديها، هي أنه إذا قررت إحدى تلك الدول أن تكون حامية الدولة الإسرائيلية، فلن يكون لها فقط الأفضلية على كل منافسيها الآخرين، بل ستمثل للجميع قلعة داخل منطقة الشرق، من أجل مساعدة التدخل الاستعماري الغربي. وكتب في عام ١٨٩٥ في كتابه الدولة اليهودية يقول: «بالنسبة لأوروبا، فإننا سنكون هناك جزء من الحاجز لمواجهة آسيا، وسنكون الفرق الأمامية للحضارة في مواجهة البربرية». (الدولة اليهودية الناشر ليبشوتز. باريس ١٩٢٦، ص ٩٥).

لقد اعتبر أيزنهاور الشرق الأوسط أهم موقع إستراتيجي في العالم. (ذكره ستيفن سبيجل: الصراع العربي ـ الإسرائيلي. جامعة شيكاجو ١٩٨٤ ص ٥١).

كان لإسرائيل ثلاث مميزات كبرى:

١ ـ موقعها الإستراتيجي في مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا وأفريقيا.

٢ ـ موقعها الاقتصادى فى قلب تلك المنطقة من العالم التى تضم نصف بترول العالم، شريان التنمية (بالمعنى الغربى للكلمة).

٣ ـ أسطورتها اللاهوتية الخاصة بالشعب المختار، والتى تستخدمها كغطاء للأطماع الغربية فى موقع إسرائيل الإستراتيچى وموقعها الاقتصادى، وتضع مطالبها، مهما كانت، فوق كل قانون، وكل العقوبات، خاصة فوق كل قرار للمجتمع الدولى (على سبيل المثال الـ ١٩٢ قرار إدانة الصادر عن الأمم المتحدة ضدها، وفى كل مرة يحميها ڤيتو الولايات المتحدة.)

كان الأمن الأمريكى، هو المبرر لكل غزو يجرى فى كل أركان العالم حتى ڤيتنام أو كوريا، والمبرر لكل مساندتها للنظم الديكتاتورية العسكرية فى أمريكا اللاتينية كما كانت فى فلبين ـ ماركوس، والمبرر لحماية الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا سابقا.

بعد انهيار الاتحاد السوڤيتى، كان لابد من إيجاد بديل يجسد دور الشرير، وإمبراطورية الشر، التى يجب محاربتها فى القارات الثلاث، فكان الإسلام، حتى يكون التهديد العالمى للإرهاب مبررا لاستمرارية، وحتى للإسراع من سباق التسلح، وفرص «التدخل» الاقتصادى أوالعسكرى فى كل أركان العالم.

نظريات هانتنجتون عن صدام الحضارات تمثل الأساس النظرى لذلك التوجه الإستراتيچى الجديد.

كشفت استنتاجاته عن:

«سيهيمن صدام الحضارات على السياسة العالمية. خطوط الاختلاف بين الحضارات ستكون خطوط جبهة المستقبل..».

وفى النهاية، أوضح مقترحات تحليله من وجهة نظر السياسة الدولية:

«الحد من تنمية القوة العسكرية للدول الكونفوشيوسية(*) والإسلامية، وألا تخفض كثيرا القدرات العسكرية الغربية، والاحتفاظ بالتفوق العسكرى فى الشرق الأقصى وفى جنوب غرب آسيا، واستغلال الخلافات والصراعات بين الدول الكونفوشيوسية والدول الإسلامية، ومساندة الحضارات غير الغربية التى تفضل القيم والمصالح الغربية.

أما الغرب، فعليه بالتالى الحفاظ على القوة الاقتصادية والعسكرية الضرورية لحماية مصالحه فى علاقاته مع تلك الحضارات».

ما سبق يستحق بعض التوضيح:

موقع إسرائيل:

أ) موقعها الإستراتيجى فى مفترق ثلاث قارات:

تقع فلسطين، التى تريد إسرائيل ضمها كلها إليها، كمرحلة أولى من غزو ما أطلق عليه هتلر من قبل الفضاء الحيوى (Lebensraum) وهى كل الشرق الأدنى والأوسط من النيل إلى الفرات، والتى تضم كل الدول المجاورة (لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر) عند مفترق الطرق الجغرافية والإستراتيجية لثلاث قارات: أوروبا، التى تمثل لها الجبهة المتقدمة، وآسيا وأفريقيا، وأولا الطريق المؤدى إلى المحيط الهندى، وجنوب غرب آسيا. من هنا، حيث تحقق أول

(*) يقصد بها الصين.

طموحاتها بالسيطرة على خليج العقبة الذى يفتح على البحر الأحمر، بشرط أن يظل مضيق تيران فى يد أمينة. لقد حصلت كل من الولايات المتحدة وإسرائيل، فى فترتين، على هذه الضمانات: فى فترة أولى عن طريق اتفاقية كامب ديفيد، التى تم توقيعها فى الولايات المتحدة، وتحت ضغوطها فى ١٨ سبتمبر عام ١٩٧٧، والتى من شأنها كسر جبهة موحدة محتملة للدول المجاورة لإسرائيل التى يهددهم توسعها.

النقطة الرابعة فى برنامج المساعدات: حصلت إسرائيل من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٢، على مساعدات تماثل كل المساعدات التى حصلت عليها خمس دول (مصر ولبنان والأردن وسوريا والعراق) والتى تضم عدد سكان يماثل عشرين مرة سكان إسرائيل.

التعاون العسكرى، الذى بدأ فى عام ١٩٦١، توسع بشكل ضخم بعد كامب ديفيد: وپروتوكول التعاون الإستراتيچى الذى وقع فى واشنطن فى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٨١، ضم إمدادات عسكرية من ريجان، أكبر من تلك التى نصت عليها الاتفاقيات السابقة، على سبيل المثال ٧٥ مقاتلة إف ـ ١٦، وكان ذلك مقدمة غزو لبنان. وهكذا بدأ تحقيق مشروع إسرائيل الكبرى وإقامة إمبراطورية حقيقية فى الشرق الأوسط، والتى كان آرييل شارون يخطط لها بالفعل منذ ديسمبر عام ١٩٨١.

ومثل الولايات المتحدة التى طردت الهنود دون وضع حدود لعملية توسعها، قال موشى دايان: «مثل إعلان الاستقلال الأمريكى.

فهو لا يضم أى ذكر للحدود الجغرافية. نحن لسنا مضطرين لتحديد حدود الدولة.» (چيروزاليم پوست بتاريخ ١٠ أغسطس عام ١٩٦٧).

كل ذلك تم تحت حماية الولايات المتحدة بلا شروط، فلم تقم فقط باستخدام حق الڤيتو ضد أى عقوبات تفرض على إسرائيل، بل وأمدتها بسلاح الجريمة. نشرت صحيفة الهيرالد تريبيون الدولية فى ٢٢ يوليه عام ١٩٨٢ أن «ستنفق الحكومة الإسرائيلية هذا العام خمسة ونصف مليار دولار على الأسلحة والإمدادات العسكرية. ثلث هذا المبلغ يأتى من الخزانة الأمريكية».

هذه السياسة للتسلح العالى تم تتويجها بتجهيزات نووية، رفضت إسرائيل أى تفتيش أو حتى ذكره، لتضع بذلك نفسها، كما تفعل دائما، فوق كل الشرعية الدولية (١٩٢ قرار إدانة من الأمم المتحدة ظلت بلا تنفيذ منذ عام ١٩٧٢).

فى ٢٩ يونيه عام ١٩٧٥ كتبت الصحيفة الإسرائيلية هاآرتس، بقلم شلومو آهارونسون تقول:

السلاح النووى هو أحد الوسائل إلى تقضى على آمال العرب فى انتصار حاسم على إسرائيل.. فإن عددا كافيا من القنابل النووية يمكنها أن تتسبب فى خسائر ضخمة فى كل العواصم العربية، وتدمير السد العالى. وبكمية إضافية يمكن الوصول إلى المدن المتوسطة والمواقع البترولية.. يوجد فى العالم العربى مئات الأهداف التى سيبطل تدميرها كل المميزات التى حصلوا عليها بعد حرب كيبور..

لم تعد الدولة الإسرائيلية مفوضة فقط من استعمار جماعي غربي تحت الهيمنة الأمريكية. بل أصبحت بالنسبة للولايات المتحدة، الأهم في علاقات القوى على سطح العالم، وذلك يتجاوز حتى الشرق الأوسط.

ب) مراقبتها لدول الخليج البترولية

في هذه السياسة العالمية، تلعب إسرائيل دورا متميزا كضابط شرطة للمواقع البترولية في الشرق الأوسط.

فحتى قبل سقوط شاه إيران، الذي كان يضمن للولايات المتحدة سيطرتها على الخليج الفارسي، خاصة مضيق هرمز حيث يمر نصف البترول العالمي، كانت إسرائيل قد حصلت على تلك المسئولية.

ولهذا السبب، ففي حلمها التوسعي لتحقيق إسرائيل الكبرى، وهو الحلم الذي يتناسب تماما مع مخططات الولايات المتحدة في المنطقة، فإن دور إسرائيل الأساسي، والذي أصبح ممكنا بمساعدة هيمنتها على الإعلام العالمي، هو تصوير إيران الجديدة في شكل شيطاني عن طريق تحميلها مسئولية المهمة الشيطانية التي هي موجه سري للإرهاب العالمي.

فعندما أرسلت الولايات المتحدة قواتها إلى السعودية في أغسطس عام ١٩٩٠، كتبت صحيفة وول ستريت تقول: «لم ترسل الولايات المتحدة قواتها إلى الخليج لمساعدة السعودية على مقاومة الغزو فقط، ولكن لمساندة دول الأوبك، التي من شأنها خدمة مصالح واشنطن». (وول ستريت چورنال بتاريخ ٣١ أغسطس عام ١٩٨٩).

وكان ذلك يستهدف إقامة مثال، يوضح لدول العالم الثالث كله أنه غير مسموح لأى شعب، التقدم إلى أعلى المستويات التكنيكية، واستغلال ثرواته القومية (فى هذه الحالة البترول)، بدون سيطرة القوى العظمى على أسعاره، وإلا دمر(*).

لقد أسفرت عملية الهجوم على العراق عن مقتل ٢٠٠ ألف شخص من الشعب، وذلك حسب تقديرات الصليب الأحمر، كما أدى استمرار الحظر إلى مقتل أعداد أخرى من الأطفال تتراوح تقديراتها بين نصف إلى مليون بسبب نقص الغذاء والرعاية.

جـ) أسطورتها اللاهوتية المزيفة: الشعب المختار

المنطق الدينى لإسرائيل الكبري، بمساندة واشنطن بلا شروط، يمكن أن يعمل أيضا كمفجر لحرب عالمية ثالثة، أو حسب تعبير هانتنجتون، الحرب الحضارية الأولى(**).

سنكتفى بأن نذكر هنا تعليقين:

١ ـ الدعاوى الدينية لإسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل، والتى تمت بناء على قراءة متطرفة للتوراة، أى قراءة حرفية انتقائية، من شأنها تحويل الخطاب المعظم للملوك والأنبياء، إلى تاريخ قومى، بل وقبائلى، تعد هرطقة ضرورية للسياسة الصهيونية. وتؤدى إلى

(*) راجع كتاب «ماذا يريد العام سام؟» ناعوم تشومسكى ـ عادل المعلم. إصدار ـ دار الشروق.

(**) أول من تكلم عن «الحرب الحضارية الأولى» هو المفكر المغربى د. المهدى المنجرة فى كتابه الذى يحمل ذلك الاسم.

ذلك التناقض: تشير إحصائيات الحكومة الإسرائيلية إلى أن ١٥٪ فقط من الإسرائيليين متدينون، ورغم ذلك فإنه يتم إقناع الغالبية العظمى من الشعب، أن تلك الأرض هى أرضهم بناء على عهد من رب.. هم لا يؤمنون به (*).

كما أن العودة إلى النصوص التوراتية لتبرير كل الهجمات والمذابح التى ترتكبها السياسة الإسرائيلية، باتت مسألة مستديمة فى تلك السياسة. هذا الاستخدام الدموى للنصوص الدينية من أجل تبرير سياسة إجرامية لا تستند على أى أساس دينى صحيح، ولكن على قراءة متطرفة، حرفية، للنصوص المقدسة، حتى أصبحت عملية نصب عنصرية دموية.

يقوم التطرف، (كما يفعل الطاليبان مع القرآن) على قراءة حرفية انتقائية، قبائلية، من شأنها تحوير الخطاب إلى تاريخ مزيف، فتحور على سبيل المثال العهد الذى قطعته آلهتهم لكل القبائل البدوية فى منطقة الهلال الخصيب، بأرض خصبة وذرية عديدة من أجل كل عائلات الأرض، وذلك عن طريق هبة تعطى بلا شروط، وقعها إله قبائلى، قام باستبعاد كل الشعوب من أجل تمييز شعب واحد إلى الأبد. كتب إبراهام هيرشيل فى كتابه: «إسرائيل صدى الأزل» (دابلداى نيويورك ١٩٦٩، ص ١١٥): دولة إسرائيل، إنها إجابة الله على آوشڤيتس. وهذا يستمر إلى اليوم: البروفيسور موشى زيمرمان، رئيس قسم الدراسات الچيرمانية بالجامعة العبرية بالقدس،

(*) اكتفت الغالبية من اليهود بالمفهوم المنحرف أنهم شعب الله المختار وأصحاب الأرض الموعودة، وتركوا جوهر ومجمل دينهم.

وخبير الدراسات النازية، أعلن فى صحيفة يروشالايم بتاريخ ٨ أبريل عام ١٩٩٥ : «إنه من المناسب القول بأن المحرقة هى المبرر الأساسى لإقامة دولة إسرائيل. ثم أضاف قائلا: هناك قطاع كامل من الشعب اليهودى الذى أصفه بلا تردد، بأنه صورة طبق الأصل من النازيين الألمان انظروا إلى أطفال المستوطنين اليهود فى الخليل، إنهم يشبهون بالضبط الشبيبة الهتلرية». وفى عام ١٩٧٥، أشاد مناحم باراش، فى صحيفة يديعوت أحرونوت، بتعاليم الحاخام موشى بن صهيون الذى استخدم النصوص الدينية من أجل تعريف موقف الإسرائيليين من الفلسطينيين: «هذا الطاعون الذى ندت به التوراة.. من أجل أن نتمكن من الأرض التى وعد الله بها إبراهيم. علينا تتبع مثال يشوع من أجل الاستيلاء على أرض إسرائيل والإقامة عليها، كما تأمر التوراة.. ليس هناك مكان آخر على تلك الأرض لشعوب أخرى إلا شعب إسرائيل. مما يعنى أن علينا طرد كل من يعيش عليها منها. إنها حرب مقدسة دعت إليها التوراة».

بعد شهرين، كتب الحاخام إلإزار فالدمان من جوش أمونيم فى صحيفة نيكورا الخاصة بالمستوطنين فى الضفة الغربية يقول: إن علينا بالطبع إقامة النظام فى الشرق الأوسط وفى العالم. إذا لم نتحمل تلك المسئولية فسنعتبر مخطئين، ليس فقط أمام أنفسنا، بل أمام العالم. لأن من يسعه أن يقيم النظام فى العالم؟ فكل الزعماء الغربيين ضعفاء الشخصية. (أعيد نشره فى داڤار فى ٨ أكتوبر ١٩٨٢).

ولكن أحد مؤسسى الحركة، يهودا بن مائير، ندد بنتائج تلك السياسة: بالنسبة لجوش أمونيم، علينا قهر، ليس فقط سوريا وتركيا، بل يجب أن يتحول دماء أطفالنا لحماية العالم كله.

وفى مؤتمر حزب الليكود فى مايو عام ١٩٩٣ ، اقترح أرييل شارون، بلا مواربة، أن تقيم إسرائيل سياستها الرسمية على فكرة الحدود الدينية.

هذه الهرطقة، التى أسسها ثيودور هرتزل، ندد بها منذ ظهورها، الحاخامات واليهود الملتزمين بشرائع أنبيائهم.

ومن بين أمثلة عديدة أخرى، كتب الحاخام موشى منوحين (والد الموسيقار العبقرى يهودى منوحين) فى كتابه: انحطاط اليهودية، يوضح أن هذا الانحطاط الذى أصاب اليهودية، هو بالتحديد القومية الصهيونية. كان عنوان كتابه، المبدئى هو: القومية اليهودية: جريمة ولعنة تاريخية. وقال فى كتابه إنه بعكس عالمية الأنبياء اليهود، فإن التفسير القبائلى والقومى للشعب المختار، والانقياد خلف من يطلق عليهم البرابرة القبائليين مثل بن جوريون وموشى دايان وكل العصابة العسكرية التى ضللت إسرائيل. (ص ١٣)، قام بتحويل الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية فى العالم أجمع إلى أدوات للحكومة الإسرائيلية (ص ٣٥٠، ٤٢٩، ٤٥٧)، مع نفس الفكر العنصرى الذى يتبناه معادو السامية. (ص ٣٠٨).

العدوان على مصر

فشل العدوان الإسرائيلى على مصر فى عام ١٩٥٦، للاستيلاء على قناة السويس، بمساعدة فرنسا وإنجلترا. تم ذلك أساسا، لأن الولايات المتحدة لم تقبل ـ كما أوضح الجنرال ديجول فيما بعد فى

خطابه فى بنوم بنه ـ أن تفقد السيطرة على البحر الأحمر من أجل استمرار مشاريعها فى ڤيتنام والشرق الأقصى.

ولقد تعلم الزعماء الإسرائيليون الدرس: فمشروعهم القادم بالتوسع يجب أن يعتمد فى البداية على الولايات المتحدة. ولهذا نشأ پروتوكول التعاون الإستراتيچى، الموقع فى واشنطن فى ٣٠ نوڤمبر عام ١٩٨١ .. وبدأت عملية غزو لبنان بعد عشرة أسابيع من الانسحاب من صحراء سيناء، بناء على اتفاقية كامب ديڤيد، التى كفلت للإسرائيليين بألا يحاربون على جبهتين. من بين ٥٦٧ طائرة كانت تملكها إسرائيل، ٤٥٧ جاءت من الولايات المتحدة مدعمة بالهبات والقروض الأمريكية.

وبعد حرب الأيام الستة، قامت إسرائيل، التى احتلت كل الجبهات مع جيرانها، من لبنان إلى الجولان وإلى الضفة الغربية، وإلى سيناء، بضم القدس رغم معارضة الأمم المتحدة.

ولكن القانون الدولى ما هو إلا مجرد قصاصة ورق، كما أكد بن جوريون خلال حرب التوسع الأولى فى عام ١٩٤٨(*).

وفى عام ١٩٨١، قبل غزو لبنان، أعلن آرييل شارون: **فى السنوات القادمة، ستمتد منطقة المصالح الإستراتيچية لإسرائيل، ليس فقط إلى الدول العربية فى البحر المتوسط، بل إلى كل الشرق الأوسط، كما ستمتد إلى إيران وپاكستان والخليج وأفريقيا وتركيا.**

(*) أعلن بن جوريون غداة العدوان الثلاثى على مصر: لقد حررنا سيناء!

خطط إسرائيل الإستراتيجية:

هذه الخطة، طرحت بوضوح فى نشرة كيفونيم (توجهات) التى تصدر فى القدس عن المنظمة اليهودية العالمية، تحت عنوان: خطط إسرائيل الإستراتيجية، حيث تطالب بتفتيت كل الدول المجاورة لإسرائيل، من النيل إلى الفرات. وفيما يلى الفقرات المهمة:

«لقد غدت مصر، باعتبارها كيانًا مركزيا، مجرد جثة هامدة، لا سيما إذا أخذنا فى الاعتبار المواجهات التى تزداد حدةً بين المسلمين والمسيحيين، وينبغى أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافيا هو هدفنا السياسى على الجبهة الغربية خلال سنوات التسعينيات.

وبمجرد أن تتفك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية، فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد ومن ثم فإن تشكيل دولة قبطية فى صعيد مصر، بالإضافة إلى كيانات إقليمية أصغر وأقل أهمية، من شأنه أن يفتح الباب لتطور تاريخى لا مناص من تحقيقه على المدى البعيد، وإن كانت معاهدة السلام قد أعاقته فى الوقت الراهن.

وبالرغم مما يبدو فى الظاهر، فإن المشكلات فى الجبهة الغربية أقل من مثيلتها فى الجبهة الشرقية. وتعد تجزئة لبنان إلى خمس دويلات.. بمثابة نموذج لما سيحدث فى العالم العربى بأسره. وينبغى أن يكون تقسيم كل من العراق وسوريا إلى مناطق منفصلة على أساس عرقى أو دينى أحد الأهداف الأساسية لإسرائيل على المدى البعيد. والخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف هى تحطيم القدرة العسكرية لهذين البلدين.

فالبناء العرقى لسوريا يجعلها عرضة للتفكك، مما قد يؤدى إلى قيام دولة شيعية على طول الساحل، دولة سنّية فى منطقة حلب، وأخرى فى دمشق، بالإضافة إلى كيان درزى قد ينشأ فى الجولان الخاضعة لنا، وقد يطمح هو الآخر إلى تشكيل دولة خاصة، ولن يكون ذلك على أية حال إلا إذا انضمت إليه منطقتا حوران وشمالى الأردن. ويمكن لمثل هذه الدولة، على المدى البعيد، أن تكون ضمانًا للسلام والأمن فى المنطقة. وتحقيق هذا الهدف فى متناول يدنا.

أما العراق، ذلك البلد الغنى بموارده النفطية والذى تتنازعه الصراعات الداخلية، فهو على خط المواجهة مع إسرائيل. ويُعد تفكيكيه أمرًا مهما بالنسبة لإسرائيل، بل إنه أكثر أهمية من تفكيك سوريا، لأن العراق يمثل على المدى القريب أخطر تهديد لإسرائيل».

(المصدر: مجلة كيفونيم، القدس، العدد ١٤، فبراير/ ١٩٨٢ ص٤٩ - ٥٩).

ولتحقيق هذا البرنامج الضخم، فإن الزعماء الإسرائيليين يحصلون على المساعدة الأمريكية بلا تحفظ.

هذه الخطة لإضرام النار فى كل الشرق الأوسط (مع تلميحات دولية أنها سهلة المنال) لم تتوقف عن توجيه كل سياسات الحرب لإسرائيل وانتهاك كل قرارات المجتمع الدولى بالأمم المتحدة، مع مساندة غير مشروطة للولايات المتحدة.

من بين أسس تلك الخطة - والتى سنذكر منها المهم - قامت إسرائيل تحت مبرر تحقيق أمن دولة إسرائيل، باحتلال - حدود كل جيرانها منذ

عام ١٩٦٧ ـ مصر والأردن، وفلسطين ولبنان وسوريا، (رغم قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يؤكد عدم جواز امتلاك أراض عن طريق الحرب ويطالب بانسحاب القوات العسكرية الإسرائيلية من الأراضى المحتلة.) وتظل تستقطع، من خلال استعمارها، الأراضى الفلسطينية التى تسيطر على ٩٦٪ منها.

فى تلك المسألة أيضا، عبر نتنياهو إلى مراحل جديدة: فمن أجل الاحتفاظ بالقدس بين مخالبه (رغم القرار الذى اتخذ بالإجماع فى الأمم المتحدة) فتح فى الجزء العربى من القدس، فى بار هوما، طريق من أجل بناء ٢٠٠٠ منزل خاصا لليهود.

ويرفض تنفيذ الالتزامات التى اتخذت فى أوسلو حتى لا تضطر الدولة الإسرائيلية إلى سحب قواتها من الأراضى المحتلة. لقد انتهك قاصدا متعمداً الاتفاقيات رغم الاحتجاجات الدولية.

الثلاثاء ١٨ مارس عام ١٩٩٧، الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا انتقدوا بشدة القرار الإسرائيلى ببدء عمليات بناء المستعمرة الحادية عشر فى القدس الشرقية.

إنه يبقى فى الخليل على قنبلة حقيقية: ففى وسط ١٢٠ ألف نسمة فلسطينية، يقبع ٥٠٠ مستوطن، نفس هؤلاء الذين يكللون قبر السفاح باروخ جولدشتاين بالورود والزهور والنياشين، الذين يرون فيه بطلا، وحيث تهيمن روح الحزب القومى الدينى القديم، الذى يزعم أنه يضم كل من اليهودية الأورثوذكسية والقومية

العلمانية للصهيونية السياسية، وذلك عن طريق إعطاء الاستيطان شرعية دينية.

حتى رئيس إسرائيل، رئيس الدولة، عيزرا وايزمان، حمل نتنياهو مسئولية عرقلة مفاوضات السلام والعزلة المتزايدة للدولة العبرية. وفى حديثه عن نتنياهو قال: هذا الرجل استغلنى، وخدعنى أكثر من اللازم. اليوم، فاض الكيل. (لوموند ٢ يوليه ١٩٩٨).

رغم كل هذا، استمر نتنياهو فى سياسته الخاصة بالتطهير العرقى، وبمنع أى مفاوضات حول الجولان السورية، ونفس الشىء حول القدس ولبنان. كتب ثيو كلاين، الرئيس السابق لمنظمة CRIF يقول: شعار الأمن أولا، الذى يرفعه نتنياهو، مؤامرة إجرامية. (لوموند، ٢ مايو ١٩٩٨).

كل ذلك يبدو واضحا. إذ كيف يتحدث عن أمن الحدود، بينما يحتل حدود كل جيرانه، وينتهك بانتظام الاتفاقيات الدولية، والتوقيعات التى أعطيت للفلسطينيين خلال اتفاقيات أوسلو؟!

ولقد أعطى البروفيسور ليبوفيتس، (الذى يرأس، كما نتذكر، الموسوعة اليهودية)، فى كتابه: إسرائيل واليهودية، استنتاجه النهائى، فقال: إننى أقول إن فكرة إسرائيل الكبرى، فكرة فظيعة (ص ٢٥٣).

إن الأمريكيين لا يهتمون إلا بفكرة واحدة، هى الحفاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمريكيين الذين يرتدون البزة الخاصة بالجيش

الإسرائيلى ويستطيعون استخدامه كما يرون، فى الوقت الذى يرونه. (ص ٢٢٦).

إن رد الفعل برفض السياسة الصهيونية، يتبلور بعنف أكثر وأكثر باسم الإيمان اليهودى وعالمية أنبيائهم. فأثناء غزو لبنان، قام كل من بيير منديس فرانس وناحوم جولدمان بالتعبير عن استنكارهما له.

وبنفس الحنق ضد تلك السياسة، انتقد أكثر من مائة مثقف يهودى فرنسى سياسة إسرائيل، من بينهم الأساتذة يانكيليفيتش، ومينكوفسكى ورودانسون، وبيير فيدال ناكيه، الذين استنكروا: استخدام العنف الوحشى بصفة منتظمة والبحث عن تآلف عسكرى فى تلك البقعة من العالم. وانتهوا إلى أن: أمام هذا الإنكار للعدالة، وأمام هذا الاحتقار للقيم التى تعلمها أجيال من اليهود، نرفض بشدة أى شكل من أشكال التضامن مع السياسة الحالية لإسرائيل.

■ الفصل الثانى ■

إسرائيل: من التوراة إلى النازية

إن سياسة الحرب تلك والتوسع الاستعمارى الدائم، ينطوى على ما هو أكثر من الابتزاز والدمار المادى: ينطوى على موقف الإنسان نفسه، ذلك الإنسان العنصرى الذى يهدف إلى ترسيخ الإحساس بالتفوق العرقى (أليس هو شعب الله المختار؟!)، مثل أى استعمار، ولكن أيضا الحقد الذى نجم عن النظرية اللاهوتية الزائفة، التى لا ترى إلا من وجهة نظر الصهيونية فقط، وتقوم على ثلاثة مبادئ مدمرة لإنسانية الإنسان:

١ ـ رفض الآخر، وهى نظرية قامت على فكرة أن هناك حاجزاً من النار بين اليهود وباقى شعوب العالم، كما يقول الحاخام كوهين.

٢ ـ وأن الآخر، (كل الآخرين) أعداء أقوياء، كأن التاريخ كله ما هو إلا عملية اضطهاد أزلية للشعب اليهودى البرىء منذ الأزل.

٣ ـ وأن الدولة الصهيونية الإسرائيلية لا يمكن أن تقام إلا على كتاب صلوات الكراهية، كدافع وحيد لشبابهم وجيشهم وشعبهم

كله. إن السياسة القائمة على العسكرية، والتى نمت وتغذت على تلك الكراهية والحقد تجاه الآخر، هى الهدف فى حد ذاتها، وسائر العالم، على سبيل المثال الألمان بالنسبة لجولدهاجن، والفرنسيون بالنسبة لبرنار هنرى ليفى، هم بالضرورة شعب من القتلى أو ثقافة الدناءة والانحطاط(*).

عبادة الكراهية الأزلية تلك، يمكن إرجاعها إلى ما أطلق عليه أحد المؤرخين الإسرائيليين بـ «عقدة أماليك»، ففى ٧ يناير عام ١٩٥٢، أثناء المناقشات فى الكنيست حول التعويضات، ارتفعت راية ضخمة أمام واجهة المبنى كتب عليها: «تذكروا ما فعله أماليك لكم»! ويعرف الجميع ما يمثله أماليك فى تاريخ يشوع: ضرورة الإبادة. (كان المستوطنون الأمريكيون يبررون ملاحقتهم للهنود عن طريق وصفهم بأنهم آماليست، نسبة إلى آماليك)

وسياسيا ترجم ذلك فى صرخة الكراهية التى أطلقها بيجين قائلا: لم يكن ألمانى واحد هو الذى قتل آباءكم. فكل الألمان نازيون. وكل ألمانى قاتل. أديناور قاتل. وكل مساعديه قتلة.

لم يكن أمام جولدهاجن، بعد أربعين عاما، إلا أن يذوب تلك النظرية فى ٥٠٠ صفحة، حتى يتحول الكتاب بمساعدة الصهيونية إلى أكثر الكتب مبيعا، بينما يؤكد مؤرخ جاد مثل يهودا باور، أن جامعته سترفضه حتى ولو كان مجرد رسالة تقدم بها طالب فى

(*) فما بالك بالعرب؟!

دراسة الدكتوراه.

في يوليه عام ١٩٨١، قام الكنيست بتحويل الإبادة الجماعية إلى عقيدة قومية، وذلك من خلال قانون يمنع أي انتقاد لها وإلا عوقب المتهم بالسجن لمدة عام. (إنه القانون الأول والمثال الذي أقامت عليه ليكرا قانون چيسو في فرنسا).

ولقد جاء ذلك في أعقاب المقالة التي نشرها في عام ١٩٨٠ الصحفي الشهير بواز إيفرون، بعنوان: الإبادة، الخطر الذي يهدد الوطن، والتي أوضح فيها أن مذابح النازي، والتي اعتبرت في التاريخ اليهودي، أكبر المذابح، لم تكن كذلك في التاريخ العالمي، لا كانت أول المذابح ولا أكبرها، وأن حتى النازية لم تهاجم اليهود فقط بكل تلك الشراسة، ولكن هاجمت أيضًا السلاف والغجر، وحتى الألمان، الشيوعيين منهم، الذين كانوا معارضين للنظام.

بواز إيفرون، كشف عن الإساءة التي يمكن أن تلحقها أسطورة تفرد اليهود، التي تفصل اليهود عن سائر البشرية، مما يدفعها إلى العزلة. وفي الختام أشار قائلا: هكذا، يتحرك الحكام في عالم مليء بالأساطير والوحوش، الذين قاموا هم نفسهم بخلقهم.

(بواز إيفرون: ITON77 رقم ٢١ مايو ـــ يونيه ١٩٨٠ ص ١٢. ذكره توم سيجيف ص ٤٦٧)

إن هذه النقطة التي تستحوذ على تفكيرهم من ذكرى ليس فيها إلا الكراهية، وتكرارها يوميا في المدرسة والجيش والصحافة والسينما والتليفزيون، هو الذي خلق هذه الروح. كتب رئيس تحرير معاريف

يوما يقول : «يوما ما سترتفع حركة ســـــلام حقيقية فى العـالم وستحقق السـلام فى أوروبا عن طريق إزالة ألمانيـا من على وجـه الأرض». (آزرييل كارليباخ. آماليك. معاريف فى ٥ أكتوبر عام ١٩٥١ ص ٣).

وكأن ٧٥٪ من الألمان الذين ولدوا بعد سقوط هتلر، مسئولين عن جرائم النازية، ونفس الشيء بالنسبة لچان سيباستيان باخ أو جوته أو كانت، أو أى من هؤلاء الألمان العظماء، مثل الشاعر هاين أو العـالم أينشتاين، أفضل من يعربون عن عظمة الثقافة الألمانية.

إن تلك الدعاية تعبث بمشاعر رجل الشـارع، خاصة من كان من ضحايا النازية، مـثل الكثيرين من أعـضاء المـقاومـة، ومثلى أنا (فـقـد كتبت أهم أعمالى عن فلسفة هيجل). فكان من رجل عاقل أن أعلن، بعد أن تسممت أفكاره بتلك الدعـاية السـقـيمـة: إذا سـألتنى بماذا أطالب الشـعب الألمانى، سأقول: أم مقابل أم، وأب مقابل أب، وطفل مـقابل طفل. سأشعر بالسلام إذا قيل لى أن ستة ملايين ألمانى سيمـوتون من أجل تحقيق التوازن مع الستة ملايين يهودى الذين ماتوا. إذا كـان ذلك ليس فى قدراتنا، إذن لنحقق على الأقل عمـلا تاريخيـا واحداً واحد يسـبب لهم نفس الآلام التى شعـرنا بها عندما انـسكبت الدماء، لنبـصق على وجوههم. (مـاير دفورجيـسكى، فى اللجنة المركزية لحزب ماباى. ١٣ ديسمبر ١٩٥١).

كـانت تـلك نفس الـتعـبيرات التى ذكرت فى سفـر اللاويين (١٩ : ١٦): «لا تنتقم ولا تحقد على أحد من أبناء شـعبك ولكن تحب قريبك كما تحب نفسك». والتى فسرت بطريقة غريبة جدا : فاستخدام تعبير أبناء شعبك فسر بأن : غير اليهود ليسوا من بين أقاربك.

كما كتب الحاخام كوهين، فى كتابه حول التلمود. (الناشر بايو ١٩٨٣ . ص ٢٦٩) عندما يقول المرء القريب، يحدد التلمود عادة أنه يعنى اليهودى مع استبعاد الوثنى.

الحاخام كوهين يتحدث عما أطلق عليه اسم حدود من نار. . تميز وتفصل اليهودى عن كل الآخرين. (ص ١٩)

إنها التفسير الوحيد الذى يحتفظ به حاليا كتفسير رسمى، ذلك الذى يسقونه للأطفال فى المدارس، وللجنود فى الجيش، ولرجل الشارع من خلال الإعلام.

وفيما يلى بعض الأمثلة:

بمناسبة مرور خمسين عاما على إنشائها، فى ١٤ مايو عام ١٩٩٨، قامت دولة إسرائيل بنشر كتاب فضى من خلال وزارة الثقافة، من شأنه إحياء ذكرى الحدث فى كل مدارس البلاد. من المدهش كما عرفنا، من صحيفة هاآرتس الجادة، أن الكتاب لم يذكر شيئا عن وجود الشعب الفلسطينى، لا قبل إقامة دولة إسرائيل، ولا بعدها، ولا حتى عندما ذكرت خطة التقسيم لعام ١٩٤٧، التى خلقت دولتين - واحدة يهودية، والأخرى عربية - فى فلسطين. ثم أضاف الصحفى ريلى ساآر: يشير الفصل الخاص بجهود السلام إلى الاتفاقيات مع مصر والأردن، ولكن يتجاهل تماما اتفاقيات أوسلو وعملية السلام الحالية مع الفلسطينيين.

ولأن كتاب يشوع يعتبر جزءاً من منهج المدارس الإسرائيلية، من الصف الرابع وحتى الثامن، قام البروفيسور تامارين، بتوزيع استبيان إلى ألف تلميذ، يقول: أنت تعرف القطع التالية من كتاب يشوع

«ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير» يشوع ٦ : ٢١.

أجب عن السؤالين التاليين:

أ ـ فى رأيك، هل أحسن يشوع واليهود التصرف؟

ب ـ لنفترض أن الجيش الإسرائيلى كان يحتل قرية عربية خلال الحرب، فهل يجب أم لا، التصرف مع أهل القرية مثلما فعل يشوع مع سكان أريحا؟

عام ١٩٧٢، طرد البروفيسور تامارين من جامعة تل أبيب، بعد أن نشر النتائج المخيفة لهذا الاستبيان حول حالة الأطفال (فقد أجاب ٧٠٪ منهم بنعم). (ذكره المبشر كلود رينو فى كتابه: لبنان ــ فلسطين. الناشر هارماتان ١٩٨٧، ص ٨٤ ــ ٨٦).

وحول حالة الأطفال فى المدرسة، نشرت صحيفة هاآرتس فى ١٥ فبراير عام ١٩٩٥ رد الفعل التالى لخبير تربية قال:

«فى دراسة أخيرة، أوضح البروفيسور بار ـ تال بجامعة تل أبيب، إلى أى حد يتم تعبئة نظام التعليم الإسرائيلى من أجل تبرير موقف إسرائيل فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى. وأصر على ضرورة تغيير الطريقة التى يتم التحدث بها عن العرب فى الكتب المدرسية، وفى الوقت نفسه تغيير حكم الإسرائيليين على أنفسهم. إن التعليم الخاص بالمحرقة والمذابح أدى بشكل كبير إلى خلق عقلية دولة تحت الحصار فى إسرائيل، وغذت القناعة بأن اليهود متفوقون وأنهم دائما على حق».

وجد بار ـ تال الدليل على هذا التوجه في ١٠٧ كتاب تاريخ ونصوص، من بين الكتب التى تم الموافقة عليها هذا العام من وزارة التعليم. فى كتب التاريخ (وبالأخص التاريخ اليهودى) لا تتحدث تقريبا أبدا عن السلام، إلا فى حيز المدينة الفاضلة (يوتوبيا). وفكرة أن اليهود دائما ضحايا، تلعب دورا أساسيا. فى أحد الكتب المدرسية حول أول المستوطنين الصهاينة لم يذكر شيئا عن وجود العرب فى المنطقة إلا فى موضعين ـ لقول أنهم فى غالبيتهم ممن ينهبون الأرض ـ والأقلية اعتبروا إيجابيين لأنهم وافقوا على بيع الأراضى لليهود.

فى محاضرته فى افتتاح جلسة الاتحاد الإسرائيلى من أجل البحث فى مسألة التعليم، أوضح بار ـ تال أن فى الصراع الإسرائيلى ـ العربى، «لم نكن فقط ضحايا، بل أيضا معتدين. . أن نظهر العرب، وخاصة الفلسطينيين، بطريقة منحازة وسلبية مثل تلك، تجعلنا نتجاهل معاناة شعب تعرض لمصير مؤلم كنا نحن مسئولين جزئيا عنه. لقد أوضح أن إسرائيل استغلت التاريخ وأدبيات أخرى لخدمة الأيديولوچية الصهيونية».

فى عام ١٩٧٩ أعلنت وزارة التعليم تدريس الإبادة الجماعية إجباريا على تلاميذ الصف النهائى. وقامت لجنة بوضع برنامج جديد للعمل يؤكد على ضرورة المشاركة الفعالة للتلاميذ. وأعلن رئيس تلك اللجنة أن: «الإبادة الجماعية يجب أن يشعر بها أولا التلاميذ وأن يعقلوها كما هى، وليس كمادة فى السياق التاريخى الأوسع، أو فى منظور بحث علمى بحت».

فى ٢٦ مارس عام ١٩٨٠ ، صوت الكنيست لمعرفة وذكرى الإبادة الجماعية والبطولة . منذ ذلك الحين ، أصبحت دراسة الإبادة الجماعية إجبارية فى المدارس الابتدائية والمدارس الحكومية ، والأسئلة التى تطرح عنها تمثل ٢٠٪ من منهج التاريخ فى اختبارات نهاية السنوات الدراسية .

ولقد أعطى البروفيسور زيمرمان ، خبير تاريخ النازية فى الجامعة العبرية بالقدس ، شهادة مخيفة حول عملية تجريد الإنسان من إنسانيته فقال :

«هناك وحش فى داخل كل منا وإذا استمرينا فى التأكيد على أن أعمالنا دائما مبررة، فإن هذا الوحش سيكبر.. وبالفعل أفكر اليوم فى ظاهرة اتخذت أبعادا أكبر من حقيقتها: فقد كان هناك قطاع كامل من الشعب اليهودى الذى أصفه، بلا تردد، كصورة طبق الأصل من النازية الألمانية. انظروا إلى أطفال المستوطنين اليهود فى الخليل، فهم يشبهون تماما الشبيبة الهتلرية. فمنذ طفولتهم يتم إشباعهم بفكرة أن كل عربى سيئ، وأن كل غير اليهود ضدنا. فجعلنا منهم أشخاصًا يشعرون دائما بالعظمة: فهم يعتبرون أنفسهم كجنس متفوق، تماما مثل الشبيبة الهتلرية».

إن نفس الأوضاع فى المدارس تتكرر فى الجيش . فيبدأ كل شىء بالمقدمة فى التوراة والتى كتبها رجل الدين ، الحاخام جاد نافون للجيوش . ولقد ذكرت صحيفة هاآرتس بتاريخ ٢٢ يناير عام ١٩٩٦ تقول :

«من الصعب إيجاد تعبير مفجع مثل محاولة تسييس النصوص المقدسة «عن طريق تحوير رسالتها إلى العالم» كما تفعل مقدمة كتاب التوراة المقدم إلى الشباب الذين ينضمون إلى الجيش.

إن طبعة عام ١٩٥٨ التى وضع مقدمتها الحاخام شلومو جورين الذى قدم الكتاب كدعوة للبطولة والتضحية، مصدر دائم للإلهام. أما الكتاب الذى يوزع اليوم، فيضم مقدمة لكبير حاخامات الجيش جاد نافون، المسئول عن إضفاء معانى قومية متطرفة.

تصور المقدمة التوراة على أنها القانون الإلهى، الذى يعطيهم حقا خاصا على أرض آبائهم، وكدليل على التواجد المستمر للشعب اليهودى فى المنطقة. لقد أصبحت جزءاً مكملا للنظام الأيديولوچى للصهيونية الدينية.

لقد اختفت كلمة السلام، وتم استبدالها بكلمة العدو، وإبراهيم أصبح أبا للقومية اليهودية، التى تقف وحيدة فى مواجهة سائر العالم. ويعتقد الحاخام جاد نافون إنه بذلك يرفع معنوية الجنود، ويختتم المقدمة بقطعة من سفر التثنية: لأن الرب إلهكم سائر معكم لمحاربة أعدائكم عنكم وليخلصكم.

وتتويجا لتلك المقدمة العنصرية، ضم إلى كتاب التوراة فى سفر التثنية أطلس، حيث يستطيع كل جندى أن يجد خريطة لإسرائيل الكبرى، والتى تضم ليس فقط الضفة الغربية، ولكن أيضا الأردن.

وفى خريطة أخرى بعنوان: الأرض التى أعطاها الله إلى اليهود، كتب فى التوضيح نصوص دينية معروفة عن: الأرض التى تمتد من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات..

الحرب الكاملة:

هذا التوجه الفكرى ينتشر على كل مستويات الرتب العسكرية. وكتب كبير الحاخامات أفيدان، المسئول الدينى عن كتيبة عسكرية ويحمل رتبة كولونيل، فى كتاب: طهارة الأسلحة فى ضوء الهالاخاه(*). يقول:

«أثناء الحرب، أو أثناء ملاحقة عسكرية أو عملية هجومية، وعندما تجد قواتنا نفسها في مواجهة مدنيين لانعرف إن كانوا سيؤذوننا أم لا، فإن هؤلاء المدنيين، حسب الهالاخاه، يمكن، بل يجب قتلهم تحت أى ظروف، لا نستطيع أن نثق فى عربى، حتى وإن كان يبدو متحضرا فى الحرب، عندما تشن قواتنا هجوما نهائيا، فإن الهالاخاه تسمح لهم، بل تأمرهم، بقتل حتى المدنيين الخيرين، أى المدنيين الذين يبدون كذلك»(**).

لقد فرضت عليهم كتب مثل «صلوات الكراهية» توجه معين، إذ قال الكولونيل برافير فى ١٥ يونيه عام ١٩٩٠، فى حديث مسجل، لقد تم دفع عدد كبير من الجنود إلى الاقتناع بأن الإبادة الجماعية تبرر أى عمل غير مشرف نقوم به. **(توم سيجيف ص ٤٧٣).**

وكدليل على ذلك، الحوار الذى دار أثناء دك المدنيين فى قانا ـ لبنان بالقنابل، بين مراسل كول هائير فى ١٠ مايو عام ١٩٩٦، مع خمسة جنود من البطارية المسئولة عن القصف:

(*) الهالاخاه: الشريعة اليهودية.

(**) انتشرت فى إسرائيل مقولة «العربى الطيب هو العربى الميت»، وذلك نقلاً عما قاله الأمريكيون الأوائل عن الهنود «الهندى الطيب هو الهندى الميت».

لم يكشف أى منهم عن أى اضطراب أو تردد . . وقصوا كيف أنهم علموا بعد دقائق، موقع سقوط القنابل. وجمعهم القائد ليقول لهم إنهم أبلوا بلاء حسنا، وعليهم أن يستمروا. لم يتحدث أحد هنا عن خطإ.

وما المشكلة، فقد كان العرب مجرد «آخاباروشيم» (وهو تعبير كريه مكون من كلمتين «عربى» و«فأر»). العرب، هناك الملايين منهم!

سؤال: ألم تشعر بأى وخز للضمير؟..

جواب: لماذا؟ لم نفعل إلا واجبنا. لقد كنا نطيع الأوامر. وعلى أية حال، لم يسألنا أحد عن رأينا..

سؤال: وإذا سألكم أحدهم؟

جواب: كنا أطلقنا المزيد من القنابل، وقتلنا المزيد من العرب..

سؤال: وماذا عن فكرة طهارة السلاح (الذى كان يفخر بها وقتا ما، الجيش الصهيونى)؟

جواب: لا أعرف عما تتحدث.

نحن قوات المدفعية، ليس لدينا الوقت لمناقشة سخافات مثل تلك. إن ما نتعلمه هو أن نتصرف كجنود محترفين (*).

وفى حديث مع الكولونيل روبى، نقل اثنان من مراسلى صحيفة داڤار (بتاريخ ١٩ أبريل ١٩٩٦) انطباعاته عندما كان يشرف على

(*) تم التقاط أوامر بالعبرية تقول: اقصفوا واقتلوا تلك النفايات!

قصف القرى المجاورة من فوق تل، وشعر بأنه مثل زيوس فوق جبل أوليمب، ينشر الصواعق من حوله! (**داڤار**، ١٩ أبريل ١٩٩٦).

إن مذبحة قانا ليست تلطيخا، بل جريمة ضد الإنسانية، أمر بها كبار زعماء دولة إسرائيل، ونفذها جنود الجيش بسعادة بالغة.

لقد قتلنا هؤلاء الأشخاص بسبب التفرقة الكريهة التى نقوم بها بين الأهمية المقدسة لحياتنا، وتلك، المحدودة للغاية، التى نمنحها لحياة الآخرين. (آرى شافيت، فى صحيفة هاآرتس، ترجمتها صحيفة ليبيراسيون فى ٢١ مايو ١٩٩٦)

التبرير الدينى للحرب الكاملة: لقد نشرت صحيفة هاآرتس فى عددها بتاريخ ٢٤ مارس عام ١٩٩٥، مناقشة اشترك فيها اثنان من الحاخامات أحدهما پروفيسور فى الجامعة اليهودية بار - إيلان وآخر قاضى، دارت حول مقال كتبه الحاخام إيلبا الذى تناول موضوع: ماذا يقول الشرع اليهوى عن قتل اليهود لغير اليهود؟

أكد الحاخام أفينير أن نظرية الكاتب، الذى يرى أن «الجريمة التى ترتكب ضد يهودى، هى دائما أخطر من نفس الجريمة التى ترتكب ضد غير اليهود، وذلك يطابق تعاليم التوراة».

سؤال: هل يذكر القانون الدينى، كيفية التصرف فى حالة مخالفة الشرع لقانون دولة أو قانون دولى؟

جواب: إنه يذكر أن القانون الدينى يَجُبّ أى قانون إنسانى آخر. وإذا كان هناك تناقض، فإن القانون التلمودى هو الذى يطبق.

سؤال: أعلن الكاتب أن في وقت الحرب، يوصى بقتل كل الناس فى المعسكر المعادى، بما فيهم النساء والأطفال، رغم أنهم لا يمثلون أى تهديد فورى، وذلك خوفا من أن يتحولوا إلى متعاونين مع الآخرين..

جواب: إنه مبدأ الحرب الكاملة، التى تضع فى المواجهة شعبا ضد آخر. فى تلك الحالة، إذا شعر يهودى بالعطف على عدوه، فسيدفع اليهود الآخرون الثمن فيما بعد بحياتهم.

يستمر ويتفاقم هذا التسمم على مستوى الإعلام والخيال الشعبى: فى يناير عام ١٩٨٣ ، قامت الدولة الإسرائيلية بعد مذابح لبنان ، بإصدار ثلاثة طوابع لإحياء ذكرى يشوع . الطابع الأول لعبوره نهر الأردن . ولقد علق عليه ، سيجيسموند جورين ، صحفى فى تل أبيب ، قائلا : إن ذلك يعيد إلى الأذهان وسيلة العمل المباشر التى كانت تقوم بها القوات الإسرائيلية المعاصرة فى سيناء فى عام ١٩٥٦ ، وعلى ثلاث جبهات فى عام ١٩٦٧ ، ولكن بطريقة أحداث ما وقع قبل ٣٣٠٠ عام، مع أجدادهم التوراتيين، حينما قام العبريون بمحاصرة أرض كنعان لإعداد للهجوم من الشرق . .

أما الطابع الثانى ، فهو يحيى ذكرى الاستيلاء على أريحا ، ويذكر جورين الإبادة المقدسة لأهلها ، باستثناء ، «راحاب الغانية»، لأنها استقبلت وسمحت للجواسيس بالإقامة فى بيتها(*) .

(*) يحكى سفر يشوع عن جاسوسين دخلا أريحا ، واستضافتهما غانية ، ثم عاد الجيش بقيادة يشوع ، فأباد المدينة كلها رجالها ونساءها وأطفالها وشيوخها حتى حيواناتها ، ولم يبق إلا على راحاب الغانية وعائلتها ، وغنى عن الذكر أن الصهاينة يبحثون دائمًا ، بلا كلل ولا ملل عن «راحاب=

وعلى الطابع الثالث : ظهر يشوع وهو يوقف الشمس إلى أن تنتهى معركته ضد خمسة ملوك كنعانيين ، ومنهم حسب الكتاب ، ملكى القدس والخليل . ويذكر الكاتب : لقد تم القبض على الملوك الخمسة . . ثم قتلهم يشوع ، وعلقت جثثهم على خمس أشجار . وقال جورين فى الختام : على إسرائيل اليوم أن تواجه عدوا ليس أقل خطورة من ملوك كنعان فى الماضى .

هذه المقالة الشهيرة التى كتبها سيجيسموند جورين من تل أبيب ، نشرت فى لو چورنال دو چنيف بتاريخ ٢٣ يناير عام ١٩٨٣ . وها هو أيضا العنوان المستفز الذى نشرت تحته : يشوع : جد آرييل شارون .

هكذا يتم صك أشباه إيجال عمير ، قاتل رابين ، وجولدشتاين ، سفاح الخليل ، والاثنان يعتبران قاتلين بالأمر الإلهى .

* * *

مرة أخرى ، لقد حاولنا الدفاع عن إنسانية الإنسان ، قبل أن يصبح الوقت متأخرا .

وأقول لكل هؤلاء : إن فى ١٤ سبتمبر عام ١٩٤٠ ، ألقى القبض علىّ ، وتم ترحيلى إلى المعتقل حيث قضيت ثلاث سنوات .

= الغانية» فى كل دولة ، يبحثون عنها فى مجالات المال والإعلام ، فى الحكومات ، وأيضًا بين السذج والبسطاء .

■ خاتمة ■

من الجانى؟

ـ هل هو من ارتكب الجريمة؟

ـ هل هو من كشف الجريمة؟

ـ هل هو من يريد خنق هذا الاحتجاج ويصبح بذلك شريكا؟

منذ مثولى أمام المحكمة وحتى الآن، جرت أحداث كثيرة وضحت مجددا التحاليل التى ذكرت فى كتابى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، والتى سمحت بالحكم بطريقة مختلفة على الانتقادات التى كتبتها فى ذلك الوقت. وأول تلك الأحداث انتخاب نتنياهو فى مايو عام ١٩٩٦، وهى الانتخابات التى وصفتها السيدة مارى كلير مانديس فرانس، أرملة رئيس الوزراء الفرنسى الأسبق، فى صحيفة فرانس سوار بتاريخ ٢ أكتوبر عام ١٩٩٦، قائلة: «بنيامين نتنياهو، رجل غير مسئول وفاشى».

فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٩٦، قننت المحكمة العليا فى إسرائيل التعذيب.

صمتت ليكرا!

فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٩٦ ، احتفلت الحكومة الإسرائيلية بافتتاح طريق يخترق الأراضى العربية التى نزعت ملكيتها لصالح المحتل . وذكر فى البيان الرسمى : الطريق لاستخدام الشعب الإسرائيلى وقوات الأمن فقط!

فى ١٨ نوفمبر عام ١٩٩٦، أعرب آلان فينكيلروت عن سخطه فى صحيفة لوموند فى مقال بعنوان: إسرائيل الكارثة. قال فيها: مع انتصار نتنياهو، خرجت لغة الأبرتهايد إلى العلانية.. ويقول آخر أكثر مباشرة، أصبح هناك يهود فاشيُّون.. لهذا السبب يمكننا أن نتحدث عن كارثة روحية.. رعاة البقر هؤلاء الذين يحملون المدافع الرشاشة ويضعون علي رءوسهم الطواقى، لن يقبلوا تحول السيادة الحقيقية على الضفة الغربية للفلسطينيين.. يجب أن نعانى من عدم القدرة على الكشف عن العنصرية التي بداخلنا، حتى لا نضع أنفسنا فى موقف الفلسطينيين. ستتغير طبيعة التضامن مع إسرائيل إذا وافقت، على أن تكون الكلمة الأخيرة لرعاة البقر ذوى الرشاشات والطواقى.

صمتت ليكرا .

فى يونيه عام ١٩٩٧ ، كشفت الوثيقة التى كتبها موشى دايان ونشرت بعد وفاته ، وأكدت ابنته (عضو الكنيست) على صحتها ، أن الجولان السورية تم غزوها وضمها ليس لأسباب أمنية ، ولكن نتيجة لسلسلة من الاستفزازات العنيفة ، من أجل تلبية مطالب المستوطنين الإسرائيليين الذين يشتهون الأراضى السورية .

ولقد احتج الرأى العام العالمى ـ منهم بعض اليهود ـ ضد تلك السياسة البربرية. وفيما يلى بعض الأمثلة: قال القاضى اليهودى كلود كلاين: المجتمع الإسرائيلى يجب ألا يبنى نفسه على الحرب بعد الآن. (لوموند بتاريخ ١٤ يوليه عام ١٩٩٧).

علمنا من مقال نشرته صحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ ٤ أكتوبر عام ١٩٩٦، أن الملياردير الأمريكى إيرفينج موسكوفيتش هو راعى نيتنياهو وهو الذى قام بتمويل حملته الانتخابية.

وهو أكبر ممول للمستوطنين فى الضفة الغربية، وأنه أصبح أسطورى فى الأوساط اليهودية اليمينية، لقدرته على السطو على المنازل العربية. وحسب الإحصاءات الدقيقة، فقد استثمر خلال السنوات العشر الأخيرة عشرات الملايين من الدولارات فى مثل تلك الأنشطة، فى الضفة الغربية، وفى الحى العربى بالمدينة القديمة بالقدس، وذلك عبر اتحاد أتيريت كوهانيم.

انتقد مركزان إسرائيليان للدفاع عن حقوق الإنسان (بيتسالم وها موكيد) سياسة الطرد الصامت للفلسطينيين من القدس ـ والتى أطلقا عليها وصف التطهير العرقى.

كما أعرب الصحفى أمينون كابيليوك عن اشمئزازه فى صحيفة لوموند دبلوماتيك بتاريخ مايو ١٩٩٧. وأضاف: الإرهاب: ليس على لسان رئيس حزب الليكود إلا تلك الكلمة. هل مظاهرات الشباب والصبيان من الفلسطينيين الذين يقذفون الحجارة، عمليات إرهابية.. من أين جاء هذا الإرهاب؟ من السبب فى تغذيته؟

وكشف عن المعلومة التالية : بعد اعتداء يوم ٢١ مارس، ٥٥٪ من بين الأشخاص الذين جرى معهم الاستبيان، أعلنوا مساندتهم لاتفاقيات أوسلو، كما في الماضي. وفي استبيان ثاني، ولأول مرة، وافقت أغلبية مطلقة من الإسرائيليين اليهود، (٥١,٣٪) على إقامة دولة فلسطينية . (يديعوت أحرنوت بتاريخ ٣ أبريل عام ١٩٩٧).

وفي الوقت نفسه، كتب إيزهار سميلانسكي، أحد كبار الكتاب الإسرائيليين، والحائز على جائزة إسرائيل، كتب ينتقد استفزازات نتنياهو التي تغذي هذا الإرهاب، وكتب يقول بشأن تلك المستوطنات : بار هوما عملية إرهابية متخفية في القانون. وإلا بماذا تصف عملا، من شأنه أن يسرق الأرض التي يعيش عليها آخرون. (يديعوت أحرونوت ٦ أبريل ١٩٩٧)

في ١٣ أغسطس عام ١٩٩٧، نشرت في صحيفة لوموند مقال بقلم كل من چاك ديروچي (چاكوب فايتزمان) والمؤرخين أمثال دانييل ليندنبلاج وبيير فيدال ناكيه، حيث قاموا بتوضيح موقف يهود فرنسا على النحو التالي :

إننا في الحقيقة نتحدث باسمهم (يهود فرنسا).

وبالمثل بالنسبة لحاييم موسيكانت، مدير CRIF، الصوت السياسي الرسمي، انضم إليه سالومون مالكا، في مقال بالنشرة اليهودية البلچيكية (ريجار) بتاريخ ٦ مايو عام ١٩٩٧ : «بالنسبة للقدس، فإن غالبية اليهود الفرنسيين يرون أن الإسرائيليين من حقهم بناء مستوطنة جديدة في بار هوما» فهو يزعم أنه يتحدث باسم اليهود!

نظرا لخطورة هذا التأكيد، حيث أنه يتعلق بمسألة السلام والحرب فى الشرق الأوسط، فإنه على ما يبدو، يمثل لليهود الفرنسيين طريقة للتحدى. إنها تعنى فى الحقيقة أن الرأى العام اليهودى فى فرنسا أعلن وفاة عملية السلام، والتى تقوم على مبادلة السلام بالأرض.

هل مشاعر ٦٥٠ ألف يهودى فى فرنسا متباينة؟ فما هى الحقيقة؟

فى نظر خبير فى الرأى العام اليهودى، مثل ثيو كلاين، رئيس CRIF السابق: يجب التفريق بين كل اليهود فى فرنسا (٦٥٠ ألف نسمة تقريبا) والأقلية المنظمة (مابين ٦٠ ومائة ألف شخص معظمهم أعضاء فى منظمات تتشكل منهم الـCRIF). ومما لا شك فيه، أن أغلبية كبيرة من المجموعة الأولى مازالوا يضعون أملهم فى استمرار عملية السلام..

ولكن بالإضافة إلى ذلك، فمن بين النشطين المنظمين، هناك أقلية نشطة تعارض اتفاقية أوسلو. وهو يرى أنه إذا كان الآخرون لا يجرءون على التعبير عن أنفسهم، فذلك لأنه فرض عليهم الصمت، عن طريق تقاليدهم «المشروعة» والتى تقضى بالتمسك بمساندة الحكومة الإسرائيلية الموجودة فى الحكم. الشرعية التى يلعب عليها أكثر فأكثر الصهاينة المتطرفون فى الجالية، خاصة هؤلاء أعضاء الليكود ـ فرنسا.

وأضاف فى صحيفة لوموند بتاريخ ٢٨ نوفمبر عام ١٩٩٦، بعد أن ندد بحرب استعمارية للدولة اليهودية اللاهوتية الجديدة فى

أساسها، وبعد أن تحدث عن القتلة بالأمر الإلهى، مثل باروخ جولدشتاين أو إيجال عمير، قال: هذا الشر يجرى تحت رعاية الدارسين المسلحين بالفاشية الدينية، وقال فى النهاية: لا! ولا مليم واحد من أجل خطة بيبى التى خططها شارون. ولا مليم واحد بعد الآن من أجل إسرائيل الكبرى، هذا الوهم المستحيل الذى يعرض السلام والديمقراطية للخطر.

فى ١٥ أكتوبر عام ١٩٩٧، أوضحت السيدة ليا رابين فى تليفزيون فرنسا، كيف قتل المتطرفون زوجها إسحق رابين.

وابنة الچنرال بيليد، كتبت، تحت عنوان: بيبى، ماذا فعلت؟ مشيرة إلى أن ابنتها قتلت فى اعتداء فلسطينى يوم ٤ سبتمبر عام ١٩٩٧، وكتبت فى صحيفة لوموند دبلوماتيك عدد شهر أكتوبر تقول: أعتبر حكومته مذنبة، بطريقة غير مباشرة، فى حادث مقتل إبنتى.. إن سياسته عبارة عن استفزازات دائمة ضد الشعب الفلسطينى.

وهنا أيضا، صمتت ليكرا.

فى صحيفة لوموند بتاريخ ١٢ مايو عام ١٩٩٨، نشر نداء وقعه نحو ٦٠ شخصية تحت عنوان: نداء إلى أصدقاء إسرائيل من أجل إنقاذ السلام:

«نجدد التنديد بسياسة الحكومة الإسرائيلية التى قامت على الكراهية، والأكاذيب، والاستفزازات.. إنها تقود أكثر وأكثر إلى

عزلة إسرائيل على الساحة الدولية وتهدد بجدية مستقبل البلاد . . لن تستطيع إسرائيل أن تدير ظهرها إلى الأبد للعالم الخارجى . . ولا تستطيع حكومة أن تستمر فى فرض احتلال عسكرى على الفلسطينيين ، مضاف إليه اختناق اقتصادى . . إن المشروع الصهيونى لن يستطيع الحفاظ على شرعيته إلا عن طريق الاعتراف المتبادل وتقسيم الأرض بين الشعبين ، الإسرائيلى والفلسطينى .

وقع النداء عدد من الحائزين على جائزة نوبل مثل فرانسوا چاكوب ، بول بيرج ، إدمون فيشر ، فريدريك سانجيه ، ريتا ليفى مونتابينى ، كلود سيمون ، وأعضاء المعهد ، منهم هنرى كارتان ، إليكس كان ، إيفرى شاتزمان ، ومن كوليچ دو فرانس ، والأكاديمية مثل چاك ديريدا ، پيير نورا ، پيير فيدال ناكيه ، وفنانين مثل پيير بروك أو يهودى منوحين .

النداء لم تسمعه ليكرا . فقد صمتت !

فى مجلة ماريان بتاريخ ١٥ إلى ٢٢ يونيه عام ١٩٩٨ لخص الرئيس السابق لمنظمة «أطباء بلا حدود» هذا الصمت فى العنوان التالى : هل من حقنا انتقاد إسرائيل؟

وفى عرضه لكتاب دانييل ساليناف : مفكرة فى فلسطين المحتلة ، قال فى نهاية المقال ، «إنها ألقت الضوء على حقيقة الحياة فى فلسطين والتى كانت قد انزوت فى الظلام بسبب الأساطير الإسرائيلية» .

والآن هل نستطيع أن نتهم السيدة مانديس فرانس ، أو البروفيسور لايبوفيتس أو آلان فينكيلروت ، أو إيزهار سميلانسكى ، أو پيير فيدال

ناكيه، أو مدام بيليد ومدام رابين، وآخرين كثيرين ممن ذكرناهم، وممن استخدموا لغة أقسى مما استخدمتها فى انتقادهم للسياسة الإسرائيلية، هل يمكن أن نتهمهم بالتشهير بالسامية كما يتهمنى البعض؟

هنا أيضا، لم تسمع ليكرا نداءهم. لقد صمتت.

إن الانتقادات التى وجهتها إلى السياسة الإسرائيلية والأيديولوچية الصهيونية التى ألهمتها، صعدت غضب الصهاينة، أى هؤلاء الذين يريدون إقناع الآخرين بالهوية اليهودية والهوية الصهيونية.

لقد حاول الجميع استخدام الدين كوسيلة، من أجل تبرير سياستهم التى انبثقت بالكامل من القومية والاستعمار الأوروپى الذى لم يكن له أية علاقة بالعقيدة اليهودية. والنتيجة كانت استبدال رب إسرائيل بالدولة الإسرائيلية؛ **كما فعل العبرانيون، عندما غاب عنهم موسى، فعبدوا العجل الذهبى بدلا من الله.**

بُنى النظام الإسرائيلى، منذ ٥٠ عاما على ذلك التناقض: لاهوتية أم ديمقراطية؟ لقد أوضح البروفيسور باروخ كيميرلينج فى مقال بصحيفة هاآرتس فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٩٦، أن النظام السياسى لإسرائيل: «**لا ديمقراطى ولا يهودى**»، وأن الإسرائيليين الذين أدركوا الوضع، بعدما تحدث مؤرخوهم، أصبحوا يتحدثون أكثر فأكثر عما بعد الصهيونية، حيث الوعى المتزايد بالتناقض الداخلى للنظام. إنها تلك النظرية التى طرحتها فى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، والذى بدأ بتلك الجملة: «**هذا الكتاب هو قصة هرطقة!**».

اتضحت اليوم الأمور أكثر مما كانت عليه خلال المحاكمة الأولى. هل ستستطيع ليكرا اليوم، بعد أن هاجمت كتابى أن تخبرنى إذا كانت تحذيراتى الخاصة بمخاطر الحرب التى قد تفجرها تلك السياسة، والتى تتزايد احتمالاتها اليوم عن الفترة التى كتبت فيها كتابى، بعد قراءة صدام الحضارات لصمويل هانتنجتون، إذا كانت تحذيراتى ضعفت، أم تأكدت بشكل خطير، نتيجة للسياسة الاستعمارية التى ينتهجها نتنياهو، وانتهاكاته لاتفاقيات أوسلو التى التزمت بها حكومته، وكل الأعمال التى تلتزم بمنطق عقيدة ثيودور هرتزل، مؤسس الصهيونية، والذى يمثل سابقة على هانتنجتون.

هذا التأكيد، وهذا التوضيح، يبدوان لى على درجة كبيرة من الأهمية، حتى لا ينخفض مستوى الحوار وحتى لا نخسر الرهان التاريخى: حوار الثقافات أم كتاب صلوات الكراهية، وذلك يعنى، ليس فقط إجراء دراسة انتقادية للماضى، وهى مهمة المؤرخين، ولكن الإعداد المشترك والأخوى لمستقبل سلمى.

إن محاكمة مثل تلك، وأنا أقولها بدون أى مشاعر عدائية تجاه هؤلاء الذين حرضوا إليها، لن تستطيع أن تقتص شيئا من ذلك الرهان الحيوى: الحرب أم السلام فى العالم.

إننى أتحدى أى شخص أن يجد فى كتابى تعبيرا واحدا يدل على أن كلمة يهودى استخدمت فى معنى مهين. بل بالعكس، كما كتب پول برتود، المدير السابق فى سكرتارية الأمم المتحدة، فى صحيفة التريپيون بچنيف بتاريخ ٢٧ يوليه عام ١٩٩٧، يقول: «لا يسع المرء

اليوم إلا أن يلاحظ التحول المتطرف للصهيونية، خاصة مطالبتها بالأرض على أساس حقها الإلهى على جميع أنحاء فلسطين».

إن الخلط بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية تم تغذيتها ورعايتها عن قصد منذ خمسين عاما، وقد أدت إلى تخلى الجميع عن انتقاد انحراف المشروع الصهيونى، حتى لا يتهمون بمعاداة السامية.

إن تضامن يهود العالم مع دولة إسرائيل التى تنتهج سياسة هيمنة وقمع على الشعب الفلسطينى، سيواجه نفس الانتقادات إزاء تلك السياسة. إن اعتبار تلك الانتقادات معادية للسامية، اتجاه غير شريف يخدم قضية ـ طمس وطن ـ والتى يجب على الشعب اليهودى أن يكون آخر من يتبناها.

لذا استدعى دفاعى ضد الاتهام المضاعف الذى وجه إلى: «التشهير بأشخاص وجماعات بسبب انتمائهم العرقى أو الدينى، والتقليل من شأن جرائم هتلر»، أن أقوم من جانبى برفض مساوئ الصهيونية التى يتزايد تطرفها بسبب سياسة إسرائيل، وصمت ليكرا أمام جرائم الأبرتهايد الجديدة، وتشريع التعذيب، والاستمرار فى احتلال الأراضى وفى تزايد القمع والاستفزازات.

وذلك لا يتم بروح من الاضطهاد العنصرى أو العرقى وإلا كان متناقضا مع فكر وطريق حياتى لخدمة حوار الثقافات والحضارات.

إن هدفى كان التغلب على العراقيل التى تمنع علاقات سليمة فى الشرق الأوسط وفى العالم، والتى تضعها السياسة الإسرائيلية

وأتباعها، والاستمرار فى جهودنا مع أشقائنا اليهود، ومع كل أصدقاء السلام فى الطريق الذى اقترحه الچنرال ديجول فى ٢٧ نوڤمبر عام ١٩٦٧ والذى يظل معاصرا حيا بشكل يدعو إلى الدهشة.

قال الچنرال ديجول فى ذلك الوقت:

«إن صوت فرنسا لم يسمع. لقد هاجمت إسرائيل خلال معارك استمرت ستة أيام، أهدافا خططت لها، وتقوم الآن بتنظيم الاحتلال الذى لابد أن يلازمه القمع والاضطهاد والطرد، وبالتالى ستظهر ضده مقاومة ستزعم إسرائيل أنها إرهاب.

ويجب ــ إذا لم تقم الأمم المتحدة بخرق ميثاقها بنفسها ــ وضع تسوية يكون أساسها الانسحاب من الأراضى المحتلة والاعتراف المتبادل بين الدول المعنية. والقدس يجب أن تحصل على وضع دولى».

إن السياسة الإسرائيلية تعارض هذا الحل الحكيم الوحيد، وهى تقع أكثر فأكثر تحت سيطرة ما وصفه ديروجى بفاشية الحاخامات.

لقد حدث ذلك بالفعل، غداة الجرائم ضد الإنسانية التى ارتكبت فى قانا، حيث صدرت أوامر بقصف وقتل أكثر من مائة مدنى، انتقاما من قتل جندى إسرائيلى بجيش الاحتلال، قتله أحد أعضاء المقاومة على الأرض المحتلة وذلك مثل ما حدث من قبل أيام النازى، عندما أمر الماريشال فون كايتل بإعدام، (مثلما حدث فى شاتوبريان) مائة شيوعى لكل جندى ألمانى قتل بيد المقاومة!

نحن هنا بصدد التناقضات للتقاليد العالمية الكبرى للأنبياء اليهود.

لقد أعطاني القس پيير نصيحة خلال المحاكمة، إذ قال لي: «في رأيي، أن تبدأ بتعريف الصهيونية، بعدها لن يبقى شيء آخر من الاتهامات غير المقبولة الموجهة ضدك بمعاداة السامية».

إن ما يتوقعه البعض منكم، أيها السادة القضاة، هو أن تضمنوا بقرار قضائي استمرار الهجوم الإعلامي الذي يتعرض له صديقي وشقيقي القس پيير، وأن تفرضوا الصمت على سياسة الحرب التي تنتهجها إسرائيل، وأن تشجعوا الميليشيات التابعة لبيطار الذين اعتدوا على الصحفيين وأرسلوا اثنين منهم للمستشفى أثناء النطق بالحكم الأول.

والآن أنا أسألكم: من هو المذنب؟ هل هو من ارتكب الجريمة أم هو من ندد بها؟ هل هو من يبحث عن الحقيقة أم هو من يبحث عن كتمها؟

إن ما يغذي معاداة السامية، ليس التنديد بجرائم سياسية عنصرية، ولكن ارتكاب تلك الجرائم. لهذا السبب، كما قال الأب لولونج، خلال محكمة عام ١٩٨٢، صراعنا ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ من صراعنا ضد معاداة السامية.

بعد كل تلك التوضيحات الخاصة بموقفي، فإن قانون چيسو لا يسري على حالتي بأي شكل، إننا نعود إلى الوضع الذي يسبق إصدار القانون، عندما كنا، الأب لولونج والمبشر ماتيو وأنا، في عام

١٩٨٢ ، وبالتضامن مع چاك فوفيه ، مدير صحيفة لوموند فى ذلك الوقت ، أثبتنا أن غزو لبنان كان يمثل منطق السياسة الصهيونية للحكومة الإسرائيلية .

وأكدت محكمة النقض حكم محكمة الجنايات ثم حكم الاستئناف . بما أن المسألة تتعلق بانتقاد جائز لسياسة دولة ، والأيديولوچيا التى تعتنقها ، وليس استفزازا عنصريا . . ترفض كل دعاوى ليكرا ، وتفرض عليها تحمل النفقات .

كل ما أطلبه هو تأكيد هذا الحكم ، بما أن التطورات التى تشهدها السياسة الإسرائيلية الحالية ، تقودنا إلى المشكلة السابقة .

رقم الايداع ١٧٦٣٦ / ٩٨
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-09-0524-0

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

محاكمة الصّهيُونيّة الإسرائيلية

«لقد غدت مصر، باعتبارها كيانًا مركزيا، مجرد جثة هامدة، لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار المواجهات التي تزداد حدة بين المسلمين والمسيحيين. وينبغي أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافيا هو هدفنا السياسي على الجبهة الغربية خلال سنوات التسعينيات.

وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية، فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد، ومن ثم فإن تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر، بالإضافة إلى كيانات إقليمية أصغر وأقل أهمية، من شأنه أن يفتح الباب لتطور تاريخي لا مناص من تحقيقه على المدى البعيد، وإن كانت معاهدة السلام قد أعاقته في الوقت الراهن.

أما العراق، ذلك البلد الغني بموارده النفطية والذي تتنازعه الصراعات الداخلية، فهو يقع على خط المواجهة مع إسرائيل. ويُعد تفكيكه أمرًا مهما بالنسبة لإسرائيل، بل إنه أكثر أهمية من تفكيك سوريا، لأن العراق يمثل على المدى القريب أخطر تهديد لإسرائيل».

(المصدر: مجلة كيفونيم، القدس، العدد ١٤، فبراير/ شباط ١٩٨٢ ص٤٩ ـ ٥٩).

دار الشروق
القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما ـ تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)